جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

المكر
(دراسة قرآنية)

إعداد
إيمان عبد الوهاب فايز عبد الوهاب

إشراف
د. خضر سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين
2012م

المكر

(دراسة قرآنية)

إعداد

إيمان عبد الوهاب فايز عبد الوهاب

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/4/15م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. خضر سوندك / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. إسماعيل نواهضة / ممتحناً خارجياً	....
3. د. خالد علوان / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى خير الأنام، ومصباح الظلام، إلى المعلم الأول

" رسول الله- صلى الله عليه وسلم-"

إلى من تحمل معي أعباء الدراسة وبذل من أجلي الغالي والنفيس

زوجي ورفيق دربي أبي محمود حفظه الله

إلى روح والدي العزيز - رحمه الله-

إلى نبع العطاء وفيض الحنان

أمي الغالية

إلى شيخي ومعلمي

خالي الحبيب صلاح الدين سعيد" أبو النور"

إلى فلذات كبدي

محمود، زينب، أسراء، محمد-رحمه الله-، سوار، طار

إلى أشقائي وشقيقاتي جميعاً

إلى أهل زوجي الكرام حفظهم الله

إلى أخواتي ورفيقات دربي، وشقيقات روحي

أخواتي في مركز النور

إليهم جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، له الحمد في الأولى والآخرة، وبعد:

فإني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل وأخص بالذكر:

الدكتور" خضر سوندك" أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولما أبداه من حسن النصح، والتوجيه، وقد كان لتوصياته الدور البارز في إثراء هذا العمل، وإخراجه بهذه الصورة، جعله الله في ميزان حسناته، ونفع المسلمين بعلمه.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى عضوي لجنة المناقشة الدكتور إسماعيل نواهضة ممتحناً خارجياً، والدكتور خالد علوان ممتحناً داخلياً لتكرمهما بمناقشة هذه الرسالة.

واعترافاً مني لذوي الفضل بفضلهم أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى من وضع لي الخطوة الأولى على طريق الدراسات القرآنية، الدكتور "محسن الخالدي" نفع الله المسلمين بعلمه.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى جامعة النجاح الوطنية، ممثلة بكلية الشريعة، والى القائمين على مكتبتها.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة، وساهم في الارتقاء بمستوى هذا البحث بكلمة أو بفكرة، وأخص بالذكر الأستاذ معين رفيق، مشرف اللغة العربية في مديرية التربية والتعليم في منطقة جنين، الذي أثرى هذا البحث بتوصياته وتوجيهاته اللُغوية، والشيخ عزمي عزام إمام مسجد مصعب بن عمير في السيلة الحارثية، جزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

المكر

(دراسة قرآنية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:	اسم الطالبة:
Signature:	التوقيع:
Date:	التاريخ:

فهرس المحتويات

المكر "دراسة قرآنية"

إعداد

إيمان عبد الوهاب فايز شواهنة

إشراف

الدكتور خضر سوندك

الملخص

تبحث هذه الدراسة في موضوع المكر وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، تمشياً مع منهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وقد قُسِّمت إلى خمسة فصول ومقدمة وخاتمة، كان الحديث في المقدمة عن أهمية هذه الدراسة، وإبراز قيمتها من خلال الحديث عن المكر السيئ، والتحذير من سوء عاقبته، كما كان الحديث فيها أيضاً عن تكريم الله تعالى لبني آدم؛ بأن وهبهم عقلاً يميزون به بين الحق والباطل، وليتحملوا المسؤولية الكاملة عما يصدر عنهم من سلوك، أما الفصل الأول فيدور حول معنى المكر في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني، ثم يليه الفصل الثاني بعنوان: أنواع المكر، واحتوى الفصل الثالث على أسباب المكر وصفات أهله، أما الفصل الرابع فقد كان الحديث فيه عن ثمار المكر الحسن، وعقوبات أهل المكر السيئ في الدنيا والآخرة، واشتمل الفصل الخامس على سبل الوقاية والعلاج لحماية الناس من الوقوع في المكر السيئ، ووصف الدواء الشافي لمن كان ضحية لهذا الخلق السيئ.

وقد كان المرجع في هذه الدراسة إلى كتاب الله أولاً ثم كتب التفسير والحديث وكتب الأخلاق.

وتضمنت الخاتمة عدداً من النتائج أهمها:

1- ن المكر ضربان:

الأول: حسن؛ ولا يأتي إلا على سبيل المقابلة والجزاء، وغالباً ما يكون من الخالق عز وجل، وقد يكون من المخلوق، رفعاً لظلم، أو نشراً لدين التوحيد، أو في ساحة الحرب رداً لكيد العدو، ودفاعاً عن دين الله.

والثاني: سيء؛ وهو من مساوئ الأخلاق والهدف منه إيقاع الضرر بالآخرين.

2- الكفر بالله عين المكر؛ فهو رأس الخطايا، ودافع قوي للمكر السيئ

3- المكر السيئ لا يدور ولا ترجع عاقبته إلا على أهله.

مقدمة

قال تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ"[1].

وقال تعالى: "ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين"[2].

"الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره"[3]. قال تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"[4]. والصلاة والسلام على بشيره ونذيره محمدٍ عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه أزكى صلاته وتسليمه.

وبعد، فإن الله سبحانه وتعالى كرم بني أدم، وفضّلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً؛ بان وهَبَهم عقلاً مفكراً، يفرقون به بين الحق والباطل، فمنهم من انتفع بعقله وسار على درب الهدى والإيمان، وإن ألجأته الظروف إلى استخدام الحيلة في بعض الأحيان، من غير إيقاع للضرر ببني الإنسان، ومنهم من اختار سبيل الشيطان، فمكر، وخادع، واحتال على عباد الله، فباء باللعن والغضب من الله، وكان الله تعالى له بالمرصاد، مدبراً للمكر به من حيث لا يحتسب، وجاعلاً عاقبة مكره الخسران، كان هذا مدار البحث في هذه الدراسة، وذلك للخطورة البالغة التي يمثلها المكر السيئ، فقد جاء التحذير الشديد من سوء عاقبة هذا الصنف من الناس، بالمقارنة مع عاقبة المكر الحسن وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، التي بينت معاني المكر، وأسبابه، وأنواع الماكرين، وصفاتهم، كما بينت عاقبة المكر في الدنيا والآخرة، فكانت هذه الدراسة عبارة عن

---

[1] سورة فاطر، آية: 10

[2] سورة آل عمران، آية 54

[3] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، ت505هـ، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة- بيروت، (48/3) بتصرف.

[4] سورة الشمس، آية (7-10).

كشف لهذا الخلق بنوعيه بصورة واضحة متكاملة، من خلال دراسة الآيات التي تناولت موضوع المكر، ودراسة أقوال أئمة التفسير فيها، مع تدعيمها بشواهد من السنة النبوية، وبعض ما ورد من أشعار.

وقد تتبعت تحت إشراف الدكتور الفاضل: خضر سوندك –حفظه الله تعالى- هذه المعاني في كتاب الله عز وجل، فكان هذا البحث الذي أرجو له القبول من الله، فإن أحسنت فبفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتقصي تبين لي أن موضوع هذه الرسالة لم يكتب فيه بشكل مستقل، كرسالة جامعية، أو كتاب مطبوع، غير أنني عثرت على بعض المقالات على بعض مواقع النت وهي:

1- مقال في مجلة الوعي الإسلامي بقلم الدكتور وليد الربيع بعنوان: المكر في القرآن الكريم[1].

2- مقال على موقع أهل القرآن بعنوان: "لماذا جاءت الآية (خير الماكرين) وليست (أحسن الماكرين) بقلم: شريف صادق[2].

3- مقال على ملتقى أهل التفسير بعنوان (ومكروا ومكر الله) للدكتور يوسف العلوي قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[3].

وقد ورد موضوع المكر في ثنايا كتب التفسير والأخلاق، وكتب الحديث النبوي الشريف.

---

[1] http://alwaei.com/topics/view/article.php?sdd=2075&issue=
[2] http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?main_id=2018&doc_type=1
[3] http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=1614

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من الأمور الآتية:

1- كونها دراسة قرآنية جاءت خدمة لكتاب الله تعالى.

2- كونها تلبي ضرورة ملحة في بيان وكشف مكر الماكرين وخداع المخادعين لهذا الدين وأهله.

3- ارتباطها بالواقع الذي نعيش فيه، حيث انتشر المكر وفشا بين الناس، لضعف إيمانهم، وحرصهم على تحصيل الأموال ولو بطرق غير مشروعة.

4- كونها بينت أن المكر السيئ لن يفلح أبداً، وأنَّ الله تكفل بالرد على مكر الماكرين، وأكد أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، وفي ذلك من التحذير ما يقطع على كل ماكر طريقه.

5- كونها ساهمت في تقديم سبل الوقاية، والعلاج الشافي من المكر السيئ؛ من خلال بيان أنواع المكر، وأسبابه، وصفات أهله، وعاقبة المكر في الدنيا والآخرة، وما في ذلك من دروس وعبر.

6- كونها خطوة على طريق التفسير الموضوعي، حيث عرضت موضوع المكر لأول مرة وفق هذه المنهجية.

أسباب اختيار الموضوع

يكمن سبب اختياري الكتابة في هذا الموضوع فيما يأتي:

1- حبي لكتاب الله تعالى، والتبحر في آياته، والربط بينها.

2- الدعم والتوجيه الكافي الذي تلقيته من أستاذي الدكتور" محسن الخالدي" للبحث في القرآن الكريم على طريقة التفسير الموضوعي، وقد كانت التجربة الأولى –تحت إشرافه- بحثاً بعنوان: (غزوة بدر: دراسة قرآنية).

3- الميل الشخصي للتعرف على ما جاء في كتاب الله تعالى حول موضوع المكــر للاســتفادة والتعلم، ونفع الآخرين إن شاء الله تعالى.

4-عدم وجود دراسة متخصصة تعالج هذا الموضوع بطريقة التفسير الموضوعي.

مشكلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما معنى المكر لغة واصطلاحاً؟ وما دلالته في السياق القرآني؟
2. ما هي نظائر المكر في القرآن الكريم؟
3. ما هي أنواع المكر التي تعرض لها القرآن الكريم؟
4. ما هي أسباب المكر؟ وما هي صفات أهله؟
5. ما هي عاقبة أهل المكر السيئ في الدنيا والآخرة؟
6. ما هي سبل الوقاية من المكر السيئ التي عرضها القرآن الكريم؟
7. ما هي الدروس والعبر المستفادة مما عرضه القرآن الكريم من نماذج لأهل المكر الســيئ والمكر الحسن؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1. بيان أن الله تعالى لا يكون منه المكر ابتداءً، وإنما يأتي مكره على سبيل المقابلة والجزاء.
2. بيان خطر المكر السيئ بجميع أنواعه على الفرد والمجتمع
3. أخذ العبرة والعظة من مصائر أهل المكر السيئ.

منهجية الدراسة

المنهج المتَّبع في هذه الدراسة هو: المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية ذات الصلة بمصطلح المكر ونظائره في القرآن الكريم وجمعها، ومن ثم دراسة هذه الآيات وتحليلها وفق منهجية التفسير الموضوعي، وذلك عبر الخطوات الآتية:

1- جمع الآيات المتعلقة بموضوع المكر، وعزوها إلى سورها.

2- استخراج اللطائف واللفتات من الآيات التي وردت بها مادة المكر.

3- دراسة أقوال المفسرين السابقين منهم والمحدثين في الآيات موضوع الدراسة، ونقل ما يتناسب منها مع الموضوع.

4- اتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات، بحيث يتم التوثيق كاملاً عند أول ذكر للمرجع، ثم بعد ذلك الاكتفاء بذكر شهرة المؤلف واسم الكتاب والجزء والصفحة.

5- الترجمة للأعلام المغمورين الوارد ذكرهم في الرسالة، والاكتفاء بالتعريف بهم في أول ذكر لهم، لذلك من أراد أن يقف على ترجمة علم ما سبقت ترجمته فله أن يرجع إلى فهرس الأعلام في آخر الرسالة.

6- تدعيم الرسالة بذكر بعض الشواهد من الأحاديث الصحيحة، والأشعار والأقوال المأثورة.

7- نسبة الأحاديث إلى مصادرها، وإذا كان في الصحيحين فيكتفى بنسبته إليهما، أما إذا كان من مصادر أخرى فإنه يتم ذكر حكم أحد علماء الحديث عليه.

8- كتابة أبرز النتائج التي تم التوصل إليها في نهاية البحث.

حدود الدراسة

اقتصرت حدود هذه الدراسة على دراسة المكر، ونظائره المرتبطة به من حيث المعنى مثل: الكيد والخديعة، والخيانة، والخداع، والنفاق، والمحال، والدخل،...)، وما ورد من آيات تحمل معنى المكر حتى لو لم يذكر فيها بصورة مباشرة.

خطة البحث

تضمنت خطة البحث بعد المقدمة خمسة فصول، في كل فصل منهما مباحث، ويتفرع عن بعض المباحث مطالب فرعية، وذلك على النحو الآتي:

الفصل الأول: التعريف بالمكر ودلالته في السياق القرآني.

المبحث الأول: التعريف بالمكر.

المطلب الأول: المكر في اللغة.

المطلب الثاني: المكر في الاصطلاح.

المبحث الثاني:المكر في السياق القرآني

أولاً: الاستدراج

ثانياً:السعي بالفساد

ثالثاً: النفاق

رابعاً: الشرك

خامساً: التكذيب والطعن

سادساً:القول السيئ

سابعاً:التدبير

ثامناً:العذاب أو العقوبة

تاسعاً:الجزاء

عاشراً:الإغواء والصد عن الدين

الفصل الأول

المكر ودلالته في السياق القرآني

المبحث الأول: التعريف بالمكر

المبحث الثاني: المكر في السياق القرآني

المبحث الثالث: نظائر المكر في القرآن الكريم

المبحث الأول

التعريف بالمكر

المطلب الأول: المكر في اللغة

ذكر علماء اللغة كثيراً من المعاني اللغوية للمكر، تلتقي في نهايتها على أن أَصلَ المكر: التغطية والستر لغرض التدبير، أَو الجزاء من الخالق أو من المخلوق إذا كانت بالحق، وللاحتيال والخداع من المخلوق إذا كانت بالباطل.

وقد وردت لفظة المكر في معاجم اللغة على عدة معانٍ أهمها:

(1) **الاحتيال والخداع:** "المكر احتيال في خفية" [1]. وقد وردت في هذا المعنى بألفاظ مختلفة وهي:

1. "التفليح المكر والاستهزاء، وقال أعرابي: قد فلحوا: أي مكروا بي"[2].
2. "المِحَال: المكر بالحق"[3].
3. "التَّجَبُّؤ: المَكْرُ والخَدِيعَةُ"[4].

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت 175هـ)، **العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، (بدون بلد نشر ولا طبعة ولا سنة نشر)، (270/5)، وانظر: الطالقاني، أبا القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس، (ت 385هـ)، **المحيط في اللغة**، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين،: عالم الكتب – بيروت (1414هـ–1994م)، (ط1 / بدون سنة نشر)، (263/6)، و الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت 721)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت (طبعة جديدة 1415 هـ– 1995م)، (ص 236)، و ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، (ت 711)، **لسان العرب**،: دار صادر – بيروت،(ط1 ،(183/5).و الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب،(ت718 هـ)، **القاموس المحيط**،: مؤسسة الرسالة – بيروت،(ص 614).

[2] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت370 هـ)،**تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب،: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط 1/ 2001م)، (5/1). وانظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 549).

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، (618/11)، وانظر:الرازي، **مختار الصحاح**، (ص 257).

[4] الطالقاني، **المحيط في اللغة**، (199/1هـ).

4. "العِنْدَأْوَةُ المكر والخديعة قال: وفي المثل: إن تحت طريقتك لعِنْدَأْوَةُ يقال هذا للمطـــرق المطاول ليأتي بداهية"[1].

5. "وقولهم فلان يضرب أخماساً لأسداس أي: يسعى في المكر والخديعة"[2].

6. "الناموس: المكر والخداع"[3].

7. "المَحْل المكر والخداع"[4].

8. "الكيد: المكر والخبث"[5].

(2) التدبير والجزاء:

وذلك كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[6].

"(مكر) الله تعالى مكراً: جازى على المكر"[7].

---

[1] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، (ت458 هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق:عبد الحميد هنـــداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/ 2000 م)، (209/2)، وانظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (119/1).

[2] الرازي، **مختار الصحاح**، (ص 79)، وانظر أيضاً:ابن منظور، **لسان العرب**، (6/ 68)، والفيروز أبـــادي، **القـــاموس المحيط**، (ص 698).

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، (6 /243).

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، (618/11)، وانظر أيضاً:الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، (ص1365).

[5] الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، (ص 403).

[6] سورة آل عمران، أية: 54

[7] السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، (ت515 هـ)، **الأفعـــال**، عالم الكتب – بيروت، (1403هـ 1983م)، (ط 1/ بدون سنة نشر)، (164/3)، وانظر:ابن منظور، **لسان العرب**، (183/5)، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (ت 770 هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية – بيروت، (3/ 577)، وإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار،**المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة، (2/1).

(3) المكر حسن خدالة الساقين [1]**:**

"المكر حسن خدالة الساق فهي مرتوية خدلة شبهت بالمكر من النبات "[2]." وامرأة ممكورة؛ مستديرة الساقين"[3].

(4) المكر ضرب من النبات:

"المكر ضرب من النبات، الواحدة مكرة، وسميت لارتوائها"[4].

وقال الأزهري: "والمَكرُ: نَبْتٌ وجمعه: مُكُورٌ"[5].

(5) المكر بمعنى المَغْرة[6]**:**

قال الفراهيدي: "المكر: المغرة"[7].

"وثوب ممكور وممتكر مصبوغ بالمكر"[8].

"وامتكر: اختضب"[9].

"ويقال لِلأَسدِ: كأنه مُكِرَ بالمَكْرِ أي طُلِيَ بالمغْرَةِ"[10].

---

[1] "ساق خدلة وقد خدلت خدالة وخدلت خدولة وجمعه خدلات وخدال وخدالتها استدارتها كأنما طويت طيا "، انظر: الفراهيدي، **العين**، (230/4).

[2] الفراهيدي، **العين**، (270/5)، وانظر:ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا، (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت، (1420هـ – 1999م)،(ط2 / بدون سنة نشر)، (345/5)، والفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، (ص 614).

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، (184/5).

[4] الفراهيدي، **العين**، (270/5).

[5] الأزهري، **تهذيب اللغة**، (126/10)، وانظر:الطالقاني، **المحيط في اللغة**، (6 /263).

[6] " الميم والغين والراء أصل يدل على حمرة في شيء وأصل آخر يدل على ضرب من السير، فالأول: المغرة الطين الأحمر، والأمغر الرجل الأحمر الشعر والجلد، والأمغر في الخيل الأشقر ومنه امغرت الشاة إذا حلبت فخرج مع لبنها دم فإن كانت تلك عادتها فهي ممغار" انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (329/5).

[7] الفراهيدي، **العين**، (270/5).

[8] ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (31/7).

[9] الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، (ص 614).

[10] الأزهري، **تهذيب اللغة**، (126/10).

قال القطامي:

بِضربٍ تنعسُ الأبطالُ منه وتمتكرُ **اللِّحى منه امتكارا**[1].

(6) المكر سقي الارض:

"المَكْرُ: سَقْيُ الأرض، يقال: امْكُرُوا الأرضَ، فَإِنَّها صُلبةٌ، ثمَّ احْرُثُوهَا يريد: اسْقُوهَا"[2].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المكر في المفاهيم السابقة يرجع إلى التغطية والستر، قال البقاعي[3]:" ومادة مكر بأي ترتيب كان: مكر، ركم، رمك، كرم، كمر؛ تدور على التغطية والستر، فالمكر: الخديعة، قالوا: وهو الاحتيال بما لا يظهر- احتيال في الخفاء- فإذا ظهر فذلك الكيد"[4].

فمكر الخالق لأجل المباغتة والأخذ على حين غرة، أو لأجل التدبير سراً، ومكر المخلوق، لإخفاء حيله وخدعه، وهو ضرب من النبات لالتفافه وخفائه وكذلك الساق الملتفة، وهو بمعنى المَغْرة؛ لأنها تُغطِّي وتُخفي اللون الأصلي، وسُمِّيَ سَقيُ الأَرض مَكْراً؛ لأنه نوع من الاحتيال عليها لتصبح لينة ويسهل قلبها، وهو بالتالي تغطية وستر لسطحها.

[1] القطامي، عمير بن شييم بن عمرو بن عبا د بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن حبيب، (ت 130 هـ)، **ديوان القطامي**، تحقيق:إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة – بيروت، (ط1 / 1960 م)، (ص135).

[2] الأزهري، **تهذيب اللغة**، (126/10)، وانظر:ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (31/7)، والزبيدي،،**تاج العروس**، (148/14).

[3] هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، الشيخ الصالح العارف برهان الدين البقاعي الحنبلي، ثم الشافعي، مولده في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثمانمائة، قرأ على شيخ الإسلام الوالد في الأصول والعربية، وحضر دروسه كثيراً، وقرأ عليه بداية الهداية للغزالي والبخاري، كاملاً في ستة أيام، وصحيح مسلم كاملاً،وتوفي شهيداً مبطوناً يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، انظر: الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، (ت 1061)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، (بدون ذكر طبعة ولا دار نشر ولا سنة نشر)، (ص 243).

[4] البقاعي، برهان الدين أو الحسن إبراهيم بن عمر، (ت 855 هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت (1415هـ – 1995م)، (155/4).

المطلب الثاني: المكر في الاصطلاح

المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكرٌ محمود؛ وذلك أن يُتحــرّى بذلك فعلُ جميلٍ وعلى ذلك قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1].

ومذموم وهو أن يتحرى به فعلُ قبيحٍ، قــال تعــالى: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[2]، وقال تعــالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3].

وقال في الأمرين: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[4] "[5].

وذكر الهائم المصري أنَّ المكر في حقِّ الله تعالى يختلف عن مكر المخلوقين، فقال في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [6]

"واختلف فيه في حقِّ الله تعالى، فقيل: هو من المتشابه، وقيل: إنه عبارة عن الاحتيــال في أفعال الشر، وذلك على الله سبحانه محال وذكروا في تأويله وجهين:

الأول: أنَّه سُمِّي جزاءً ومكراً استهزاءً بهم، و أن مقابلته لهم شبيهة بالمكر.

---

[1] سورة آل عمران، أية: 54

[2] سورة فاطر، آية 43

[3] سورة النمل، آية:51

[4] سورة النمل، أية:50

[5] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيــق: محمــد ســيد كبلاني، دار المعرفة – لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (ص471).

[6] سورة آل عمران، آية:54

الثاني: أن المكر عبارةٌ عن التدبير المُحكَم الكامل، ثمَّ اختص في العرفِ بالتدبير في إيصال الشرِّ إلى الغير وذلك في حق الله تعالى لا يمتنع"[1].

يظهر من كلام المصري للوهلةِ الأولى أن هناك تناقضاً وعدم انسجام، ولكن بعد إمعان النظر يظهر العكس، فقد اثبت في بداية كلامه أن مكر الله تعالى يختلف عن مكر المخلوقين، وأورد الأقوال والتأويلات الواردة في ذلك، والتي منها التدبير المحكم الكامل الذي لا يمتنع في حق الله تعالى، وهذا التدبير يراه العامة إيصالاً للشر لمن يستحقه، وهو في الحقيقة مقابلةٌ وجزاءٌ لمكرهم والدليل على ذلك أن الله تعالى لا يحصل منه المكر ابتداءً والآيات الشاهدة على ذلك كثيرة، نكتفي منها بقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [2].

وقال الجرجاني:

"المكر من جانب الحقِّ تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر"[3].

يفهم من كلام الجُرجاني: أنَّ مكرَ الله تعالى يختلف عن مكر البشر،فهو من الله استدراجٌ بِالنِّعم، حتَّى إذا اطمئنَّ أَهلُ الزَّيغ والضلال أخذهم بغتة، وأظهر قوَّته وقدرتَه، ونَصَر أوليـاءه فهو من باب الإمهال وَمَنح الفرصَ للتَّوبة، بالرَغم من عنادِهم وسوءِ أدبهم مع الله ورسله، ومثلهم في ذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ

---

[1] الهائم المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت815 هـ)، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، (ط 1 / 1412هـ– 1992م)، (ص 149).

[2] سورة آل عمران، آية: 54

[3] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت816هـ)، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط 1 / 1405 هـ)، (ص293).

نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]،وهو من البشر: احتيالٌ في الخفاء لإيقاعِ المكروهِ بالطَّرَف الآخرِ.

---

[1] سورة يونس، آية: 24

المبحث الثاني

المكر في السياق القرآني

المطلب الأول: عرض مادة مكر في القرآن الكريم

المتتبعُ لورودِ مادَّة مَكَر في القرآن الكريم، يَجد أَنَّها وَرَدت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وقد قامت الباحثة بحصر هذه المواضع حسب ورودِها في ترتيب المصحف فكانت كالآتي:[1]

المفردة وعدد مرات ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	رقم الآية	بيان المكي والمدني من السور
مَكَرَ (ثلاث مرات)	**1**	وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ	آل عمران	54	مدنية
	2	وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ	الرعد	42	مدنية
	3	قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ	النحل	26	مكية
مكرتموه (مرة واحدة)	4	إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ	الأعراف	123	مكية
مَكَرنا (مرة واحدة)	**5**	وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ	النمل	50	مكية
مكروا	**6**	وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ	آل عمران	54	مدنية
	7	وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ	إبراهيم	46	مكية
	8	أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ	النحل	45	مكية
	9	وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا	النمل	**50**	**مكية**

---

[1] -1 انظر مادة (مكر) عند عبد الباقي، محمد فؤاد (ت:1388 هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر – بيروت (طبعة سنة 1407 هـ /1987م)،(ص 671).

	10	فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ	غافر	45	مكية
	11	وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا	نوح	22	مكية
تمكرون (مرة واحدة)	12	إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ	يونس	21	مكية
يمكر (مرة واحدة)	13	وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ	الأنفال	30	مدنية
ليمكروا (مرة واحدة)	14	لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ	الأنعام	123	مكية
يمكرون (سبع مرات)	15	وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ	الأنعام	123	مكية
	16	بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ	الأنعام	124	مكية
	17	وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ	الأنفال	30	مدنية
	18	إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ	يوسف	102	مكية
	19	وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ	النحل	127	مكية
	20	وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ	النمل	70	مكية
	21	وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ	فاطر	10	مكية
مكْرْ (تسع مرات)	22	أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ	الأعراف	99	مكية
	23	فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ	الأعراف	99	مكية
	24	إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ	الأعراف	123	مكية

	25	إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ	**يونس**	**21**	**مكية**
	26	فَلله ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعًا	**الرعد**	**42**	**مدنية**
	27	بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ	**سبأ**	**33**	**مكية**
	28	أُوْلَـٰٓئِكَ وَمَكۡرُ هُوَ يَبُورُ	**فاطر**	**10**	**مكية**
	29	ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ	**فاطر**	**43**	**مكية**
	30	وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ	**فاطر**	**43**	**مكية**
مكراً (أربع مرات) مكراً أربع مرات	31	قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا	يونس	21	مكية
	32	وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا	النمل	50	مكية
	33	وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ	النمل	50	مكية
	34	وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا	نوح	22	مكية
مكرهم خمس مرات	35	بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ	الرعد	33	مدنية
	36	وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ	إبراهيم	46	مكية
	37	وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ	إبراهيم	46	مكية
	38	وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ	إبراهيم	46	مكية
	39	فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ	النمل	51	مكية
بمكرهن مرة واحدة	40	فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ	يوسف	31	مكية
الماكرين مرتان	41	وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ	آل عمران	54	مدنية
	42	وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ	الأنفال	30	مكية

المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (مكر)في القرآن الكريم:

1- إن عددَ السور التي وردت فيها مادة (مَكَر) على اختلاف صيغها ومشتقاتها أربَعُ عشرة سورة.

2- عددَ مرات ورود مادة (المكر)في القرآن الكريم اثنتان وأربعون مرة.

3- إن أكثر السور التي وردت فيها مادَّة (المكر)هي سورٌ مكِّية، حيث وردت مشتقات هذا المصطلح في إحدى عشرة سورة مكية، وثلاث سور مدنية،مع العلم أَنَّ:" سورةَ الرعد المدنية جاء الخطاب فيها موجهاً لأهل مكة وحكمها مكي، وآيات سورةِ النَّحل من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

- إلى آخر السورة مدنيات يخاطب بها أهل مكة"[2].

كما أَنَّ الآيات التي ذكر فيها المكرُ في سورة الأنفال، جاء الخطابُ فيها موجَّها لِأهلِ مَكَة كما ذكر أهل التفسير، قال السيوطي في الإتقان: "ومثال ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية قوله تعالى: چ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴾[3]، وقوله تعالى في الأنفال:﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[4] "[5].

---

[1] سورة النحل،آية:41

[2] انظر: الزركشي، أبا عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت:794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، (طبعة سنة 1391هـ)، (195/1).

[3] سورة العاديات، آية: 1

[4] سورة الأنفال، آية:32

[5] انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت 911 هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان،(ط1416/1 هـ - 1996م)،(57/1).

وقال البغوي: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾[1] لأن هذه السورة مدنيةٌ، وهذا المكر والقول إنمـا كانا بمكة، ولكنَّ الله ذكرهم بالمدينة"[2].

وقال ابن عطية: "إنَّ الآيةِ مدنيةٌ كسائر السورة وهذا هو الصواب، وحكى الطبري[3] عن عكرمة[4] ومجاهد[5] أنَّ هذه الآية مكيةٌ، ويحتمل عندي قولَ عكرمة ومجاهد هذه مكية أن أشـارا إلى القِصَّة لا إلى الآية"[6].

4- إنَّ وُرود هذا العدد مِن السورِ المَكِّية- التي تعالج موضوع المَكر فـي المراحـل الأولـى للدعوة- "فيه إشارة وتحذير إلى هؤلاء الماكرين من عاقبة مكـرهم وخـزعبلاتهم الشـيطانية، البالغة أقصى المكر والحيلة، حتى لا تثير المخاوف في نفوس المسلمين "[7].

المطلب الثالث: معاني مادة مكر في القرآن الكريم

يجد المتتبع لورود مادة مكر في القرآن الكريم أنها وردت بمعانٍ متعددة فـي القـرآن الكريم، وقد اجتهدت الباحثة في تتبع هذه المعاني فكانت على النحو الآتي:

---

[1] سورة الأنفال، آية:32

[2] البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، (ت 516 هــ)، **معالم التنزيل في التفسير**، تحقيق:خالد عبد الرحمن العـك، دار المعرفة – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (2/ 243).

[3] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (ت 310 هــ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1405 هــ)، (230/9).

[4] هو عكرمة، البربري المدني مولى ابن عباس أحد أوعية العلم، تكلم فيه لرأيه لا لحفظه فاتهم برأي الخوارج،وقد وثقـه جماعة واعتمده البخاري، وأما مسلم فتجنبه وروى له قليلا مقرونا بغيره، وأعرض عنه مالك وتحايده إلا فـي حـديث أو حديثين، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (748هــ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: الشـيخ علـي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود،: دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/ 1/ 1995)، (5 / 116).

[5] هو مجاهد بن جبر، (ت 104 هــ)، المقرئ المفسر أحد الأعلام الأثبات ذكره أبو العباس النباتي في تذييله، قال الذهبي: مجاهد ثقة بلا مدافعة، انظر:الذهبي،ميزان الاعتدال، (6/ 25).

[6] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (ت541 هــ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، (ط1/1413هــ -1993م)، (519/2).

[7] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت1284 هــ)، **التحرير والنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (238/5).

1 – **الاستدراج:**

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾.[1] قال الفــراء: "المكر من الله الاستدراج لا على مكر المخلوقين"[2].

وقوله تعالى " ويمكر الله " معناه يفعل أفعالا منها تعذيب لهم وعقوبة ومنها ما هو إبطال لمكرهم ورد له ودفع في صدره حتى لا ينجع فسمى ذلك كله باسم الذنب الذي جاء ذلــك مــن أجله ولا يحسن في هذا المعنى إلا هذا وأما أن ينضاف المكر إلى الله عز وجل على ما يفهم في اللغة فغير جائز أن يقال"[3].

وقال الرازي في المسألة السابعة– بعد أن ذكر الفرق بين الكرامة والاستدراج–: "اعلــم أن من أراد شيئاً فأعطاه اللهُ مراده، لم يدل ذلك على كون ذلك العبد وجيهاً عند الله تعالى، سواء كانت العطية على وفق العادة، أو لم تكن على وفق العادة، بل قد يكون ذلك إكراماً للعبد، وقــد يكون استدراجاً له، ولهذا الاستدراج أسماءٌ كثيرةٌ من القرآن الكريم، منها المكر، قــال تعــالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[4] "[5]، وقــــــال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[6]،وقـــال: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[7].

---

[1] سورة آل عمران، آية:54

[2] الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد، (ت207 هــ)، **معاني القرآن**، عالم الكتب – بيروت، (ط 3/ 1403 هـــ– 1983م)، (218/1).

[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (518/2).

[4] سورة الأعراف،آية:99

[5] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، (ت604 هــ)، **مفاتيح الغيب**، دار الكتــب العلميــة – بيــروت، (ط1421/1 هــ–2000م)، (21 /79) بتصرف.

[6] سورة آل عمران، آية:54

[7] سورة النمل، آية:50

2- السعي بالفساد:

قال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾.[1] بعد أن ذكر القراءات: "ومعنى المكر: السعي في الفساد؛ وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم من الإيمان بنوح عليه السلام"[2].

وذكر صاحب التفسير الكبير عند قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [3] المكرُ في اللغةِ: عبارة عن السعي بالفسادِ على سبيل الإخفاء، ولا بدَّ هاهنا من إضمار، والتقدير: المكرات السيئات، والمراد أهل مَكة ومن حولَ المدينة... والأقربُ أنَّ المراد سعيُهم في إيذاء -الرسول صلى الله عليه وسلم- وأصحابه على سبيل الخفية"[4].

3- النفاق:

ذكر الماوردي عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾[5]

"فيه وجهان:

أحدهما: أن المكر ها هنا الكفر والجحود، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه الاستهزاء والتكذيب، قاله مجاهد.

---

[1] سورة نوح، آية:22

[2] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597 هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي – بيروت، (ط1404/3هـ)، (8 /373).

[3] سورة النحل، آية:45

[4] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (20 /32)، والخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (ت725 هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر – بيروت، (1399هـ/1979م)، (4 /92).

[5] سورة يونس،آية:21

ويحتمل ثالثاً: أن يكون المكر ها هنا النفاق؛ لأنه يظهر الإيمان ويبطن الكفر".[1]

4-الشرك:

قال مقاتل[2] - عند قوله تعالى-:﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ ﴾[3]: قول الشرك ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾[4] ولا يدور قول الشرك إلا بأهله"[5].

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾[6] بعد أن ذكر عددا من الأقوال في تفسيرها وذكر أوجه القراءات فيها: " فالأولى من القول بالصواب في تأويل الآيةِ: "وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم وافتروا عليه فريتهم عليه، وعند الله علم شركهم به، وافتراؤهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلُها، وما كان شركُهم وفريتُهم على الله لتزول منه الجبال، بل ما ضروا بذلك إلا أنفسَهم، ولا عادت بغيةُ مكرِهم إلَّا عليهم"[7].

---

[1] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ا البصري،(ت450 هـ)، **النكت والعيون المسمى (تفسير الماوردي)**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر)،(430/2).

[2] هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء الخراساني (ت:150هـ)، أصله من بلخ، كان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز، وله التفسير المشهور، أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وكان من العلماء الأجلاء، حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير ابن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام، انظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت:681هـ)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة- لبنان، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (255/5).

[3] سورة فاطر، آية:43

[4] سورة فاطر،آية:43

[5] مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي،(ت150 هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت،(ط1 / 1424هـ-2003م)،(3 /80).

[6] سورة إبراهيم:آية 46

[7] الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1405هـ)، (13 / 247).

وذكر ابن أبي زمنيين [1] ذلك عند الآية نفسها، فقال: "يعني: الشرك وما يمكرون برسول الله وبدينه"[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[3]،قال السمعاني: "معناه: قد أشرك الذين من قبلهم"[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [5] "لا ريبَ أنَّ رأسَ الخيرات هو الإرشادُ إلى التوحيدِ، ونقيضه الدعاءُ إلى الشِّرك، وهو أعظم الكبائر، وأفظع أنواع المكر، وإنما سُمِّيَ مَكراً؛ لأنهم دلَّسوا عليهم بأنه دين آبائكم، والآباء أعرفُ من الأَبناء وبأن هذه الأصنام تعطيكم الخيرات والمنافعَ وأنها شفعاؤكم"[6].

5-التكذيب والطعن:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ [7] "يعني: استهزاء بالرسل وتكذيبا بالقرآن"[8].

---

[1] ابن أبي زمنين (بفتح الميم ثم كسر النون)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي الإلبيري شيخ قرطبة،(ت 399 هـ)، اختصر المدونة، وله منتخب الأحكام،وكتاب الوثائق، والمختصر تفسير ابن سلام وكتاب حياة القلوب في الزهد، وكتاب أدب الإسلام، وكتاب أصول السنة، انظر: الذهبي، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت 748 هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت،(ط9 / 1413هـ)،(17/ 188).

[2] ابن أبي زمنين، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت 399 هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، (ط1 /1423 هـ– 2002 م)،(4/ 3.

[3] سورة النحل،آية:26

[4] السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار،(ت487 هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض،(ط1/1418هـ –1997م)،(167/3).

[5] سورة نوح،آية:22

[6] القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري،(ت 728 هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية – بيروت،(ط1 /1416 هـ – 1996 م)، (6 /364).

[7] سورة يونس،آية:21

[8] مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج،(ت 103هـ)، **تفسير مجاهد**، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر)،(293/1).

وقال الواحدي [1]: "إذا لهم مكر في آياتنا قول بالتكذيب، أي: إذا أخصبوا بطروا فاحتالوا لدفع آيات الله "[2].

وقال الرازي: "وفي الآية مسائل...المسألة الرابعة: سُمِّي تكذيبهم بآيات الله مكــراً؛ لأن المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بطريق الحيلة، وهؤلاء يحتالون لدفع آيـــات الله بكلِّ ما يقدرون عليه من إلقاء شبهة، أو تخليط في مناظرة، أو غيــر ذلــك مــن الأمــور الفاسدة"[3].

وقال أبو السعود: "أي بالطعن فيها، وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها"[4].

6-**القول السيئ:**

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾ [5]، قال ابن عطية: "إنما سمي قــولهن مكرا من حيث أظهرن إنكار منكر، وقصدن إثارة غيظِها عليهن، وقيل: مَكرُهنَّ أنهن أفشين ذلك عنها، وقد كانت أطلعتهن على ذلك واستكتمتهن إياه، وهذا لا يكونُ مكراً إلَّا بأن يُظهــرنَ لهـــا خلاف ذلك، ويقصدن بالإفشاء أذاها"[6].

---

[1] علي بن أحمد به محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبـــي وأخذ العربية عن أبي الحسن القهندزي ودأب في العلوم وأخذ اللغة عن أبي الفضل أحمد بن محمد بن يوسف العروضـــي وروى عنه أحمد بن عمر الأرغياني و عبد الجبار بن محمدا لخواري و طائفة صنف التفاسير الثلاثة البســيط والوســيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي والإعراب عن الإعراب وشرح الأسماء الحسنى وشرح ديوان المتنبي ونفي التحريف عن القرآن الشريف، وتصدر للإفادة وللتدريس مدة وله شعر حسن مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائـــة، انظر: السيوطي، **طبقات المفسرين**، (ص 79).

[2] الو احدي، أبو الحسن علي بن أحمد،(ت 468 هــ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، صــفوان عــدنان داوودي،: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت،(ط 1415/1)،(1 / 22).

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**،(17 / 54).

[4] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي،(ت 982 هــ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،المعروف بتفسير أبي السعود**، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر)،(4 /133).

[5] سورة يوسف،آية:31

[6] ابن عطية، **المحرر الوجيز**،(238/3).

وقال صاحب التفسير الكبير: "وفي الآية مسائل: المسألة الأولى: المراد من قوله تعالى: أنها سمعت قولهن وإنما سمي قولهن مكراً لوجوه، ومن هذه الوجوه:أنهنَّ وقعن في غيبتها، والغيبة إنما تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر"[1].

7- التدبير:

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[2]

قال الثعلبي[3]: "يعني كبار بني إسرائيل الذين أحسّ عيسى منهم الكفرَ ودبّروا قتل عيسى، والمكر ألطف التدبير"[4].

وقال السمعاني: "والمكر من الله: التدبير بالحق، وقيل: هو الأخذ بغتة، والله خير الماكرين أي: خير المدبرين"[5].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[6]، قال البغوي: "والمكر: التدبير، وهو من الله التدبير بالحق"[7].

---

[1] الرازي،**مفاتيح الغيب**،(18 /101).،وانظر:أبا حيان، محمد بن يوسف الأندلسي،(ت 745 هـ)، **تفسير البحر المحيط**،، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد التوقي 2) د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت،(ط 1/ 1422هـ- 2001 م)،(5/ 301).

[2] سورة آل عمران،آية: 54

[3] هو: أحمد ابن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، صاحب التفسير المشهور، والعرائس في قصص الأنبياء، وكتاب ربيع الذاكرين، كان أوحد زمانه في علم القرآن، عالما بارعا في العربية حافظا موثقا، روى عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي،وأخذ عنه الواحدي، انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت 911 هـ)، **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط 1/ 1396)،(ص28) .

[4] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري،(ت 427 هـ)، **الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي،: دار إحياء التراث العربي - بيروت،(ط 1/ 1422 هـ - 2002 م)،(3 /78).

[5] السمعاني،**تفسير القرآ ن العزيز**، (2 / 260).

[6] سورة الأنفال،آية:30

[7] البغوي،**معالم التنزيل**،(2 /244).

وقال القُرطبي: "ويمكرون: مستأنف والمكر: التدبير في الأمر في خفية، والله خير الماكرين، ابتداء وخبر، والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون"[1].

وقد دبر سبحانه وتعالى لنبيه لصالح – عليه السلام- لإنقاذه من مكر قومه الذين خططوا للفتك به وبأهله ليلاً، وإنكار فعلتهم أمام أولياء دمه، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا﴾[2]، فقد ظنوا أن الله لا يسمع سرهم ونجواهم، فتعاهدوا ليلاً زيادة في السرية، وبيتوا قتله، وإنكار ذلك أمام أوليائه، ولكن الله دبر النجاة لنبيه، وأهلك المكذبين من قومه دون أن يشعروا بذلك التدبير، قال تعالى: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا﴾[3]"[4].

8- **العذاب أو العقوبة:**

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[5]، قال ابن عطية: " وقوله تعالى "ويمكر الله "معناه يفعل أفعالا منها تعذيب لهم وعقوبة ومنها ما هو إبطال لمكرهم ورد له ودفع في صدره حتى لا ينجع فسمى ذلك كله باسم الذنب الذي جاء ذلك من أجله ولا يحسن في هذا المعنى إلا هذا وأما أن ينضاف المكر إلى الله عز وجل على ما يفهم في اللغة فغير جائز أن يقال وإنما قولُنا: ويمكر اللهُ، كما تقول في رجل شَتَم الأمير فقتله الأمير، هذا هو الشتم فتسمَّى العقوبة باسم الذنب وقوله تعالى: (خير الماكرين): أي أقدرهم وأعزهم جانبا"[6].

---

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري،(ت671 هـ)،**الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب – القاهرة،(بدون طبعة ولا سنة نشر)،(7 /297).

[2] سورة الأعراف، آية: 99

[3] سورة الأعراف، آية: 99

[4] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،(ت 1376 هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت، (طبعة سنة 1421 هـ)،(ص 606).

[5] سورة الأنفال، آية: 30

[6] ابن عطية،**المحرر الوجيز**،(2 / 519).

ومنـــه قولـــه تعـــالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [1]، قال الرازي: "ويدلّ قوله تعالى: أن المراد أن يأتيهم عذابـه مـن حيـث لا يشعرون، قاله على وجه التحذير، وسمي هذا العذاب مكراً توسعاً؛ لأن الواحد منّا إذا أراد المكرَ بصاحبه، فإنه يوقعه في البلاء من حيثُ لا يشعر به، فسُمِّي العذابَ مكراً؛ لنزولهَ بهم من حيث لا يشعرون"[2].

وقال القمي: "ومكر الله عذاب بعد الاستدراج"[3].

9-الجزاء:

ومنـــه قولـــه تعـــالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ [4]، قـــال المفسرون: يعني جازاهم جزاء المكر، وإنما سماه مكْراً – على المقابلة – لأنَّه جزاءُ مكرِهم[5].

10-الإغواء والصد عن الدين

ومنـــه قولـــه تعـــالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ﴾ [6]، قال الزمخشري: "أي: تكرّون[7]

---

[1] – سورة الأعراف،آية: 99

[2] – الرازي،**مفاتيح الغيب**،(14 / 151)،وانظر: أبو حيان،البحر المحيط،(5/ 390)..

[3] – القمي النيسابوري، **غرائب القرآن**، (3/1).

،،(3 /293).

[4] – سورة إبراهيم: آية: 46

[5] – انظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد،(ت 375هـ)،**بحر العلوم (تفسير السمرقندي)**، د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر)، (1 / 242)،(2 / (231، وابن زمنين،**تفسير القرآن العزيز**،(1/ 291)،والقشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي،(ت 465 هـ)، **لطائف الإشارات**،**(تفسير القشيري)**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية – بيروت،(ط1420/1هـ–2000م)،(391/1)، والسمعاني،**تفسير القرآن العزيز**،(1/ 323)،(3/ 101)،والبغوي، **معالم التنزيل في التفسير**،(3/ 24)، وابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**،(1/ 295)،(3 / 9)،القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،(7 /297)،(9/ 335).

[6] سورة سبأ،آية:33

[7] الكر الرجوع عليه ومنه التكرار، انظر: الفراهيدي، العين (5/ 277).

الإغواء مكرّاً دائباً لا تفترون عنه"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [2] قال الرازي: "صارت الإشارة إلى هذه المعاني بلفظ آلِهَتَكُمْ صارفاً لهم عن الدين، فلأجل اشتمال هذا الكلام على هذه الحيلة الخفية سمى الله كلامهم مَكْرًا"[3].

11- **الحيلة والخداع**

ومنه قوله تعالى قوله تعالى: ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [4]

قال بعض المفسرون: المقصود بالمكر الاحتيال والخداع بإظهار الإحسان مع قصد الإساءة في السر.[5]

12- العمل القبيح

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [6]، قال السمعاني: "مكروا السيئات يعني: فعلوا السيئات، وذلك جحدُهم التوحيدَ وعبادتُهم غيرَ الله، وعملُهم بالمعاصي"[7].

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت538 هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل** وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر)،(3/ 594).

[2] سورة نوح،آية:22- 24

[3] الرازي،التفسير الكبير،(30 / 126)

[4] سورة النحل،آية:26

[5] انظر:القشيري،**لطائف الإشارات**، (391/1)، والرازي،**مفاتيح الغيب**،(15/ 125)، والقرطبي،**الجامع لأحكام القرآن**،(14 /302)،و أبو حيان،**البحر المحيط**،(3/ 493)، والخازن،**لباب التأويل في معاني التنزيل**،(1/ 354)، والقمي النيسابوري،**تفسير غرائب القرآن**،(3 / 572).

[6] سورة النحل،آية:45

[7] السمعاني، **تفسير القرآن العزيز**،(3 / 174).

وقال تعالى: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [1]،قال الرازي: "أي العمل السيئ "[2].

المطلب الرابع: الملاحظات واللطائف واللفتات لورود تصريفات مادة (مكر) في القرآن الكريم:

لقد قسمت الباحثة تصريفات هذه المادة خمسة أقسام على النحو الآتي:

اسم مفرد: وقد ورد على خمس صيغ هي:(مكر)،(المكر)،(لمكر)،(مكرهم)،(بمكرهن) أولاً

مكر: مفعول به ورد في موضعين.

مكر: مبتدأ في موضعين.

مكر: فاعل في موضع واحد.

مكر: اسم معطوف في موضع واحد.

المكر: مبتدأ في موضع واحد.

المكر: فاعل في موضع واحد.

لمكر: خبر إنَّ ورد في موضع واحد.

مكرهم: اسم مفرد مضاف إلى ضمير الغائب ورد خمس مرات.

بمكرهن: اسم مفرد مضاف إلى نون النسوة ورد مرة واحدة.

اللفتات والسمات البارزة لورود هذا التصريف في آيات القرآن الكريم:

1 - تقديم المجرور- لفظ الجلالة-في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ ﴾[3] للاختصاص، قال ابن عاشور:"وتقديم المجرور في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن

---

[1] سورة فاطر،آية:10

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (26 / 9).

[3] سورة الرعد،آية: 42

﴿قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ﴾ يدل على اختصاص الله سبحانه وتعالى بالمكر، فمكــره تعــالى لا يضاهيه مكر، ولا يدفعه دافع، وتأكَّد الاختصاصُ بقوله تعالى: "جميعاً وهو حال من المكر"[1].

2- إضافة مكر إلى الله في قوله تعــالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [2] إضافة مخلوق إلى الخالق، كما تقول: ناقة الله، وبيت الله، والمــرادُ فِعلٌ يعاقبُ به مَكَرةُ الكفار، وأضيف إلى الله لمَّا كانَ عقوبةً على الذنب [3].

3- مجيء المكر خبراً في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [4]، فيه دليل على خداع فرعون ودهائه لإضلال قومه، يقول الآلوســي [5]: "لمكــر مكرتموه: لحيلة احتلتموها أنتم وموسى، وليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الــدَّليل، وظهور المعجزة، وهذا تمويه منه على القبطِ يريهم أنهم ما غُلِبوا ولا انقطعت حجَّتُهم"[6].

وقال الرازي: "اعلم أنَّ فرعونَ لما رأى أن أعلم الناس بالسحر أقر بنبوة موسى -عليه السلام- عند اجتماع الخلقَ العظيم، خاف أن يصيرَ ذلك حجةً قويةً عند قومه على صحة نبــوَّة موسى -عليه السلام-، فألقى في الحال نوعين من الشبهة إلى أسماع العوام، لتصير تلك الشبهةُ

---

[1] انظر،ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (13 / 174).

[2] سورة الأعراف،آية:99

[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز**،(2 / 433).

[4] سورة الأعراف، آية: 123

[5] هو شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله أفندي الألوسي البغدادي،كان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل والغرائب، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب كآبائه الأمجاد، إلا أنه في كثير من المسائل يقتدي بالإمام الأعظم، ثم في آخــر أمره مال إلى الاجتهاد قال: ومن مؤلفاته، تفسيره المسمى بروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني أيد فيه مــذهب السلف الأماثل، ومنها شرح السلم في المنطق، ومنها نزهة الألباب..... توفي رحمه الله تعالى حادي وعشــرين مــن ذي القعدة الحرام سنة ألف ومائتين وسبعين، انظر: البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم، (ت 1335هــ)، **حلية البشــر في تاريخ القرن الثالث عشر**، (بدونذكر طبعة ولا دار نشر، ولا سنة نشر)، (3/ 124).

[6] الآلوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثــاني**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (9 / 27).

مانعةً للقومِ من اعتقادِ صحَّة نبوَّةٍ موسى -عليه السلام-، فالشبهة الأولى قوله: إِنَّ هـذا لَمَكْـرٌ مَّكَرْتُمُوهُ في الْمَدِينَةِ؛ والمعنى: أنَّ إيمان هؤلاء بموسى -عليه السلام- ليس لقوَّةِ الـدليل، بـل لأجل أنهم تواطئوا مع موسى، أنه إذا كان كذا وكذا- كانت الغلبة لموسى- فنحن نؤمن بك ونُقرَّ بنبوتك، فهذا الإيمان إنما حصل بهذا الطريق.

والشبهة الثانية: أن غرض موسى والسحرة فيما تواطئوا عليه إخراج القوم من المدينـة وإبطال ملكهم، ومعلوم عند جميع العقلاء أن مفارقة الوطن والنعمة المألوفة من أصعب الأمور فجمع فرعون اللعين بين الشبهتين اللتين لا يوجد أقوى منهما في هذا الباب"[1].

4- إضافة مكر إلى ضمير الغائب- الكفار- من إضافة المصدر إلى ما هو في قوة المفعـول، وهو المجرور بباء التعدية، أي المكر بهم ممَّن زينوا لهم كما في قوله تعـالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[2]، فلما كان الفعل المبني للمجهـول يقتضي فاعلاً منويّاً كان قوله: "زيِّن للَّذين كفروا" في قوة قولك: زيّن لهم مـزين، والشـيء المزيّن (بالفتح) هو الذي الكلام فيه، وهو عبادة الأصنام، فهي المفعول فـي المعنـى لفعـل التزيين المبني للمجهول، فتعين أنَّ المرفوعَ بعد ذلك الفعل هو المفعول في المعنى، فلا جَـرَمَ أنَّ مكرَهم هُو المفعول في المعنى، فتعيّن أن المكرَ مرادٌ به عبادة الأصنام"[3].

5- إضافة (مكر) إلى ضمير الغائب (هم) في قوله تعـالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[4] من إضافة المصدر إلـى

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (14 / 169).

[2] سورة الرعد، آية: 33

[3] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (13 / 153).

[4] سورة إبراهيم، آية: 46

فاعله وانتصب مكرهم الأول على أنه مفعول مطلق لفعل مكروا لبيان النوع، أي المكر الذي اشتهروا به، وكذلك إضافة مكر الثاني إلى ضمير (هم) "[1].

6 – ارتفع مكر على الابتداء في قوله تعـالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ﴾[2]والخبـر محذوف، دل عليه مقابلة هذا الكلام بكلام المستكبرين؛ إذ هو جوابٌ عنه، فالتقدير: بل مكركم صَدَّنا، فيفيد القصر، أي: ما صدَّنا إلاّ مكركم، وهو نقض تام لقولهم: أنحن صـددناكم عـن الهدى؟ وقولِهم: بل كنتم مجرمين في الآية السابقة، ومكر الليل والنهار من الإضـافة علـى معنى (في)، وهنالك مضاف إليه ومجرور محذوفان دل عليهما السياق، أي مكركم بنا"[3].

7– "جاء مكر في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[4]، (مكر أولئك): مبتدأ، و(هو) ضمير فصل، و يبور خبر أي: ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أي: يفسد ويبطل دون مكر الله بهم"[5].

ثانياً: فعل ماضٍ مكر: فعل ماضٍ مجرد ورد ثلاث مرات.

مكرتموه: فعل ماضٍ مضاف إلى تاء المخاطب وهي الفاعل ورد

مرةً واحدةً.

مكرنا: فعل ماضٍ مضاف إلى نون الجمع وهي الفاعل ورد مرة واحدة.

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (13 / 250).

[2] سورة سبأ، آية: 33

[3] انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،(22 / 208).

[4] سورة فاطر، آية: 10

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (3 / 238).

مكروا: فعل ماضٍ مضاف إلى واو الجماعة ورد خمس مرات.

اللفتات والسمات البارزة لورود هذا التصريف في آيات القرآن الكريم:

1 – عطف الفعل الماضي مكروا في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [1]على صلة من الجمع باعتبار معناها، كما أن الإفراد في الضمائر، الأول باعتبار لفظها وكان فيه إشارة إلى اجتماعهم في المكر ليكون أشدَّ وأعظم، وقيل: عطف على عصوني– في الآية السابقة –، والأَول أنسبَ لدلالتهِ على أنَّ المتبوعين ضَموا إلى الضلال الإضلال، وهو الأوفق بالسياق فإنَّ المتبادر أنَّ ما بعده من صفة الرؤساء أيضاً، واعتبار ذلك العطف على أن المعنى: مكر بعضهم ببعض، وقال: بعضهم لبعض خلاف المتبادر " [2]

وقال البقاعي: "ولما كانت كثرة الرؤساء قوة أخرى إلى قوتهم بمتاع الدنيا، وكان التقدير: فأمرتهم بالإيمان فأبوا، وأمروهم بالكفر فانقادوا لهم، عطف عليه مبيِّناً لكثرتِهم بضمير الجمع العائد على (مَن) عاطفاً على (لم يزده) المفردة الضمير للفظ، جامعاً له للمعنى لتجمع العبارةُ الحكمَ على المفرد والجمع، فيكون أدلَّ شيء على المراد منها فقال:(ومكروا)"[3].

ثالثاً: فعل مضارع يمكر: فعل مضارع مجرد ورد مرة واحدة.

يمكرون: فعل مضارع مضاف إلى واو الجماعة ورد سبع مرات.

تمكرون: فعل مضارع بصيغة المخاطب مضاف إلى واو الجماعة.

التي هي الفاعل ورد مرة واحدة.

ليمكروا: فعل مضارع مضاف إلى واو الجماعة ولكن بصيغة

الغائب ورد مرة واحدة.

---

[1] سورة نوح، آية: 22

[2] انظر:الآلوسي، روح المعاني، (29 / 76).

[3] البقاعي، نظم الدرر، (8 / 174).

اللفتات والسمات البارزة لورود هذا التصريف في آيات القرآن الكريم:

1- جاء المكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [1] فعلاً مضارعاً متعلقاً بمحذوف وقع مفعولاً لفعل محذوف معطوف على ما تقدَّم، أو منصوب بالفعل المضمر المعطوف على ذلك أي: واذكر نعمتَه تعالى عليك إذ أو اذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك"[2]. "وهذا المحذوف مَسوق لتذكير النعمة الخاصة به -صلى الله عليه وسلم- بعد تذكير النِّعمة العامة للكل أي: واذكر وقت مكرهم بك"[3].

"والمضارع في جملة: (ويمكرون) للاستقبال، والمضارع في (ويَمكر الله) لاستحضار حالة مكر الله في وقت مكرهم"[4].

2- عبر بالمضارع في (يكتبون) و (يمكرون) في الآية السابقة: للدلالة على التكرر، أي تتكرر كتابتهم كلما يتكرر مكرهم، فليس في قوله: (ما تمكرون) التفات من الغيبة إلى الخطاب لاختلاف معادي الضميرين"[5].

3- ولفظ السيئات في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صفة لمحذوف وليس مفعولاً به ليمكرون؛ لأن (مَكَر) لازم، ولا يتعدى، والتقدير: (والذين يمكرون السيئات)،أي: المكرات السيئات أو أصناف المكرات السيئات، وجوَّز أن يكون مفعولاً على تضمين يقصدون: أو يكسبون، وعلى الأول فيه مبالغة للوعيد الشديد على قصد المكر أو هو إشارة

---

[1] سورة الأنفال، آية: 30

[2] الالوسي، **روح المعاني**، (9 / 197).

[3] انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (4 / 18).

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (9 / 228).

[5] المرجع السابق، (11 / 124).

إلى عدم تأثير مكرهم، والموصول (الذين) مبتدأ وجملة قوله تعالى: "لهم عذاب شديد" خبره؛ أي: لهم بسبب مكرهم عذابٌ شديدٌ"[1].

4- "اللاّم في (ليمكروا) في قوله تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]، لام التّعليل، فإنّ من جملة مراد الله تعالى من وضع نظام وجود الصّالح والفاسد، أن يعمل الصّالح للصـلاح، وأن يعمل الفاسد للفساد، والمكرُ من جملة الفساد، ولام التّعليل لا تقتضي الحصر، فللّه تعالى فـي إيجاد أمثالهم حِكَم جمّة، منها هذه الحكمة، فيظهر بذلك شرف الحقّ والصّلاح ويسطع نوره، ويظهر انْدِحاض الباطل بين يديه بعد الصّراع الطّويل" [3].

رابعاً: مصدر مكراً: جاء مفعولاً مطلقاً في ثلاثة مواضع.

مكراً: جاء تمييز في موضع واحد.

اللفتات والسمات البارزة لورود هذا التصريف في آيات القرآن الكريم:

1- في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾، قال الآلوسي: "أي كبيراً في الغاية، فهو من صيغ المبالغة، وإذا اعتبر التنوين في (مكراً) للتفخيم زاد أمر المبالغة في مكرهم، أي؛ كبيراً في الغاية" [4].

وقال البقاعي: "ومكروا: أي هؤلاء الرؤساء في تنفير الناسِ عن دينهم، وأكَّـد الفعـل بالمصدر دلالةً على قوته فقال: مكراً، وزاده تأكيداً بصيغة هي النهاية في المبالغة فقال: كباراً"[5].

---

[1] انظر: الآلوسي، **روح المعاني**، (22 / 176).

[2] سورة الأنعام، آية: 123

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8 / 49).

[4] الآلوسي، **روح المعاني**،(29 / 76).

[5] البقاعي، نظم الدرر، (8/ 174).

المبحث الثالث

نظائر المكر في القرآن الكريم

"نظير الشيء مثله؛ لأنه إذا نظر إليهما كأنهما سواء في المنظر، وفي التأنيث نظيرة، : النظائر وجمعه نظائر"[1].

والمراد هنا: الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، والتي تشبه في المعنى لفظة المكر، وهي: الخيانة، والكيد، والمِحال، والخداع، والدَخَل، والخَبال، والنفاق، والخنوس، والتحريف، والموريات، والتبييت، وفي ما يلي بيان لوجه الشبه والعلاقة بينها وبين المكر:

المطلب الأول: الخيانة

وردت مادة (الخيانة) ومشتقاتها في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية، وذلك في ثماني سور من سور القرآن الكريم [2]، منها قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[4].

---

[1] الفراهيدي، **العين**، (8 /156).

[2] وردت مادة (الخيانة) في القرآن الكريم،على النحو الآتي: (خانتاهما) مرة واحدة في سورة (التحريم:10)،و(خانوا) مرة واحدة في سورة (الأنفال:71)، و(أخنه) مرة واحدة في سورة (يوسف:52)، و(تخونوا) مرتان في سور ة (الأنفال:27)،و (تختانون) مرة واحدة في سورة (البقرة:187)، و(يختانون) مرة واحدة في سورة (النساء:107)، و(خيانة)مرة واحدة في سورة (الأنفال:58)، و(خيانتك) مرة واحدة في سورة (الأنفال:71)،و(الخائنين) ثلاث مرات في ثلاث سور (النساء:105)،(الأنفال:58)، (يوسف:52)،و(خائنة) مرتان في سورتي (المائدة:13) ،(غافر:19)،(خوان) مرة واحدة في سورة (الحج:38)،و(خواناً) مرة واحدة في سورة (النساء:107)، انظر مادة (خ و ن)عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص 248).

[3] سورة البقرة،آية:187

[4] سورة النساء،آية:105

وورود لفظة الخيانة في هذا العدد من سور القرآن الكريم فيه دلالة واضحة على مـــدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع الخيانة، وفيه أيضاً إشارة إلى خطورة هذا الخلق والتحذير مـــن عاقبته.

أما معنى الخيانة في اللغة فيدور على: الاحتيال والخداع، ومن معـــاني الخيانـــة عنـــد العرب: الولس جاء في لسان العرب: "الولس: الخيانة، ومنه قوله: لا يوالس ولا يدالس. وما لي في هذا الأمر وَلْس ولا دَلْس أي ما لي فيه خديعة ولا خيانة. و الموالسة: الخداع. يقـــال: قـــد توالسوا عليه أي: تناصروا عليه في خب وخديعة"[1].

أما في الاصطلاح فهو: "مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة: الأمانة"[2].

ويلاحظ اشتراك الخيانة والمكر في الاحتيال في الخفاء، يقول ابن تيمية: "ولفظ الخيانـــة حيث استُعمِل لا يستعمَلُ إلا فيما خفيَ عن المخون، كالذي يخون أمانته فيخون مـــن ائتمنـــه إذا كان لا يشاهده، و لو شاهده لما خانه"[3].

والمكر كما ذكر علماء اللغة: "المكر احتيال في خفية، والمكر احتيال بغير ما يضمر"[4].

ولكن ثمة اختلاف بين المكر والخيانة وهو: أن المكر صرف الغير عما يقصده بحيلـــة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميـــل، وعلـــى ذلـــك قـــال تعـــالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[5]، ومذموم وهو: أن يتحـــرى بـــه فعـــل قبـــيح، قـــال تعـــالى:﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا

---

[1] ابن منظور،**لسان العرب**،(6 /258).

[2] الراغب الأصفهاني،**المفردات في غريب القرآن**،(ص 163).

[3] ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرالي،(ت 728)، **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابـــن تيميـــة**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية،(ط2 /بدون سنة نشر)،(440/14).

[4] الفراهيدي،**العين**،(5 /270).

[5] سورة آل عمران،آية:54

بِأَهْلِهِۦ ﴾[1]،[2]، في حين أنَّ الخيانة شر محض، فلا توجد خيانة محمودة لذلك لا تضاف الخيانة الى الله تعالى بأي حال من الأحوال، بل لا يجوز أن يتصف بها المسلم.

المطلب الثاني: الكيد

وردت مادة (الكيد) في القرآن الكريم في تسع وعشرين آية، في ست عشرة سورة، في خمسة وثلاثين موضعاً [3] منها قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[4]، وقد فسر الكيد هنا بالمكر، قال الطبري في معرض تفسيره لهذه الآية بعد أن ذكر القراءات فيها: "الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته تخيله إلى المسحور على خلاف ما هو عليه في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييل فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب"[5]، وقوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[6]، قال الطبري في تفسيرها: "والكيد هو المكر"[7].

---

[1] سورة فاطر،آية:43

[2] الراغب الأصفهاني،**المفردات في غريب القرآن**،(ص 471).

[3] وردت مادة (الكيد) في القرآن الكريم، على النحو الآتي: (كدنا) مرة واحدة في سورة (يوسف:76) ، و(أكيد) مرة واحدة في سورة (الطارق:16)، و(لأكيدن) مرة واحدة في سورة (الأنبياء: 57)، و(فيكيدوا) مرة واحدة في سورة (يوسف:5)، و(يكيدون) مرة واحدة في سورة (الطارق:15)، و (كيدون) مرتان في سورتي (الأعراف:195) و(المرسلات:39)، و (كيدوني) مرة واحدة في سورة (هود: 55)، و (كيد) سبع مرات في ست سور هي: (النساء:76)،(الأنفال: 18)، (يوسف:52)، (طه:69)، (غافر: 25، 37)، و(المرسلات:29)، و (كيداً) ست مرات في خمس سور هي:(يوسف:5)، (الأنبياء:70)، (الصافات: 98)، (الطور: 42)، (الطارق:15، 16)، و (كيدكم)مرة واحدة في سورة (طه: 64)، و(كيدكن) مرتان في سورة (يوسف: 28)، و (كيده) مرتان في سورتي (طه: 60)، (الحج:15)، و (كيدهم) ثلاث مرات في ثلاث سور هي:(آل عمران: 120)، (الطور: 46)، (الفيل:2)، و(كيدهن) ثلاث مرات في سورة (يوسف: 33، 34، 50)، و (كيدي) مرتان في سورتي (الأعراف: 183)، (القلم: 45)، و (المكيدون) مرة واحدة في سورة (الطور: 42)، انظر مادة (ك ي د) عند عبد الباقي،**المعجم المفهرس**،(ص 642).

[4] سورة طه،آية: 69

[5] الطبري، **جامع البيان**، (16 /186).

[6] سورة الأعراف، آية: 183

[7] الطبري، **جامع البيان**، (9 / 135).

نلاحظ مما سبق، أن ورود الكيد بهذا العدد من الآيات والسور، فيه دلالةٌ واضحةٌ على خطورة هذا الخُلق الذي غالباً ما يكون ذميماً إذا كان من البشر، أما في حق الله تعالى فهو دائماً محمود سواءٌ كان على سبيل المقابلة والجزاء، أو من باب التدبير لأوليائه.

والكيد في اللغة فانه يطلق على: الخبث والمكر[1]، كما يطلق على التدبير بباطل أو بحق[2]، وقال ابن فارس: "إن أهل اللغة يسمون المكر كيداً "[3].

أما الكيد في الاصطلاح فقد عرفه الراغب الأصفهاني بقوله: "الكيد ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً أو ممدوحاً، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر يكون بعض ذلك محموداً"[4].

وعرَّفه الجرجاني بقوله: "الكيد: إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخَلْق: الحيلة السيئة، ومن الله: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق"[5].

وعلى هذا فهناك تشابه كبير بين الكيد والمكر، وثمَّ فرق يسير بينهما وهو أن: "المكر مثل الكيد في أنه لا يكون إلا مع تدبر وفكر، إلا أن الكيد أقوى من المكر، والشاهدُ أنَّ الكيد يتعدى بنفسه، والمكر يتعدى بحرف، فيقال: كادَه يكيدَه ومَكَر به، ولا يقال: مكره، والذي يتعدى بنفسه أقوى، والمكر أيضاً: تقدير ضرر الغير من دون أن يعلم به، ألا ترى أنه لو قال له: أقدر أن أفعل بك كذا لم يكن ذلك مكراً، وإنما يكون مكراً إذا لم يعلمْه به، والكيد: اسم لإيقاع المكروه بالغير قهراً سواء علم أم لا، والشاهد قولك: فلان يكايدني، فسمى فعله كيداً وإن علم به"[6].

---

[1] ابن منظور،**لسان العرب**،(3 / 383).

[2] الأزهري، **تهذيب اللغة**،(10 /179).

[3] ابن فارس **معجم مقاييس اللغة**،(5 / 149).

[4] الراغب الأصفهاني،**المفردات في غريب القرآن**،(ص 443).

[5] الجرجاني علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت 816 هـ)، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط1- 1405) ، (ص 1195).

[6] العسكري،أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت:395هـ)، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (ص:260).

المطلب الثالث: المِحال

ورد لفظ المحال في القرآن الكريم في موضع واحد من سورة الرعد[1] –وهي سورة مكية باستثناء آيات منها–[2] في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[3].

وقد فُسِّرَ المحال هنا بالمكر والكيد والحيلة، قال الرازي في تفسيره لهذه الآية بعد أن ذكر الأقوال فيها:"فكان المعنى: أنه سبحانه شديد المكر لأعدائه يهلكهم بطريق لا يتوقعونه"[4].

وقال البيضاوي: المماحلة المكايدة لأعدائه من محل فلان بفلان إذا كايده، وعرضه للهلاك، ومنه تمَحَّل: إذا تكلَّف استعمال الحيلة"[5].

ويطلق المحال في اللغة على الحيلة والكيد والمكر، يقول صاحب لسان العرب: "المِحال: الكيد وروم الأمر بالحيل، و محل به محلاً: كاده بسعاية إلى السلطان، والمحل: المكر والكيد، والمحال: المكر بالحق "[6].

---

[1] انظر مادة (م ح ل) عند عبد الباقي، المعجم **المفهرس**، (ص 662).

[2] سورة مدنية باستثناء الآية (31) منها وهي قوله تعالى – سورة الرعد: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾، انظر،الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق:الأستاذ محمد علي النجار، القاهرة (طبعة سنة 1383 هـ)، (1 / 104).

[3] سورة الرعد،آية:13

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (19 / 23).

[5] البيضاوي،عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي،(ت 685 هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).وانظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم**،(5 /10)، والالوسي،**روح المعاني**،(13 122).

[6] انظر، ابن منظور، **لسان العرب**،(11 /618).

أما في الاصطلاح فقد عرفه الراغب الأصفهاني، فقال في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [1]:"أي الوصول في خفية من الناس إلى ما فيه حكمة، وعلى هذا النحو وصف بالمكر والكيد لا على الوجه المذموم، تعالى الله عن القبيح"[2].

مما سبق نلاحظ أنَّ المِحال يشترك في معناه مع المكر في جانب التدبير والجزاء من الله سبحانه وتعالى؛ لانَّ المِحال لم يُذكر في القرآن الكريم إلا في حق الله تعالى.

المطلب الرابع: الخداع

ذكر الخداع في القرآن الكريم في خمسة مواضع، في ثلاث سور،في ثلاث آيات [3]، ومن الملاحظ أن هذه السور كلها مدنية، وفي هذا إشارة إلى ظهور النفاق وفشوِّه بعد الهجرة إلى المدينة المنورة؛ لتحذير المسلمين من هذا الداء الخطير؛ ولتوهين كيد هؤلاء المنافقين، والتأكيد على أن مكرهم وخداعهم إلى البوار، ومن الآيات التي ورد فيها الخداع،قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [4]وقد فسر الخداع هنا بالمكر، قال السعدي في معرض تفسيره لهذه الآية: "المخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئاً، ويبطن خلافه؛ لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع، فهؤلاء المنافقون سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن هذا من العجائب؛ لأن المخادع إما أن ينتج خداعه ويحصل ما يريد، أو يسلم لا له ولا عليه وهؤلاء عاد خداعهم عليهم وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم شيئاً، وعباده المؤمنون لا يضرهم كيدهم شيئا فلا يضر المؤمنين إن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت بذلك أموالهم، وحقنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل

---

[1] سورة الرعد،آية:13

[2] الراغب الأصفهاني،**المفردات في غريب القرآن**،(ص 138).

[3] وردت مادة (الخداع) في القرآن الكريم، على النحو الآتي: (يخدعوك) مرة واحدة في سورة (الأنفال: 62)، و (يخدعون) مرة واحدة في سورة (البقرة: 9)، و (يخادعون) مرتان في سورتي (البقرة: 9)، (النساء: 142)، و (خادعهم) مرة واحدة في سورة (النساء:142)، انظر مادة (خ د ع) عند عبد الباقي،**المعجم المفهرس**، (ص 227).

[4] سورة البقرة،آية: 9

لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة "[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]، ويخدعوك تعني: "يمكروا ويغدروا"[3].

أما الخداع في اللغة فهو: الإخفاء، جاء في معجم الأفعال: "أخدعت الشيء: أخفيته، ومنه المَخدَع: وهي الخزانة، والأخدعان: العرقان في العنق لخفائهما"[4].

وقال صاحب اللسان: "والخدع: إظهار خلاف ما تخفيه...، وخديعة وخدعة أي: أراد به المكروه وختله من حيث لا يعلم"[5].

وفي الاصطلاح: "الخداع: إنزال الغير عمَّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه"[6].

نلاحظ مما سبق أن الخداع يلتقي مع المكر في إضمار الشرِّ والمكروه إذا كان من البشر، باستثناء الخداع في الحرب، فهو من باب: التخطيط والتدبير الجائز؛ لقوله عليه السلام في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "الحرب خَدْعَة"[7]، وهو من باب المقابلة والتدبير والجزاء، إذا كان من الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾[8] قال الشوكاني: "ومعنى كون الله خادعهم: أنه صنع بهم صنع مَن يخادع

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 42).

[2] سورة الأنفال، آية:62

[3] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت:710هـ)، **تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس – بيروت، طبعة سنة (2005م)، (2 /72).

[4] السعدي، **الأفعال**،(1 / 286).

[5] ابن منظور،**لسان العرب**، (8 / 63).

[6] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (ص 143).

[7] البخاري،محمد بن إسماعيل الجعفي،(ت 256 هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت،(ط 3 /1407 هـ)، كتاب الجهاد والسير،باب: الحرب خدعة،حديث: 2866، (3 / 1102).

[8] سورة النساء، آية: 142

من خادعه، وذلك أنه تركهم على ما هم عليه من التظاهر بالإسلام في الدنيا فعصم به أمــوالهم ودماءهم، وأخَّر عقوبتهم إلى الدار الآخرة، فجازاهم على خداعِهم بالدرك الأسفل من النار"[1].

المطلب الخامس: الدَخَلْ

ذكرت لفظة الدَخَل في القرآن الكريم في سورة واحدة، في آيتين منهــا[2]، وهــي قولــه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَـٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾[3].

وقد فسر الدَخَل هنا بالخديعة، قال الطبري في تفسيرها: "يقول تعالى ذكــره: تجعلــون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه دخــلاً بيــنكم يقــول: خديعــة وغروراً؛ ليطمئنوا إليكم، وأنتم مضمرون لهم الغدر، وترك الوفاء بالعهد، والنقلة عــنهم إلــى غيرهم؛ من أجل أنَّ غيرَهم أكثرُ عدداً منهم"[4].

وقال ابن كثير: "دَخَلاً: أي خديعة ومكراً"[5].

وقولــه تعــالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[6].

قال الطبري: "ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلاً وخديعة بينكم تغرون بها الناس"[7].

---

[1] الشوكاني،محمد بن علي بن محمد،(ت 1250 هـــ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)،(1 / 529).

[2] انظر مادة (د خ ل) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص 255).

[3] سورة النحل، آية: 92

[4] الطبري، **جامع البيان**، (14 /166).

[5] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (2 / 585).

[6] سورة النحل، آية: 94

[7] الطبري، **جامع البيان**، (14 / 168).

وقال الفيروزابادي: "دخلاً: دغلاً ومكراً وخديعةً"[1].

أما الدخَل في اللغة فهو: دخل الأمر دخلاً: فسد، وقوله تعالى: "ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم أي: مكراً وخديعة"[2].

والدَخَل في الاصطلاح، الدَغلْ، والمَكْر[3].

مما سبق نلاحظ اشتراك الدَخَل مع المكر في جانبه المذموم، وهو الغدر والخداع والتغرير بالناس.

المطلب السادس: الخبال

ذكر الخبال في القرآن الكريم، في موضعين، في سورتين، في آيتين،[4] وهما:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِى صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾[5].

وقد فُسِّرَ الخبالُ هنا بالمكر والخديعة، قال أهل التفسير: "لا يألون المؤمنين خبالاً: أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم"[6].

---

[1] الفيروزابادي، **تنوير المقباس**، (ص 330).

[2] السعدي، **الأفعال**، (ص 453).

[3] انظر: ابن الجوزي، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (ص 297).

[4] وردت مادة (الخبال) في القرآن الكريم، على النحو الآتي: (خبالاً) مرة واحدة في سورة (آل عمران:118)، و (خبالاً) مرة واحدة في سورة) التوبة: 47)، انظر مادة (خ ب ل) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص 227).

[5] سورة آل عمران، آية: 118

[6] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (1 / 299)، وانظر: السمرقندي، **بحر العلوم (تفسير السمرقندي)**، (1 /266)، و القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (4 / 179).

وقولـــه تعـــالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1].

قال أهل التفسير في معنى "خبالاً" في هذه الآية: أي شراً وفساداً [2].

أما معنى خبالاً في اللغة فهو: " فساد في القوائم حتى لا يدري كيف يمشي فهو متخبـل خبل"[3]: "وبطانة لا تألوه خبالاً أي: لا تقصر في إفساد أمره"[4].

وفي الاصطلاح: الفساد والشر[5].

مما سبق نلاحظ أن الخبال يشترك مع المكر في جانبه المذموم مـن الخـداع والشـر والفساد، ويفترق معه في جانبه المحمود، فالخبال كله شر وفساد، أما المكر فمنه المحمود ومنه المذموم.

المطلب السابع: النفاق

ورد لفظ النفاق ومشتقاته في القرآن الكريم في ستة وثلاثين موضعاً، في تسع وعشرين آية، في إحـدى عشـرة سـورة[6]، كقولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ

---

[1] سورة التوبة، آية: 47

[2] انظر ا لطبري،**جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، (10 / 144)، و ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسـير**، (3 / 447)، والرازي، **مفاتيح الغيب**، (16 /65)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (8 / 156).

[3] الفراهيدي، **العين**، (4 / 272).

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، (11 / 196).

[5] انظر: أبا بكر محمد بن عزيز السجستاني، (ت 330 هـ)، **غريب القرآن**، محمد أديـب عبـد الواحـد جمـران، دار قتيبة،(طبعة سنة / 1416 هـ)، (ص 205).و الهائم المصري، **التبيان في غريب القرآن**، (ص125)، و أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي،(ت 1094)، **الكليـات**، تحقيق: عدنان درويش – محمـد المصـري، مؤسسـة الرسـالة – بيروت،(طبعة سنة /1419 هـ)، (ص 436).

[6] وردت مادة النفاق في القرآن الكريم،على النحو الآتي: (نافقوا) مرتان في سورتي (آل عمران: 167) و(الحشـر: 11)، و(النفاق) مرة واحدة في سورة (التوبة:101)، والمنافقات خمس مرات في أربع سور: (التوبـة: 67، 68)، (الأحـزاب: 73)، (الفتح:6)، (الحديد: 13)، و (المنافقون) ثماني مرات في خمس سور: (الأنفـال: 49)، (التوبـة: 64، 67، 101)، (الأحزاب: 12، 60)، (الحديد: 13)، (المنافقون: 1)، و (المنافقين) تسعة عشر مرة فـي سـبع سـور: (النسـاء: 61، 88،138، 140، 142، 145)، (التوبة: 67، 68، 73)، (العنكبوت: 11)، (الأحـزاب: 1، 24، 28، 73)، (الفـتح: 6)، (المنافقون: 1، 7، 8)، (التحريم: 9)، انظر مادة (ن ف ق) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص 716،717).

لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [1].

"والذين نافقوا هم الذين اظهروا خلاف ما أضمروا"[2].

وقولـــه تعـــالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [3]، والمنافقون هم الــذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر"[4].

ومن الملاحَظ أنَّ السور التي ورد فيها لفظ النفاق سورٌ مدنية باستثناء سورة العنكبوت، وهذا يدلُ على أنَّ النفاقَ بدأ في المدينة بسبب قوة المسلمين، وقد اخذ الحديث عنه مساحة كبيرة في القرآن الكريم، مما يدل على خطورة هذه الظاهرة على أمن المجتمع المسلم.

أما النفاق في اللغة فهو مشتق من: "نافق ينافق منافقة ونفاقاً، وهو مأخوذ من النافقاء[5]، لا مــن النفق، وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره[6].

وفي الاصطلاح: "النفاق إظهار الإيمان مع إسرار الكفر""[7].

بناءً على ما سبق نرى أن هناك ارتباطاً بين المعنى اللغــوي والمعنـــى الاصـــطلاحي للنفاق، قال العسكري:" النفاق إظهار الإيمان مع إسرار الكفر وسمي بذلك؛ تشبيهاً بمـــا يفعلـــه اليربوع، وهو أن يجعل بجحره باباً ظاهراً، وباباً باطناً يخرج منه إذا طلبه الطالب"[8].

---

[1] سورة الحشر، آية: 11

[2] انظر: البغوي، **معالم التنزيل في التفسير**، (4 / 321).

[3] سورة الأنفال، آية: 49

[4] انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (2 / 316)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (8 / 27).

[5] النافقاء موضع يرققه اليربوع في جحره، فإذا أخذ من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها، وبعض يســمي النافقاء النفقة، الفراهيدي، **العين**، (178/5).

[6] ابن منظور،**لسان العرب**،(10/ 359).

[7] العسكري، **الفروق اللغوية**، (ص 251).

[8] العسكري، **الفروق اللغوية**، (ص 251).

كما أن هناك ارتباطاً وتشابهاً بين النفاق والمكر في جانبه المـذموم، فـالمكر: خـداع واحتيال في الخفاء، وهو احتيال بغير ما يضمر، وكذلك النفاق إظهار لخلاف ما يبطن.

المطلب الثامن: الخنوس

ورد لفظ الخنوس ومشتقاته في القرآن الكريم في موضعين، في آيتين، في سـورتين [1] هما: قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ [2]،قال الشوكاني: "وهي الكواكب وسميت الخنس من خنس إذا تأخر؛ لأنها تخنس بالنهار فتخفى ولا ترى"[3].

وقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [4]، وفسر الخنوس فـي هـذه الآيـة: "بالاختفاء، والشيطان يُلقَّب بالخناس؛ لأنه يتصل بعقل الإنسان وعزمه من غير شعور منه فكأنَّه خنس فيه، وأهلُ المكر والكيد والتختل خنّاسون؛ لأنهم يتحينون غفلات الناس، ويتسترون بأنواع الحيل لكيلا يشعر الناس بهم"[5].

نلاحظ مما سبق أن الخنوس يلتقي مع معنى المكر في السياق القرآني، ولكن في جانبه المذموم فقط.

أما الخنوس في اللغة فهو: "الانقباض والاستخفاء"[6].

والخناس في الاصطلاح:: "الشيطان الذي يخنس أي: ينقبض إذا ذكر الله"[7].

---

[1] وردت مادة (الخنوس) في القرآن الكريم على النحو الآتي: (الخنس) مرة واحدة في سورة (التكوير: 15)،و (الخنـاس) مرة واحدة في سورة (الناس: 4)، انظر مادة (خ ن س) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص 246).

[2] سورة التكوير، آية: 15، 16

[3] الشوكاني، **فتح القدير**، (5 / 390).

[4] سورة الناس، آية: 4

[5] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (30 / 634).

[6] الفراهيدي، **العين**، (4 / 199).

[7] الراغب الأصفهاني، **المفردات**، (ص 159).

نلاحظ أيضاً التشابه بين المعنى اللغوي للخنوس، وبين المعنى اللغوي للمكر من حيث: الاستخفاء والالتفاف والانقباض، وكل ذلك من أجل الاحتيال والخداع، قال: الماوردي: "وأصل المكر: الالتفاف، ولذلك سمي الشجر الملتف مكراً، والمكر هو: الاحتيال على الإنسان لالتفـاف المكروه به"[1].

المطلب التاسع: التحريف

ورد لفظ التحريف ومشتقاته في القرآن الكريم في ستة مواضع، في ست آيـات، فـي خمس سور[2].

منهـا قولـه تعـالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[3]،قال السعدي: "يحرفون أي: يجلبون معاني للألفاظ، مـا أرادهـا الله، ولا قصدها؛ لإضلال الخلق؛ ولدفع الحق، فهؤلاء المنقادون، للدعاة إلى الضلال، المتبعون للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا همم"[4].

وقوله تعـالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[5]، قـال الشـوكاني: "التحرف: الزوال عن جهة الاستواء، والمراد به هنا: التحرف من جانب إلى جانب في المعركة

---

[1] الماوردي،**النكت والعيون**، (296/1).

[2] وردت مادة (التحريف) في القرآن الكريم على النحو الآتي: (يحرفون) ثلاث مرات في سورتي (النساء: 46)، (المائدة: 13، 41)، و (يحرفونه) مرة واحدة في سورة (البقرة: 75)، و (متحرفاً) مرة واحدة في سورة (الأنفال: 16)، و (حرف) مرة واحدة في سورة (الحج: 11)، انظر مادة (ح ر ف) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص 197).

[3] سورة المائدة، آية: 41

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 231).

[5] سورة الأنفال، آية: 16

طلباً لمكائد الحرب، وخدعاً للعدو، وكمن يوهم أنه منهزم ليتبعه العدو فيكر عليه ويتمكن منـــه، ونحو ذلك من مكائد الحرب فإن الحرب خدعة"[1].

وقال القمي النيسابوري: "متحرفاً لقتال: هو الكرّ بعد الفرّ، يخيل إلى عدوّه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب"[2].

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: "حدثنا أبو بَكْرِ بن أَصْرَمَ أخبرنا عبـــد اللَّهِ أخبرنا مَعْمَرٌ عن هَمَّامِ بن مُنَبِّهٍ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال سَمَّى النبـــي صـــلى الله عليه وسلم الْحَرْبَ خَدْعَةً[3]"[4].

أما التحريف في اللغة فهو كما قال ابن سيده: "التحريف في القـــرآن والكلمـــة تغييـــر الحرف عن معناه"[5].

وفي الاصطلاح: " تغيير اللفظ دون المعنى "[6].

نلاحظ مما سبق التشابه الواضح بين التحريف والمكر سواءً من الناحية اللغوية أو مـــن الناحية الشرعية، فالمكر: احتيال أو تدبير بإظهار خلاف ما يبطن وهو محمود ومذموم، وكذلك التحريف، فهو أيضاً احتيال أو تدبير بإظهار خلاف الباطن، وهو محمود في حالة خداع العدو، ومذموم إذا كان لتبديل كلام الله وتغييره لإضلال الناس وصدهم عن السبيل، كما فعـــل اليهـــود عندما حرفوا التوراة.

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، (2 / 294).

[2] القمي النيسابوري، **غرائب القرآن**، (3 / 383).

[3] خدعة بفتح الخاء وإسكان الدال على الأفصح ويقال بضم الخاء ويقال خدعة بضم الخـــاء وفـــتح الـــدال ثـــلاث لغـــات مشهورات، انظر: النووي، أبا زكريا يحيى بن شرف بن مري، (ت 676 هـــ)، **صحيح مسلم بشرح النـــووي**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط 2 / 1392هـــ)، (7 / 169).

[4] البخاري، **الجامع الصحيح**،كتاب الجهاد والسير،باب (الحرب خدعة)،حديث: 2865،(3 /1102).

[5] ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (3/ 307).

[6] الجرجاني، **التعريفات**، (ص 75).

المطلب العاشر: الموريات

ورد لفظ الموريات في القرآن الكريم في موضع واحد،في آية واحدة، في سورة واحدة [1] وهي قولــه تعــالى: ﴿وَٱلۡعَـٰدِيَـٰتِ ضَبۡحًا ۝١ فَٱلۡمُورِيَـٰتِ قَدۡحًا ۝٢﴾[2]، قــال مجاهــد الموريات: يعني مكر الرجال[3].

والموريات في اللغة من التورية قال الطالقاني: "التَّوْرِيَةُ: إخْفَاءُ الخَيْرِ وإظْهَــارُ الشَّــرِّ، ورَّيْتُه أُوَرِّيْهِ تَوْرِيَةً، وفي الحَدِيْثِ: ' كانَ إذا أرَادَ سَفَراً ورّى بغَيْرِه '[4]، وأوْرَيْتُ الشَّيْءَ: أخْفَيْته، والوِرَاءُ: كُلُّ ما يَسْتَتِرُ به الإنسانُ بكَسْرِ الواو"[5].

أما التورية اصطلاحاً قال الكفومي: "وهي في الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفرداً له حقيقتان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفــظ عليه خفية، ويريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالقريب فيوهم السامع أول وهلة أنه يريــد المعنى القريب وليس كذلك؛ ولهذا سمي هذا النوع إيهاما"[6].

نلاحظ مما سبق التشابه الكبير بين المكر والتورية من حيث الستر والخفــاء، فكلاهمــا إظهار لخلاف الباطن سواء كان ذلك محموداً أو مذموماً.

---

[1] انظر مادة (و ر ى)عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص 749).

[2] سورة العاديات، آية: 1،2

[3] مجاهد بن جبر، **تفسير مجاهد**،(2 / 776).

[4] الحديث رواه عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن كَعْب بن مَالِكٍ قال:" سمعت كَعْبَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه يقول كان رســول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إلا وَرَّى بِغَيْرِهَا..."، انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب: غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، حديث: 4153، (4 / 1602).

[5] الطالقاني، **المحيط في اللغة**، (10 / 292).

[6] الكفومي، **الكليات**، (ص 277).

المطلب الحادي عشر: التبييت

ورد لفظ التبييت ومشتقاته في القرآن الكريم في أربعة مواضع، في ثلاث آيــات، فــي سورتين[1]، منها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾ [2]، قال الزمخشري: "زَوَّرَتْ طائفة وَسَوت، غيرَ الذي تقول: خلاف ما قلت وما أمرت به، أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة؛ لأنهم أبطنوا الــرد لا القبــول، والعصــيان لا الطاعة"[3].

وقولـــه تعـــالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [4]،قال أبو السعود: "لنبيتنه وأهلــه: أي لنبــاغتن صالحاً وأهله ليلاً ونقتلنهم"[5]، وقال تعالى في الآية التــي تليهــا: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[6]،

قال ابن الجوزي: "فهذا كان مكرهم فجازاهم الله عليه فأهلكهم"[7].

أما التبييت في اللغة فهو: "بَيَّتَ الأَمْرَ: عَمِلَهُ لَيْلاً، أو دَبَّرَه لَيْلاً" [8].

---

[1] وردت مادة (التبييت) في القرآن الكريم على النحو الآتي: (بيت) مرة واحدة في سورة (االبقرة:135)، و(لنبيتنــه) مــرة واحدة في سورة (النمل: 49)، و(يبيتون) مرتان في سورة (النساء: 81، 108)، انظر مادة (ب ي ت) عند عبد البــاقي، **المعجم المفهرس**، (ص 140).

[2] سورة النساء، آية: 81

[3] الزمخشري، **الكشاف**، (1 / 571).

[4] سورة النمل، آية:49

[5] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (6 / 290).

[6] سورة النمل، آية: 50

[7] ابن الجوزي، **زاد المسير**، (6 / (182.

[8] ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (9 / 526).

وفي الاصطلاح، التبييت: "تدبير الفعل بالليل"[1].

والعلاقة واضحة بين التبييت والمكر، سواءً من الناحية اللغوية أو من الناحية الشرعية، فالتبييت: تدبير لإيقاع المكروه بالعدو، والمكر أيضاً يكون تدبيراً لإيقاع المكروه، فهما يتشابهان في الجانب المذموم، فلم يأت التبييت في القرآن إلا مذموماً، ويفترقان في أن التبييت لا يكون إلا ليلاً، بينما المكر يكون في الليل والنهار.

من كل ما سبق، نلاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مفهوم المكر ونظائره في القرآن الكريم؛ فالمكر يشترك مع هذه المفاهيم في التدبير للعدو سواءً كان ذلك محموداً أو مذموماً، كما أن المكر يشترك مع نظائره في الستر والخفاء سواءً كان ذلك في الليل أم في النهار، فالمكر يتضمن جميع معاني الخيانة، والكيد، والمِحال، والخداع، والدَخَل، والخَبال، والنفاق، والخنوس، والتحريف، والتورية، والتبييت بغرض المباغتة والمفاجأة للممكور بهم، بعد أن حصلت لهم الطمأنينة والسكينة، لإحكام القبضة عليهم، وذلك التدبير لا يكون إلا سراً بغض النظر عن كونه في الليل أم في النهار، ومحموداً أو مذموماً.

---

[1] الراغب الأصفهاني، **المفردات**، (ص 65).

الفصل الثاني

أنواع المكر

المبحث الأول: أنواع المكر الحسن

المبحث الثاني: أنواع المكر السيئ

المبحث الأول

أنواع المكر الحسن

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وبين له طريقي الخير والشر، وبين له عاقبة كل طريق، وأعطاه الحرية الكاملة في اختيار الطريق الذي يرتضيه لنفسه، بعد أن أنعم عليه بالعقل الذي يُميِّز به الخير من الشر.

"وقوة العقل هي إحدى القوى الأربع التي إذا اعتدلت في الإنسان يكون إنساناً كاملاً، وهذه القوى هي: قوة العقل، وقوة الشجاعة، وقوة العفة، وقوة العدل، ومن اعتدال هذه القوى الأربع تصدر الأخلاق الجميلة كلها، فمن اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطُّن لدقائق الأمور، ومن إفراطها المذموم تحصل الصفات المذمومة والأخلاق القبيحة، مثل: المكر والحقد والخداع والدهاء والحيلة"[1].

ومتى حصلت هذه الصفات من العبد استحق من الله تعالى الجزاء والعقوبة إذا كان يقصد بها إيقاع الضرر بالآخرين، والمكر الحسن كما يقع من الله تعالى عقوبةً، وجزاءً لأهل المكر، فإنه قد يقع أيضاً من بعض البشر، لنشر دعوة، أو استرداد حق، أو غير ذلك، وقد قامت الباحثة بتقسيم هذا المبحث إلى أربعة أقسام على النحو الآتي:

المطلب الأول: المكر الإلهي

استأثر المكر الإلهي بالنصيب الأكبر من هذا المبحث، فقد تعددت أنواعه، وكثرت الآيات التي تحدثت عنه، وتميز عن المكر السيئ، بأنه مكر بالحق، ولأجل الحق، فقد أخبر سبحانه وتعالى أن مكره، خيرٌ محض، كما أخبر سبحانه أنه خير الماكرين، وأسرعُ الماكرين، لذلك كان المكر الإلهي أعلى مراتب المكر الحسن؛ "لأنه محاربة للشر، ولذلك يوضح لنا الله تعالى هذا الأمر بقوله: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[2]، "فإن كانوا

---

[1] انظر: عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، (ت: 1300هـ)، **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (ص 7).

[2] سورة الأنفال، آية: 30

يمكرون ويبيتون، فهم إن بيتوا عن الخلق جميعا لا يبيتون على الله...، وان بيت الله لهم فلن يستطيعوا كشف هذا التبييت، إذن فالله خير الماكرين، لأن تبييتهم مكشوف أمام الخالق، لذلك فهو مكر ضعيف، أما المكر الحقيقي فهو الذي لا توجد وسيلة تعرفه بها"[1].

"والمكرُ الإلهي باب واسع عظيم النفع، فمن تدبره يجده متضمناً لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته، بأن يعكس عليه مقصوده شرعاً وقدراً، دنيا وآخرة، وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده بأن من مكر بالباطل مُكِر به، ومن احتال احتِيل عليه، ومن خادع غيره خُدِع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[2]،وقال تعالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [3]، فلا تجد ماكراً إلا وهو ممكور به، ولا مخادعاً إلا وهو مخدوع، ولا محتالاً إلا وهو محتال عليه"[4].

والمكر في حق الله تعالى يختلف عن مكر المخلوقين السيئ، فلا يأتي به سبحانه ابتداءً، ولا ينسب إليه على سبيل الإطلاق، ولا يكون إلا مقابلةً لفعل العباد، كما اتفق علماء السلف، لأنه في غير المقابلة لا يليق باللّه تعالى، وفي معرض المقابلة فهو في غاية العلم والحكمة والقدرة"[5].

والمتتبع لأنواع المكر الإلهي في القرآن الكريم يجدها على النحو الآتي:

1- الاستدراج والإملاء

الاستدراج من أكثر أنواع المكر الإلهي حيلة، فالله سبحانه وتعالى بحكمته، يفتح على أهل المكر من نعيم الدنيا ما يشغلهم، عن توقع العقوبة، ويمهلهم طويلاً حتى إذا اطمأنوا،

---

[1] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر ولا دار نشر)، (3/ 1889).

[2] سورة النساء، آية: 142

[3] سورة فاطر، آية: 43

[4] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، (ت 751)، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، (ط2 / 1395 هـ)، (1 / 360)بتصرف.

[5] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، (ت:1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1415هـ/1995م)، (8 / 496).

وفرحوا بما أوتوا أخذهم بالعقوبة على حين غرة، فالاستدراج دنو من العقوبة شيئاً فشيئاً، قال ابن منظور: "استدرجه: أي أدناه منه على التدريج"[1].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾[2].

أي: "الذين كذبوا محمداً والقرآن– يعني أهل مكة – سنمكر بهم من حيث لا يعلمون"[3].

ونقل البغوي في تفسيره عن الضحاك[4] قوله:"كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة"[5].

وذكر صاحب المرقاة في معنى الآية قولاً آخر، قال:"يظهر لهم الكرامات حتى يظنوا أنهم أولياء الله ثم يأخذهم على غفلة وغرة ويميتهم على غفلة"[6].

وترى الباحثة أن إظهار الكرامات للكفار أمر مستبعد، لأنها أمر خص الله به بعض أوليائه من المؤمنين، ولو أظهرها لهم لاستغلُّوها للصد عن سبيل الله وخداع الناس وإضلالهم.

واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة، فيجعلوا رزق الله ذريعة، إلى ازدياد الكفر والمعاصي، والصحة، والرزق، والمدّ في العمر إحسان من الله وإفضال، يوجب عليهم الشكر والطاعة، ولكنهم يجعلونه سبباً في الكفر باختيارهم، لذلك فانه تعالى يمهلُهم، ويمتِّعهم

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 268).

[2] سورة الأعراف، آية: 182– 183

[3] الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (1 / 423).

[4] هو الضحاك بن مزاحم البلخي، أبو القاسم، كان مؤدباً، ويقال كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف عليهم على حمار، ويروى أن الضحاك حملت به أمه عامين، وقيل إنه مات سنة خمس ومائة، وقيل سنة ست، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت:748هت)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1995/1م) (445/3 – 446).

[5] البغوي، **معالم التنزيل في التفسير**، (2 / 218).

[6] القاري، علي بن سلطان محمد، (ت 1014هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق: جمال عيتاني،: دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1 / 1422 هـ – 2001 م)، (5 / 394).

بالنِّعم، ثمَّ يأخُذهم على حين غرة[1]. أو يمدهم بالأموال والبنين، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2].

قال الطبري في معرض تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا[3] أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نسابق لهم في خيرات الآخرة ونبادر لهم فيها، بل لا يشعرون، يقول تعالى ذكره تكذيباً لهم: ما ذلك كذلك، بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدهم به من ذلك إنما هو إملاء واستدراج لهم"[4].

وقال السمعاني: "ليس الأمر على ما يظنون أن المال والبنين خير لهم، بل هو استدراج لهم، ومكر بهم، فهو معنى قوله تعالى: "بل لا يشعرون"[5].

أو إجابة دعائهم في المواقف العصيبة استدراجاً لهم كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[6].

أو يمهلهم لأَجَلٍ معين، كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[7].

"الإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة العمر"[8].

---

[1] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (4 / 599) بتصرف.

[2] سورة المؤمنون، آية: 55 – 56

[3] أي: تفرقوا في دينهم، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (4/ 216).

[4] الطبري، **جامع البيان**، (18/ 31) بتصرف.

[5] السمعاني، **تفسير القرآن العزيز**، (3 /479).

[6] سورة العنكبوت، آية: 65

[7] سورة القلم، آية: 44 – 45

[8] ابن منظور، **لسان العرب**، (15/ 290).

والإمهال باب من أبواب الاستدراج، فالله تعالى لا يعاقبهم على ذنوبهم فــور وقوعهــا منهم، ولكن يؤخر لهم العقوبة، ويطيل في أعمارهم، حتى يظنوا أن لا محاســب لهــم، ولــئن حوسبوا سيكونون من الفائزين، كما كان من صاحب الجنتين الذي أنكر البعث، وكفــر بربــه، فاستحق العذاب المفاجئ، بعد الإمهال وإغداق النعم عليه، قال تعالى على لســانه: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

ومعنى التخوف هنا: التنقص والتدرج، أو الخوف، كما ذكر بعض أهل التفسير: فهو إما أن ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة، ولهــذا أشار بقوله: ﴿فَإِن رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخفَّ من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف في الآية حتى قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا.

والثاني أنه من الخوف أي يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك فيأخذهم بعــد أن توقعــوا العذاب وخافوه"[3].

2- رفع عيسى عليه السلام

قــــال تعـــــالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ

---

[1] سورة الكهف، آية: 36

[2] سورة النحل، آية: 47

[3] الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، (ت741 هـــ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي – لبنان، (ط 4 / 1403 هـــ – 1983 م)، (2 / 154)، والزمخشري، **الكشاف**، (2/ 568)، والشوكاني، **فتح القدير**، (3/ 165).

﴿ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾[1]

لم يكن تدبير الله لعيسى -عليه السلام- أمراً جديداً، ولا مستغرباً في حق الله تعالى، فسنته في التدبير لأوليائه جارية منذ آدم - عليه السلام- إلى يومنا هذا، فهو الذي دبر لصالح- عليه السلام- ونجاه من القتل، وهو الذي نجا موسى-عليه السلام- من فرعون، وهو أيضاً من دبر لنبينا محمد -عليه السلام- ونجاه من قريش، ولكن هذه المرة كانت طريقة النجاة مختلفة عن غيرِها مِن الطرق، فلم يكتفَ منهم برفع عيسى -عليه السلام- بل قابل مكرهم بمكر أشد؛ بان ألقى شَبَه عيسى-عليه السلام - على رجلٍ آخر، وقد تتبعت الباحثة الآيات التي ذكرت رفع عيسى- عليه السلام- وما قاله المفسرون على النحو الآتي:

قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2].

قال الرازي: "وأما مكر الله تعالى بهم، ففيه وجوه الأول: مكر الله تعالى بهم؛ وهو أنه رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، والوجه الثاني: أن الحواريين كانوا اثني عشر، وكانوا مجتمعين في بيت، فنافقَ رجلٌ منهم، ودلَّ اليهودَ عليه، فألقى الله شبهه عليه ورفع عيسى، فأخذوا ذلك المنافق الذي كان فيهم، وقتلوه وصلبوه على ظن أنه عيسى عليه السلام، فكان ذلك هو مكر الله بهم"[3]، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾[4].

[1] سورة آل عمران، آية: 54- 55

[2] سورة النساء، آية: 158

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (8 / 58).

[4] سورة النساء، آية: 157

والباحثة لا ترى ضرورة للتفصيلات التي ذكرها المفسرون حول كيفية رفعه، ومن هو الشخص الذي شبه به، وكيفية ذلك، وتكتفي بما جاء في النص القرآني بـان عيسى –عليه السلام– لم يقتل، ورفع إلى الله عز وجل، وان شبهه القي على رجل آخر، تمشياً مع منهجية البحث.

3- العلم المسبق بما سيكون

لو علم أهل المكر أن الله تعالى يعلم ما سيكون منهم، وأنَّه قد أعد لهم مكراً يقابل مكرهم، ما اجترئوا على مكرهم.

"ومن علم ما تكسب كل نفس، وأعدّ لها جزاءها فهو المكر كله؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون، وهم في غفلة مما يراد بهم"[1].

"فالله سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2]، وإن كان يعلم أنهم لا يردون ولكن اخبر أنهم لو ردوا لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[3] "[4].

"والحق سبحانه يعلم ما يخفى عن الأعين في أعماق الكائنات؛ خَيْر هو أو شَرّ، ويحمي مَنْ شاءَ من عباده من مَكْر الماكرين، ويُنزِل العقاب على أصحاب المَكْر السيئ بالرسل والمؤمنين"[5].

---

[1] الزمخشري، **الكشاف،** (2 / 503).

[2] سورة الأنعام، آية: 28

[3] سورة الأنفال، آية: 23

[4] الحنفي، ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية،** (ص 152).

[5] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (12/ 7412).

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [1]،أي: "فلله أسباب المكر جميعاً، وبيده وإليه، لا يضر مكر من مكر منهم أحداً إلا من أراد الله سبحانه ضره به، فلم يضر الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضره ذلك، وإنما ضروا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم ونجى رسله، فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد- صلى الله عليه وسلم- والله منجيك من مكرهم وملحق ضرَّ مكرهم بهم دونك"[2].

4- الإهلاك بطريق غير معهود

خسر من أَمِنَ مَكرَ الله، وجهل بقدرته، وسرعةِ مكره وتدبيره، فقد قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [3].

وفي الأثر عن ابن مسعود أنه قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"[4].

وقد أنذر سبحانه وتعالى الجاحدين بآياته، المكذبين لرسله، الماكرين بالخلق، الصارفين لهم عن اتباع الحق، بأنهم ليسوا بمأمن من مكر الله، وضرب لهم أمثلة على ما سيحل بهم إن استمروا على ضلالهم، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [5].

---

[1] سورة الرعد، آية:42

[2] الطبري، **جامع البيان**، (13/ 175).

[3] سورة الأعراف، آية: 97 - 99

[4] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة الزهراء - الموصل، (ط2/1404هـ/1983م)، رقم (8784) (156/9).

[5] سورة الأعراف، آية: 97 - 99

فهذه أمثلة على أساليب الله في المكر بأعدائه، فالله قادر على أن يخسف بهم الارض "كما خسف بقارون من قبلهم، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، يعني: أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم، أو يأخذهم في تقلبهم، بمعنى: في تصرفهم في الأسفار فإنه سبحانه وتعالى قادر على إهلاكهم في السفر كما هو قادر على إهلاكهم في الحضر"[1].

"وكان ذكر وقت البيات، ووقت اللعب، تهديداً لهم بأن يصيبهم العذاب بأفظع أحواله، إذ يكون حلوله بهم في ساعة دعتهم وساعة لهوهم نكاية بهم"[2].

وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾[3].

والمعنى: "يغيبكم فيها كما فعل بقارون وهي تضطرب، أو يمطر عليكم حصباء من السماء فستعلمون كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ"[4].

هذه العقوبات حلت بمستحقيها دون أن يتوقعوها، أو يشعروا بها قبل وقوعها، فلم يسبقهم بها أحد من قبل.

5- تأجيل العذاب إلى يوم القيامة

يوم القيامة هو يوم الفصل والقضاء بين الخلق، وربهم وبين الخلق مع بعضهم البعض، وهو يوم الجزاء والعقوبة، ونشر الصحف، وانكشاف السرائر، وفي هذا اليوم تتجلى رحمة الله بعباده المؤمنين، وعدله مع اعدائه بكشف أهل المكر وأعمالهم التي أحصاها عليهم، وكتبها الحفظة في سجل أعمالهم، فتكون المفاجأة الكبرى، والطامة العظمى عليهم من حيث لم يحتسبوا،

---

[1] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (4 / 92).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (9 /22).

[3] سورة الملك، آية: 16 – 17

[4] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (5 / 364).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[1].

"لما قابلوا نعمة الله بالمكر، قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو أنه أمهلهم إلى يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يعني: الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الأعمال القبيحة السيئة إلى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها، ويجزون على مكرهم" [2].

"وأطلق على تأجيل الله عذابهم اسم المكر على وجه الاستعارة التمثيلية لأن هيئة ذلك التأجيل في خفائه عنهم كهيئة فعل الماكر"[3].

6- تزيين أعمال الكفار لهم

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى الناس كافة، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط،وبين لهم طريق الخير والشر، وبين لهم عاقبة كل طريق،وترك لهم حرية الاختيار،ثم زين لكل فريق الطريق الذي اختاره ليناصر طريقه ومذهبه ويدافع عنه بكل ثقة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [4].

ومعنى الآية كما ذكر الطبري: "إنَّ الذين لا يصدقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات، والثواب، والعقاب، حببنا إليهم قبيح أعمالهم وسهلنا ذلك عليهم، فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيناها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون"[5].

---

[1] سورة يونس، آية: 21

[2] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (3 / 182).

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (11 / 134).

[4] سورة النمل، آية: 4

[5] الطبري، **جامع البيان**، (19 / 132) بتصرف.

والفرق بين إسناد التزيين إلى الله وإسناده إلى الشيطان في آية أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[1].

"أنّ إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله عز وجل مجاز، وله طريقان في علم البيان؛ أحدهما: أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة وذلك؛ أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى إتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه، وإعراضهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة، فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم.

والثاني: إمهاله الشيطان وتَخليَتهِ حتى يزين لهم فأسند إليه"[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3].

قال أبو السعود: "وفي هذا التزيين نكتة سرية مبنية على حكمة أبية وهي: أن أعمال الكفرة قد برزت لهم في الحياة الدنيا بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة،وكذلك الطاعات تظهر لهؤلاء الكفرة بصورة مستقبحة، ولكن في الآخرة ستظهر بصورتها الجميلة، لذلك قال عليه السلام في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه:"حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات[4]"[5].

---

[1] سورة النمل، آية: 24

[2] الزمخشري، **الكشاف**، (3 / 353) بتصرف.

[3] سورة الأنعام، آية:108

[4] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت261 هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي- بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، كتاب: الجنة ونعيمها وصفة أهلها، حديث: 2822، (4 / 2174).

[5] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (3 / 172) بتصرف.

المطلب الثاني: المكر والخداع في الحرب

المكر والخداع في الحرب من أنواع المكر الحسن، ولكنَّ المكر في هذه المرة جاء من قبل المخلوقين، بإذن وتأييد من الخالق، ففي الوقت الذي حرم الله- سبحانه وتعالى- فيه التولي يوم الزحف لما فيه من خطر على المسلمين، وخذلان لهم، وتمكين للعدو من رقابهم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾[1].

رخص لهم برحمته ومنِّه باستخدام الحيلة والمكر في الحرب، تحقيقاً لمصلحة المؤمنين، وجاء الإذن بالتحرُّفِ للقتال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2].

وقال- عليه السلام- في الحديث الذي رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "الحرب خَدْعَة"[3].

قال الشافعي رحمه الله: "فإذا فر الواحد من اثنين فأقل متحرفاً لقتالٍ يميناً وشمالاً ومدبراً، ونيته العودة للقتال أو متحيزاً إلى فئة من المسلمين قلت أو كثرت، كانت بحضرته أو مبينة عنه فسواء، إنما يصير الأمر في ذلك إلى نية المتحرف أو المتحيز، فإن كان الله عز وجل يعلم أنه إنما تحرف ليعود للقتال أو تحيز لذلك؛ فهو الذي استثنى الله عز وجل فأخرجه من سخطه في التحرف والتحيز، وإن كان لغير هذا المعنى فقد...باء بسخط من الله إلا أن يعفو الله عنه"[4].

---

[1] سورة الأنفال، آية: 15

[2] سورة الأنفال، آية: 16

[3] البخاري،محمد بن إسماعيل الجعفي،(ت 256 هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت،(ط 3 /1407 هـ)، كتاب الجهاد والسير،باب: الحرب خدعة،حديث: 2866، (3 / 1102).

[4] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، (ت 204 هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية – بيروت، (طبعة سنة /1400 هـ)، (2 / 41) بتصرف.

المطلب الثالث: استخدام الحيلة في الكلام لمقصد ديني شرعي

وهذا نوع آخر من أنواع المكر الحسن، جاء من قبل الخلق، ولكن إلهامه وتأييده من قبل الله عز وجل؛ لأنه بالحق، ولأجل الحق، وقد وقع هذا النوع من إبراهيم -عليه السلام-لإيصال دعوة التوحيد إلى الناس بطريق الحوار الحكيم، قال تعـالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [1].

قال النسفي: "أي نظر في النجوم رامياً ببصره إلى السماء متفكراً في نفسه كيف يحتال، أو أراهم أنه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم، فأوهمهم أنه استدلّ بأمارة على أنه يسقم"[2].

وقد ذكر علماء التفسير الكثير من التأويلات، لقول إبراهيم _عليه السلام_: إني سـقيم، هل هو من الكذب أم من المعاريض[3]، والذي يترجح لدى الباحثة أن قول إبراهيم عليه السـلام: (إني سقيم) كان من اجل الله والدعوة إلى الله سواءً ورَّى بذلك أو كذب للاحتيال عليهم، فكل ذلك جائز، ونصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تثبت ذلك، فقد أباح الله تعالى الخـداع في الحرب كما ذكرنا في المطلب الثاني من هذا المبحث، كما أن في السنة النبوية الكثير مـن الشواهد التي تبيح التعريض في الكلام أو الكذب على أعداء الله لنشر الدين، ومن أمثلة ذلك:

أورد البخاري في صحيحه تحت باب المعاريض مندوحة عن الكذب، الحديث الذي رواه أنس بن مالك قال:"مَاتَ ابنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ فقال: كَيْفَ الْغُلَامُ؟ قالت أُمُّ سُلَيْمٍ: هَدَأَ نَفَسُهُ وَأَرْجُـو أَنْ يَكُونَ قد اسْتَرَاحَ وَظَنَّ أنها صَادِقَةٌ"[4].

---

[1] سورة الصافات، آية: 88 - 90

[2] النسفي، تفسير **القرآن الجليل**، (4 / 23).

[3] المعراض: التورية وأصله الستر يقال عرفته في معراض كلامه و في لحن كلامه وفحوى كلامه (فالتعريض) خـلاف التصريح من القول كما إذا سألت رجلا هل رأيت فلانا وقد رآه ويكره أن يكذب فيقول إن فلانا ليـرى فيجعـل كلامـه معراضا فرارا من الكذب، انظر: المقري، محمد بن علي، **المصباح المنير**، (2/ 403).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب: المعاريض مندوحة عن الكذب، حديث: 5855، (5 / 2293).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "لم يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النبي عليه السَّلَام قَطُّ إلا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ في ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ:(إني سَقِيمٌ) وَقَوْلُهُ: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا) وَوَاحِدَةٌ في شَأْنِ سَارَةَ..."[1].

كما بينت الآيات الأخرى أن إبراهيم_ عليه السلام_ لم يكن سقيماً وإنما ادعى ذلك احتيالاً عليهم، ولم يعاتبه الله تعالى على ذلك، فقد قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾[2].

فقد بينت هذه الآية أن احتيال إبراهيم وادعاءه السقم كان لأجل تحطيم الباطل الذي جعلوه نداً لله، ودأبوا على عبادته تقليداً للآباء والأجداد.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾[3].

فقد بينت الآيات أنه- عليه السلام- قام بضرب الأصنام بشدة وتكسيرها، فور إدبارهم عنه، ولو كان سقيماً بالفعل لما استطاع فعل ذلك.

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، حديث: 2371، (4/ 1840).

[2] سورة الأنبياء، آية:57

[3] سورة الصافات، الآيات: 90 - 93

المبحث الثاني

أنواع المكر السيئ

المطلب الأول: مكر الكافرين

يحتار المتتبع لمكر الكافرين في كتاب الله تعالى لكثرة أنواعه وصوره، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على نواياهم الخبيثة وقلوبهم المريضة التي تتربص بهذا الدين وأهله الدوائر، وقد غفلوا عن مكر الله وقدرته، ووعده الحق بالتمكين لهذا الدين وأهله، ومن هذه الصور ما يلي:

1- ادِّعاء الشركاء لله تعالى

اختار أهل الشرك والجحود طريق الضلال، وأغلقوا قلوبهم، وأصموا آذانهم عن سماع الحق، ورضوا بآلهة صماء لا تضر ولا تنفع، بديلاً لله العالم بما تكسب كل نفس، والمعد لها جزاءها، فزادهم ضلالاً إلى ضلالهم، وزين في قلوبهم أنَّ ما هم عليه هو الحق لا غيره، وقد جاءت الآيات بالاحتجاج على فعلهم، والمقارنة بين معبوداتهم وبين الله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [1].

يقول الآلوسي رحمه الله:"أنهم كادوا للإسلام بشركهم، ودعوتهم الناس إلى الشرك، وتزيين هذه المعبودات الباطلة للناس حتى عبدوها، وفي نفس الوقت كان هذا الشرك مكراً بهم من غير أن يشعروا فقد كان تمويههم الأباطيل فتكلفوا إيقاعها في الخيال من غير حقيقة، ثم بعد ذلك ظنوها شيئا لتماديهم في الضلال وعلى هذا المراد مكرهم بأنفسهم"[2].

---

[1] سورة الرعد، آية: 33

[2] الآلوسي، **روح المعاني**، (13 / 162).

فكان مكرهم في هذه الآية: "كيدهم للإسلام بشركهم أو تمويههم الأباطيل"[1].

فقد تفنَّن الكفر وأهله، ونوَّعوا في أساليبهم، واستنفذوا ما في الوسع والطاقة لمحاربة الدين الحق وأعملوا قواهم البدنية والعقلية من عهد آدم إلى يومنا الحاضر، ولكن هيهات للظلم أن تدوم له راية، أو تحقق له غاية.

2- الاستهزاء بالرسل وتكذيبهم

استخدم أعداء الله أسلوب السخرية والاستهزاء للصدِّ عن الدين، وهذا الأسلوب من الأساليب العجيبة الشديدة التأثير على الأتباع، لما يوقعه في النفس من التوهين والتحقير لشان هؤلاء الرسل الكرام وأتباعهم، فهؤلاء الأعداء يوهمون الناس أنهم يتبعون الأراذل والسفهاء والسحرة، ولكن الله كان لمكرهم بالمرصاد فما زاد الرسل وأتباعهم إلا تمسكاً بالحق وصبراً على الأذى، والشواهد على ما لاقوا من الأذى في سبيل الدين كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [2].قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيباً منهم على ما جئتهم به فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك"[3].

وهذا ما لقيه موسى-عليه السلام- من فرعون من المهانة، والازدراء، والتحقير لشأنه حيث قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[4].

---

[1] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (5 / 24).

[2] سورة الرعد، آية: 32

[3] الطبري، **جامع البيان**، (13/ 158).

[4] سورة الزخرف، آية: 51- 52

"أراد فرعون أن يبين فضله على موسى- عليه السلام- إذ هو ملك مصر وصاحب الأنهار والنعم وموسى خامل متقلل لا دنيا له"[1].

"فقال أنا خير من هذا الذي هو مهين، أي: ضعيف حقير، يعني موسى وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ أي: لا يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه"[2].

كما تعرض نوح -عليه السلام- من قبل ذلك الى السخرية والمهانة من قومه:

قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[3].

"وفي وجه سخريتهم منه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يرونه يعمل السفينة فيقولون يا نوح، صرت بعد النبوة نجاراً.

والثاني: أنَّهم لما شاهدوه يعمل السفينة وكانوا لا يعرفونها قبل ذلك قالوا: يا نوح ما تصنع بها؟ قال: أمشي بها على الماء فعجبوا من قوله وسخروا به"[4].

3- طلب الرسالة والمعجزات

هكذا كانت طبيعة أهل الكفر على مر الزمان، فقد طلبوا المعجزات والآيات لتعجيز الرسل وإضعاف همتهم عن الدعوة إلى الله، والسخرية والاستهزاء بهم لظنهم عجز الرسل عن الإتيان بما طلبوا، ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا المساواة بينهم، وبين الرسل؛ بأن يكونوا أنبياءً ورسلاً كرسل الله، فكان هذا الطلب من أساليب الحيلة والخداع، والمكر بهم لصد الناس عن إتباعهم.

---

[1] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (5 / 59).

[2] البغوي، **معالم التنزيل**، (4 /142).

[3] سورة هود، آية: 38

[4] الشوكاني، **فتح القدير**، (2/ 497).

قال تعالى: ﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾[1].

"إن كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لَرَسوله، نؤمَر فيه باتباعك"[2].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾[3].

لأهل التفسير في هذه الآية قولان:الأول أنهم طلبوا المعجزات الدالة على صدق الرسول كالمعجزات التي أعطيت للأنبياء السابقين

والقول الثاني: أنهم طلبوا النبوة، قال السعدي في معنى هذه الآية:

لن نؤمن حتى نعطى مثل ما أعطي رسل الله "من النبوة والرسالة، وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعُجبٌ بأنفسهم، وتكبرٌ على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتحجر على فضل الله وإحسانه، فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلاً عن أن يكونوا من النبيين والمرسلين، فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ أي: فيمن علِمَه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعا"[4].

وقال صاحب التحرير والتنوير في هذه الآية: "هذا ضَرْب من المكر بإظهارهم أنهم يتطلبون الآيات الدالة على صدق الرسول، مظهرين أنهم في شك من صدقه وهم يبطنون

---

[1] سورة المدثر، آية: 52

[2] البغوي، **معلم التنزيل**، (4/ 420).

[3] سورة الأنعام، آية: 124

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 272).

التصميم على التكذيب، فذكرت هذه الآيةُ أنهم قد أفصحوا تارةً بما أبطنـوه فنطقـوا بصـريح التكذيب وخرجوا من طور المكر إلى طور المجاهرة بالكفر فقالوا في موضـع آخـر: " لَسْتَ مُرْسَلاً "[1] "[2].

وقال الرازي في طلبهم هذا: "عين المكر والغدر والحسد، فكيف يعقل حصـول النبـوة والرسالة مع هذه الصفات ؟ ثم بين تعالى أنهم لكونهم موصوفين بهذه الصفات الذميمة سيصيبهم صَغار عند الله وعذاب شديد"[3].

وقال تعالى على لسان فرعون الذي حاول التمويه على العامة، وإقناعهم بأن الأنبيـاء، يجب أن يكونوا على مستوىً ماديٍ رفيعٍ، ومعهم من المعجزات المادية ما يشهد لصدق دعوتهم: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [4].

"أي: فهلا ألقي عليه مقاليد الملك إن كان صادقاً إذ كانوا سودوا رجلا سوروه وطوقـوه بسوار وطوق من ذهب"[5].

أو "هلا ضم إليه الملائكة التي يزعم أنها عند ربه حتى يتكثر بهم ويصرفهم على أمره ونهيه، فيكون ذلك أهيب في القلوب، فأُوهم قومه أن رسل الله ينبغي أن يكونوا كرسل الملـوك في الشاهد"[6].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[7].

---

[1] سورة الرعد، آية: 43

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (13 / 175).

[3] الرازي، **التفسير الكبير**، (13 / 144)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (3/ 182).

[4] سورة الزخرف، آية: 53 - 54

[5] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (5/ 148).

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (16 /101).

[7] سورة الشعراء، آية:154

"يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول ثمود لنبيها صالح ما أنت يا صالح إلا بشراً مثلنا من بني آدم تأكل ما نأكل وتشرب ما نشرب، ولست برب ولا ملك فعلام نتبعك؟ فإن كنت صادقاً في قولك وأن الله أرسلك إلينا فأت بآية، يعني بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا"[1].

هكذا كان الكفر في كل زمان ومكان، طبعه العناد والخداع والاحتيال، وتعجيز الرسل – عليهم السلام- بمطالب لا تنتهي، فقد سألوا موسى- عليه السلام- اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة، بعد أن فشلت مساعيهم السابقة بطلب الآيات والمعجزات.

4- الاحتيال لإبطال أمر الرسل

تفنن أهل الكفر في الطرق التي يبطلون بها دعوة الرسل –عليهم السلام- فاحتالوا، ومكروا، ودبروا، ولكن باءت جميع مساعيهم بالفشل، وجعل الله تعالى كيدهم في تباب، ونجى رسله من مكرهم، وكيدهم، ومن هذه الطرق:

أ. محاولة قتل الرسل

فقد حاول اليهود قتل عيسى – عليه السلام- قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [2].

قال الشنقيطي: "لم يبين هنا مكر اليهود بعيسى، ولا مكر الله باليهود، ولكنه بين في موضع آخر أن مكرهم به محاولتهم قتله، وذلك في قوله: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾[3]"[4].

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، (102/19).

[2] سورة آل عمران، آية: 54

[3] سورة النساء، آية: 157

[4] الشنقيطي، **أضواء البيان**، (201/1).

كما حاولوا قتل نبينا محمد- عليه الصلاة والسلام-، وتآمر قريش على الرسول- عليه الصلاة والسلام- ومحاولتهم قتله مذكورة بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [1].

قال البغوي: "ليحبسوك ويسجنوك ويوثقوك"[2].

وقال ابن عطية: "مكر قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم كان تدبيرهم ما يسوؤه، وسعيهم في فساد حاله وإطفاء نوره"[3].

كما ذكرها أصحاب السيَر، قال ابن حزم: "وأرادت قريش قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورصده على باب منزله طول ليلهم. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله أن يضطجع على فراشه. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطمس الله تعالى على أبصارهم فلم يروه، ووضع على رؤوسهم تراباً ونهض، فلما أصبحوا خرج إليهم عليّ رضي الله عنه فعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فاتهم"[4].

وذكر الطبري بسند: "أن أبا طالب قال لرسول الله: ما يأتمر به قومك؟ قال: يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني، فقال: مَن أخبرك بهذا؟ قال: ربي قال: نعم الرب ربُّك فاستوص به خيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أستوصي به؟ بل هو يستوصي بي خيراً"[5].

---

[1] سورة الأنفال، آية: 30

[2] البغوي، **معالم التنزيل في التفسير**، (2 / 244).

[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (2 / 518)

[4] ابن حزم. علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي، الظاهري، **جوامع السيرة**، تحقيق: حسان عباس، دار المعارف – مصر، (ط 1/ 1900 م).

[5] الطبري، **جامع البيان**، (9 / 227).

وقال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾[1]

يقول صاحب الكشاف: "الْجَحِيمِ النار الشديدة الوقود، وقيل: كل نار على نار وجمر فوق جمر، فهي جحيم. والمعنى: أن الله تعالى غلبه عليهم، وأذلهم بين يديه: أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر، وقهرهم فمالوا إلى المكر، فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين فلم يقدروا عليه"[2].

وقال تعالى في شان إبراهيم عليه السلام في آية أخرى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

أرادوا المكر بإبراهيم عليه السلام ووضعوا الخيارات للتخلص منه، فمنهم من أشار بقتله، ومنهم من أشار بحرقه، ولكن الله تعالى ردَّ كيدَهم في نحرهم، ونجَّاه من مكرهم فقال في آية أخرى: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾[4].

وقال تعالى في شان صالح عليه السلام: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[5].

"يعني أنهم تحالفوا وتواثقوا- وتقديره، قالوا متقاسمين بالله-(لَنُبَيِّتَنَّهُۥ) أي لنقتلنه بياتاً أي ليلاً، و(أَهۡلِهِۦ) أي قومه الذين اسلموا معه"[6].

---

[1] سورة الصافات، آية: 97

[2] الزمخشري، **الكشاف**، (4 / 54).

[3] سورة العنكبوت، آية: 24

[4] سورة الصافات، آية:98

[5] سورة النمل، آية: 49

[6] البغوي، **معالم التنزيل**، (3/ 423).

ثم يحكمون مكرهم بإنكار قتله أمام وليٍّ دمه بقولهم:

"ما حضرنا قتلهم ولا ندري من قتله وقتل أهله، ونفيهم لشهودهم لمكان الهلاك يدل على نفي شهودهم لنفس القتل بالأولى"[1].

ب. الاتهامات الباطلة للرسل

وهذا نوع آخر من أنواع المكر الخبيث التي سلكها أعداء الله لصد الناس عن الإيمـــان، فقد اتهموا الأنبياء عليهم السلام باتهامات باطلة منها الكذب، والسفاهة، والجنون، والسحر.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[2].

يعرض لنا القرآن الكريم صورة أحد هؤلاء الماكرين، وهو يدبر ويحتال، ويقلب الأمور ليختار اللقب المناسب والتهمة الباطلة التي يطلقها على الرسول الكريم، ليبرِّر لنفســه أولاً، ثــم للناس سبباً مقنعاً للإعراض عن هذا الدين الذي يزداد أتباعه يوما بعد يوم، والذي أصبح يهـــدد سلطتهم وزعامتهم، يقول سيد قطب عند تفسير الآية: "ثم يرسم- القرآن- تلك الصورة المبدعة المثيرة للسخرية والرجل يكد ذهنه! ويعصر أعصابه! ويقبض جبينه! وتكلح ملامحه وقســماته، كل ذلك ليجد عيباً يعيب به هذا القرآن، وليجد قولاً يقوله فيه"[3].

وهذا نوح عليه السلام يتهم بالجنون، قــال تعــالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[4].

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، (4 / 143).

[2] سورة المدثر، آية: 18- 25

[3] قطب، سيد (ت:1386هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق _ القاهرة (طبعة سنة 1401هـ/1981م)، (6/ 3757).

[4] سورة القمر، آية: 9

"أي هو مجنون. لمَّا رأوا الآيات الدالة على صدقه قالوا: هو مصاب بالجنون، لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون، أي يقول ما لا يقبله عاقل، وذلك مبالغة في تكذيبهم"[1].

واتهم هود عليه السلام بالسفاهة والكذب، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2].

"أي: ما نراك إلا سفيهاً غير رشيد، ويغلب على ظننا أنك من جملة الكاذبين. وقد انقلبت عليهم الحقيقة، واستحكم عماهم، حيث ذموا نبيهم، عليه السلام، بما هم متصفون به، وهو أبعد الناس عنه، فإنهم السفهاء حقاً، الكاذبون"[3].

واتهم موسى عليه السلام بالسحر والكذب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾[4].

"لما عجزوا عن معارضته حملوا المعجزات على السحر" [5].

ج. الإخراج والملاحقة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [6].

---

[1] أبو حيان، **البحر المحيط**، (8 /175).
[2] سورة الأعراف، آية: 65 - 66
[3] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (1/ 293).
[4] سورة غافر، آية: **23- 24**
[5] **القرطبي، الجامع لأحكام القرآن**، (15 / 304).
[6] سورة الأنفال، آية: 30

ذكَّر الله تعالى رسوله– عليه السلام– هذه النعمة العظمى التي أنعم بها عليه وهى نجاته من مكر الكافرين وكيدهم"[1].

وذلك: "حين تشاور المشركون في دار الندوة، فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم، إما أن يثبتوه عندهم بالحبس، ويوثقوه. وإما أن يقتلوه فيستريحوا بزعمهم من دعوته. وإما أن يخرجوه ويجلوه من ديارهم"[2].

وقال تعالى في ملاحقة فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[3].

وفي معنى الآية قال الطبري: "فسرى موسى ببني إسرائيل، إذ أوحينا إليه أن أَسرِ بهم فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر فغشي فرعون وجنده من اليم ما غشيهم فغرقوا جميعاً"[4].

د. الاعتداءات الجسدية على أتباع الرسل

يبتلى المرء على قدر دينه[5]، كلما ازداد إيماناً، ازداد بلاءً، لذلك كان الرسل – عليهم السلام أشد الناس بلاءً، فقد تعرضوا للسب، والشتم، والضرب، والملاحقة، ثم يليهم مرتبة في البلاء، أتباعهم، وقصص تعرضهم للاعتداء والضرب، والقتل، مذكورة في القرآن الكريم، وكتب الحديث النبوي الشريف، وكتب السير.

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، (2/ 303).

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 319).

[3] سورة طه، آية: 78

[4] الطبري، **جامع البيان**، (16/ 192).

[5] طرف من حديث رواه مُصْعَبِ بن سَعْدٍ عن أبيه قال: قلت يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الناس أَشَدُّ بَلَاءً قال:" الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كان دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كان في دِينِهِ رِقَّةٌ ابتلى على حَسَبِ دِينِهِ فما يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حتى يَتْرُكَهُ يمشى على الأرض ما عليه خَطِيئَةٌ، انظر: الترمذي، سنن الترمذي، حديث: 2398، (4/ 601)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[1].

"خدوا الخدود وملؤوها ناراً فألقوا فيها من آمن بالله وتركوا من كفر"[2].

"وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار في شيء، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلا من أجل أنهم آمنوا بالله"[3].

وفي فرعون، وظلمه لرعيته، وما توعدهم به من العذاب، قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[4].

اتهم فرعون موسى _عليه السلام_ والسحرة الذين آمنوا معه بأنهم دبروا هذه الحيلة وخططوا لها، وذلك مكراً منه ودهاءً، ليوهم العامة أن موسى ومن معه يدبرون لكم أمراً ثم ينطق بعد هذه الحيلة مهدداً مَن آمن بالعذاب الشديد،وهو يعتقد انه يحقق بتلك الحيلة هدفين هما: تنفير الناس عن الإيمان بموسى حيث وقع في نفوسهم أن هذه خطة مدبرة فلا تنخدعوا بها، والثاني تخويفهم من العذاب الذي سيحصل لهم إن امنوا.

"ثم لم يكتف بهذا الوعيد المجمل بل فصّله فقال:(لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ) أي الرجل اليمنى واليد اليسرى، أو الرجل اليسرى واليد اليمنى، ثمَّ لم يكتف عدو الله

---

[1] سورة البروج، آية: 4 – 8

[2] مجاهد، **تفسير مجاهد**، (2/ 747).

[3] الطبري، **جامع البيان**، (30/ 136).

[4] سورة الشعراء، آية: 49

بهذا بل جاوزه إلى غيره فقال:(وَلَأُصَلِّبَنَّكُم) في جذوع النخل أي أجعلكم عليها مصلوبين زيادة تنكيل بهم، وإفراطاً في تعذيبهم"[1].

5- المكر عند وجود النعمة

ليس هناك ذنبٌ أعظم من الكفر بالله، فكل ذنب يرجى مغفرته إلا الكفر بالله، ومن ابتلي به ابتلي بضنك العيش، والشقاء الدائم في الدنيا والآخرة، قال الغزالي: "من شؤم الذنب في الدنيا،أن يكسب ما بعده صفته فإن ابتلى بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته"[2].

فلم يوفقوا حتى لشكر النعمة، لذلك عوقبوا بخسرانها، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾[3].

"لما بين سبحانه في الآية المتقدمة- قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾[4]- أنهم طلبوا آية عناداً ومكراً وأكد ذلك بما ذكره هنا من أنه سبحانه إذا أذاقهم رحمة منه من بعد أن مستهم الضراء فعلوا مقابل هذه النعمة العظيمة المكر منهم في آيات الله، والمراد بإذاقتهم رحمته سبحانه أنه وسع عليهم في الأرزاق، وأدرَّ عليهم النعم بالمطر وصلاح الثمار بعد أن مستهم الضراء بالجدب وضيق المعايش، فما شكروا نعمته ولا قدَّروها حق قدرها بل أضافوها إلى

[1] الشوكاني، فتح القدير، (2 / 234).

[2] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (4/ 54).

[3] سورة يونس، آية: 21

[4] سورة يونس، آية: 20

أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر، وطعنوا في آيات الله، واحتالوا في دفعها بكل حيلة وهو معنى المكر فيها"[1].

ومن الأمثلة الأخرى على مكر الكافرين، قولـــه تعـــالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

بعد أن ذكرهم الله تعالى بنعمه عليهم في تسخير البر والبحر لهم، عرض عليهم صورة من صور مكرهم وخداعهم، فهم يلجأون إلى الله تعالى في الشدة ويتنكرون لـــه فـــي الرخـــاء، فعندما انقطع رجاؤهم من النجاة، وتيقنوا الهلاك اخلصوا الدعاء لمن يعتقدون اعتقادا جازما في قرارة أنفسهم انه هو وحده القادر على إنقاذهم "فلم يشوبوا دعاءهم بشيء من الشوائب كما جرت عادتهم في غير هذا الموطن أنهم يشركون أصنامهم في الدعاء وليس هذا لأجل الإيمـــان بـــالله وحده بل لأجل أن ينجيهم مما شارفوه من الهلاك لعلمهم أنه لا ينجيهم سوى الله سبحانه"[3].

6- منع الناس من التوحيد

لم يدخر الكفار جهداً، ولم يتركوا وسيلة للقضاء على دعـــوة الرســـل، والحيلولـــة دون وصولها للناس، وكان من تولى هذا الأمر الأكابر، والرؤساء، لأنهم الأكثر تبعاً، والأكثر مـــالاً، والأكثر سطوة وجبروتاً، فقد كان لديهم كل ما يتعززون، ويتمنعون به، لذلك كان لهم قوة التأثير على الضعفاء، بالقهر والغلبة، وبالإقناع العقلي، بأنهم على الدين الحق دين الآبـــاء والأجـــداد،

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، (2/ 434).
[2] سورة يونس، آية: 22- 23
[3] الشوكاني، **فتح القدير**، (2/ 435).

وبأنهم أهل الأموال، والأولاد ولو كان الله باعثاً رسولاً لكانوا هم الأحق بالاصطفاء، والاختيار، وقد ذكر لنا القرآن الكريم ما يجري بينهم من حوار وعتاب في النار، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [1]

ومن الأمثلة على هذا المكرما فعله قوم نوح -عليه السلام-

فقد افسد قومه فساداً عظيماً، بكفرهم، وتكذيب نبيهم، ودعوتهم الناس إلى الشرك، والتعصب على ما هم عليه، من الوثنية، لأنها دين الآباء والأجداد[2].

قال تعالى فيهم: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴾ [3].

"فهم منعوا القوم من التوحيد، وأمروهم بالشرك، ولما كان التوحيد أعظم المراتب، لا جرم كان المنع منه أعظم الكبائر فلهذا وصفه الله تعالى بأنه كبار"[4].

ولم يكن أهل مكة أحسن حالاً من قوم نوح، فقد كانوا يلصقون التهم بالنبي- عليه السلام- فتارة يتهمونه بأنه شاعر، وتارة يتهمونه بالسحر، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[5].

---

[1] سورة سبأ، آية: 33

[2] انظر" الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (2/ 1127)، و السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص889).

[3] سورة نوح، آية: 22- 24

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (30/ 126).

[5] سورة الأنبياء، آية: 5

وذكر السمعاني من مكر أهل مكة قال: "وكان من مكر أهل مكة أنهم جعلوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر؛ حتى يقولوا لكل من يقدم: إياك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب"[1].

والأمثلة على هذا النوع من المكر كثيرة، لا ضرورة لذكرها.

المطلب الثاني: مكر أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

قامت الباحثة بإفراد مكر أهل الكتاب في مطلب خاص، لأنهم شاركوا الكفار في مكرهم، وزادوا عليه أنواعاً وصوراً أخرى لمحاربة الدين والمكر بأهله، وعلى رأس هؤلاء اليهود الذين كان لهم نصيب الأسد من القبائح والآثام، فقد أكد الله تعالى ذلك في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[2].

"وقد كان اليهود أشد عداوة، لأنهم أخذوا سلطة زمنية جعلتهم السادة في المنطقة، أما النصارى فلم تكن لهم سيادة ولا سلطة زمنية، وكانوا عاكفين في صوامعهم وبيعهم يعبدون الله. والجانب الذي ليس له سلطة زمنية لا يعادي من جاء ليسحب من أهل الجور سلطتهم الزمنية ويقيم العدل بين الناس"[3].

وقد قامت الباحثة بتتبع صور مكر أهل الكتاب في القرآن الكريم فكانت على النحو الآتي:

---

[1] السمعاني، **تفسير القرآن العزيز**، (2/ 142).

[2] سورة المائدة، آية: 82

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (6 / 3336).

1- **تشكيك المسلمين في دينهم**

ظن أهل الكتاب أن حيلهم، وخدعهم تنطلي على المؤمنين، ولم يتوقعوا أن يكشف الله تعالى مكرهم وتدبيرهم فقد أرادوا زعزعة ثقة المسلمين في عقيدتهم، وإدخال الشك في صحة هذا الدين، وصحة هذه العقيدة في نفوسهم، وهذه الحيلة، وهذا المكر كشفه الله تعالى للمسلمين بقوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

فقد استغلوا كونهم أهل كتاب، ويشهد لهم الناس بعلم الكتب السماوية، فقالوا: نؤمن في أول النهار، ثم نبين للناس أنه لاح لنا بعد التأمل والبحث، والاستقصاء في دلائل وعلامات النبوة أن محمداً – عليه الصلاة والسلام- كذاب لا تنطبق عليه صفات الأنبياء حسب علمنا بدلائل النبوة[2].

ومثل هذه الحيلة البالغة أقصى حد في المكر والدهاء، لم يلجأوا إليها إلا بعد فشلهم وعجزهم، ويأسهم من الحيل السابقة في التأثير على المؤمنين، فقالوا لعل هذه تنطلي على ضَعَفَةْ المسلمين، إذا لم نقدر على سادتهم وليس بالغريب منهم أن يلجأوا إلى مثل هذه الحيلة، إذ هم يعلمون أن من علامة الحق ألا يرجع عنه من يعرفه، يرشد إلى هذا قول هرقل صاحب الروم لأبي سفيان حين سأله عن شؤون محمد –صلى اللّه عليه وسلم- عند ما دعاه إلى الإسلام: هل يرجع عنه من دخل في دينه؟ فقال أبو سفيان: لا[3].

2- **تفضيل عبدة الأصنام على المؤمنين**

كان أهل الكتاب يوادُّون قريشاً، ويتحببون إليها، ويتظاهرون بالسعي لمصلحتهم، وكانوا يوهمونهم أنهم هم أهل الحق والصواب، وأن محمداً عليه السلام- وأصحابه على خطأ، وذلك لم

---

[1] سورة آل عمران، آية: 72

[2] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (8/ 83).

[3] انظر: المراغي، أحمد مصطفى (ت:1364هـ)، **تفسير المراغي**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (3 /186).

يكن إلا مكراً منهم، وإثارة لحمية قريش لتحارب محمداً- عليه السلام- الذي بمجيئه خسروا سلطتهم ونفوذهم، خاصة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾[1].

"ومعنى الكلام أن الله وصف الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة، والإذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما، وأنهم قالوا إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان به، وإن دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله"[2].

وقد ذكر الرازي أن هذا التفضيل من أنواع المكر التي سلكها اليهود للقضاء على المسلمين، قال: "اعلم أنه تعالى حكى عن اليهود نوعاً آخر من المكر، وهو أنهم كانوا يفضلون عبدة الأصنام على المؤمنين، ولا شك أنهم كانوا عالمين بأن ذلك باطل، فكان إقدامهم على هذا القول لمحض العناد والتعصب"[3].

3- الاستهزاء بالرسل وتكذيبهم

إذا انقطعت بالمغلوب السبل، ونفذت من جعبته الحيل، وأدركه اليأس والفشل، والكبر والإصرار على الباطل لا يزال يصارع نفسه، لا ريب انه يتمسك بأي طرف لإنقاذ كرامته وكبريائه، فيلجأ إلى اسلوب السخرية والاستهزاء، ومن امثلة ذلك استهزاؤهم من الصلاة لعل ذلك يفت من عزيمته، أو يضعف من قوته، ومن أمثلة استهزائهم: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[4].

---

[1] سورة النساء، آية: 51

[2] الطبري، **جامع البيان**، (5/ 133).

[3] الرازي، **التفسير الكبير**، (10/ 103).

[4] سورة المائدة، آية: 58

يقول الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإذا أذن مؤذنكم أيها المؤمنون بالصلاة سخر من دعوتكم إليها هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين ولعبوا من ذلك"[1].

وقال مجاهد في تفسيره: "وتضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلاً لأهلها"[2].

4- التحريف

وهذه الصفة اختص بها اليهود، فقد ذكر القرآن الكريم أنهم كانوا يحرفون التوراة

"إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعاً، خاصة الصفات التي تنطبق على الرسول-عليه السلام-على أنه غير مراد بها، على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها، بل أريد بها غيره، وكتمانهم ذلك"[3].

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[4].

فلم يكتفوا بتحريف الكتب، بل يحرفون كلامهم ويميلونه قاصدين شتم النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في قولهم: (وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا) قال الطبري في معنى الآية: "هذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود الذين كانوا حوالي مهاجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عصره أنهم كانوا يسبون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويؤذونه بالقبيح من القول ويقولون له اسمع منا غير مسمع كقول القائل للرجل يسبه اسمع لا أسمعك الله" [5].

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، (6/ 291).
[1] مجاهد، **تفسير مجاهد**، (1 /159)..
[2] الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (1/ 325).
[3] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 181)..
[4] سورة النساء، آية: 46
[5] الطبري، **جامع البيان**، (5 / 118).

هؤلاء هم اليهود وهذا هو طابعهم الأصيل وهو: "تحريف الكلم عن مواضعه، تحريف كتابهم أولاً عن صورته التي أنزلها الله على موسى – عليه السلام – إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية، ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث! ونسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم، وعدم تنفيذها في حياتهم ومجتمعهم، لأن تنفيذها يكلفهم الاستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم"[1].

المطلب الثالث: مكر المنافقين

النفاق انحراف خلقي خطير في حياة الفرد، وفي حياة الأمم، وتبدو خطورته الكبيرة حينما نلاحظ انه يدخل في الدين، أعظم القيم في الحياة، وحينما نلاحظ أيضا آثاره على الحركات الإصلاحية الخيرة، إذ يقوم بعمليات الهدم الشنيع من الداخل، وصاحبه آمن مستأمن لا تراقبه الأعين ولا تحسب حساباً لمكره ومكايده"[2].

"ويعتمد المنافق كالثعلب على المكر والخداع، وسرعان ما يتكشف أمره للناس، ولا يخفى على اللّه من فعله شيء منذ بدء نفاقه، فالمنافقون يخادعون اللّه لقلة علمهم وعقلهم، واللّه خادعهم– على سبيل المشاكلة اللفظية– أي أن الخداع من اللّه هو مجازاتهم على خداعهم أولياءه ورسله"[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النفاق نوعان: نفاق عملي، ونفاق اعتقادي:

أما العملي، فهو من اكبر الذنوب، وله آيات تدل عليه، ومن اجتمعت فيه جميع خصاله كان منافقاً خالصاً.

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (2 /859).

[2] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم – دمشق، (ط5/1420هـ/1999م)، (1/ 561).

[3] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، دار الفكر– بيروت، طبعة سنة (1418هـ)، (5 / 332).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آيَــةُ الْمُنَــافِقِ ثَلَاثٌ؛ إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا أؤتمن خَانَ"[1].

أما النفاق الإعتقادي وهو ما نحن بصدد الحديث عنه، فهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار،قــال تعــالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[2].

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح النفاق مصطلح إسلامي لــم يعــرف إلا بعــد ظهــور الإسلام، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول.

والمتتبع لمكر المنافقين وحيلهم في القرآن الكريم يجد العجب، وقد حاولت الباحثة حصر صور هذا المكر فكانت على النحو الآتي:

1- الأيمان الكاذبة لخداع المؤمنين

"ومن الظواهر السلوكية للمنافقين أنهم يتخذون أيمانهم الكاذبة جُنَّة يقون بهــا أنفســهم، ويسترون بها أعمالهم المخالفة لما أعلنوه من الإسلام، ويسترون بها جرائمهم وما يخفون مــن عداء وكراهية

وفي بيان هذا من أوصافهم يقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3]"[4].

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، باب علامة المنافق، حديث:33، (1 / 23).

[2] سورة النساء، آية:145

[3] سورة المنافقون، آية: 2

[4] الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، (1 / 571).

قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [1]

كان هؤلاء المنافقون إذا جاؤوا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- شهدوا بأنه رسول الله، وحلفوا الأيمان المغلظة على أنهم صادقون في هذه الشهادة، وأنهم على دين الإسلام، وهذا من أعظم حيلهم، ومكرهم، ومن أشده ضرراً على الدعوة، وعلى المسلمين، فهم بعملهم هذا تطبق عليهم أحكام الإسلام وبذلك؛ يحمون أنفسهم من القتل أو الأسر، أو دفع الجزية، وفي الوقت نفسه يكشفون أسرار المسلمين، وينقلونها لأعدائهم؛ فهم يعيشون بينهم وفي الظاهر هم مسلمون مثلهم، لذلك كانت هذه الأيمان وقاية لهم من أن يمسهم المسلمون بسوء، كما فتحت لهم هذه الأيمان المجال للصد عن سبيل الله، وصرف الناس عن الإيمان في الخفاء.

قال الجصاص: "أخبر الله تعالى أنهم في الدرك الأسفل من النار ومع ما أخبر بذلك من عقابهم وما يستحقونه في الآخرة خالف بين أحكامهم في الدنيا وأحكام سائر المظهرين للشرك في رفع القتل عنهم بإظهارهم الإيمان وأجراهم مجرى المسلمين في التوارث وغيره"[2].

كما أنهم كانوا يطعنون في النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالسب، والشتم، والاتهامات الباطلة، وإذا ما انكشف أمرهم لجأوا إلى هذه الأيمان، لتقيهم العقاب الدنيوي، وليُبقّوا على رضا الرسول- عليه السلام- والمسلمون عنهم، ولو حرصوا على رضا الله تعالى والتزموا أوامره لكان خيراً لهم.

قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ

[1] سورة التوبة، آية: 62

[2] الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (ت 370)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (بدون ذكر الطبعة / 1405هـ)، (ص 31).

يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

2- موالاة الكافرين ضد المسلمين في الخفاء

"بعض الناس يحسب اللؤم قوة، والمكر السيئ براعة، وهو في حقيقته ضعف وخسة؛ فالقوي ليس لئيماً ولا خبيثاً، ولا خادعاً ولا متآمراً ولا غمازاً في الخفاء لمازاً. وهؤلاء المنافقون الذين كانوا يجبنون عن المواجهة، ويتظاهرون بالإيمان عند لقاء المؤمنين، ليتقوا الأذى، وليتخذوا هذا الستار وسيلة للأذى. هؤلاء كانوا إذا خلوا إلى شياطينهم – وهم غالباً – اليهود الذين كانوا يجدون في هؤلاء المنافقين أداة لتمزيق الصف الإسلامي وتفتيته، كما أن هؤلاء المنافقين كانوا يجدون في اليهود سنداً وملاذاً –يقولوا لهم: إنا معكم، إنما نحن مستهزؤن بهم بما نظهره من الإيمان والتصديق"[2].

قال تعالى في شأنهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[3].

وقال تعالى﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[4].

هذه الآية من صفات المنافقين وكانوا يوالون اليهود مخالفة للمسلمين يتوهمون أن لهم القوة والمنعة"[5].

---

[1] سورة التوبة، الآيات: 61- 62

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (1/44- 45).

[3] سورة البقرة، آية:14

[4] سورة النساء، آية: 138- 139

[5] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (ت 468 هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، (ط 1/ 1415هـ)، (1/ 296).

وقوله تعالى: "بشر المنافقين"، أي: "الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشـــارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم. وذلك بسبب محبتهم الكفار، وموالاتهم، ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين"[1].

ثمَّ ينكر عليهم ذلك فيقول تعالى موبخاً لهم:" ﴿ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ ﴾ إنكار لـــرأيهم وإبطال له، وبيان لخيبة رجائهم وقطع لأطماعهم الفارغة"[2].

كما أنهم كانوا يعطون أهل الكتاب العهود والمواثيق على مســاندتهم، والوقــوف الـــى جانبهم في حربهم مع المسلمين وفي نفس الوقت كانوا يظهرون للمسلمين أنهم من جند الإســـلام وعدوهم واحد[3].

والقرآن شاهد على مؤامراتهم الدنيئة، قـــال تعـــالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [4].

3- تثبيط المسلمين عن الجهاد

ليس غريباً أن يعرقل المنافقون سير المسلمين في غزواتهم، فهم يرون في كـــل نصـــر للمسلمين هزيمة لهم، لذلك لم يدخروا جهداً في تثبيط الناس عن الخروج للجهاد، سواءً بالأقوال؛ كتخويفهم من القتـــل، والأســـر، قـــال تعـــالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[5].

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 209).

[2] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (2 / 244).

[3] الزحيلي، **التفسير المنير**، (28 / 96).

[4] سورة الحشر، آية: 11

[5] سورة الأحزاب، آية: 18

"فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم، ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم، ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا إليه"[1].

ويثبطونهم بالأفعال كالانسحاب من المعركة في اللحظة الحاسمة، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على انسحابهم من غزوة أحد: "كما أنهم لم يكتفوا بالتخلف – والمعركة على الأبواب – وما يحدثه هذا التخلف من رجة وزلزلة في الصفوف والنفوس. بل راحوا يثيرون الزلزلة والحسرة في قلوب أهل الشهداء وأصحابهم بعد المعركة وهم يقولون: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ فيجعلون من تخلفهم حكمة ومصلحة ويجعلون من طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه مغرماً ومضرة. ومن ثمَّ يبادرهم بالرد الحاسم الناصع الذي يرد كيدهم، قال تعالى: ﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾"[3].

4- خذلان المؤمنين وفتنتهم

وذلك في المواقف الصعبة التي يتمايز فيها الصادق من الكاذب عند التقاء الأسنة في حروب الإسلام ضد أعدائه"[4].

فقد انسحب ابن سلول قبل غزوة احد كما ذكر الواقدي قال: "فلما انتهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى أحد، وهو يرى المشركين، أمر بلالاً أن يؤذن للصلاة، وأقام الصلاة وصلى بهم الصبح، وارتحل ابن سلول في كتيبة، فأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال

---

[1] ابو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (7/ 96).

[2] سورة آل عمران، آية: 168

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (515-516 /1).

[4] المطر، حمود بن عبد الله المحسن، **الابتلاءات**، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الحبرين، دار طريق – الرياض، (ط1/ 1416 هـ)، (ص 103).

أذكركم الله، ودينكم، وما شرطتم له أن تمنعوه ما تمنعون منه أموالكم، وأولادكم، ونسائكم، فأبى ابن سلول الرجوع"[1].

وفي ذلك قال تعـالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[2].

ولقد ذكَّر الله تعالى المؤمنين بموقف هؤلاء المنافقين في غزوة أحد، بعد أن ثبطهم عن الخروج مع المسلمين إلى غَزوَة تبوك، قـال تعـالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾[3].

فقد تعللوا ببعد المسافة، وشدة الحر، وقد ظنوا في قرارة أنفسهم أن الجيش المسلم لـن يرجع سالماً، لذلك فضلوا البقاء في المدينة وانتظار سماع الأخبار عن هلاك المسـلمين، قـال تعـالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾[4].

---

[1] الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، (ت 207)، **المغازي للواقدي**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطـا، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 1/ 1424هـ)، (1/ 200) بتصرف.

[2] سورة آل عمران، آية: 167

[3] سورة التوبة، آية: 48

[4] سورة التوبة، آية: 81

ولقد علم الله سريرة هؤلاء المنافقين فثبَّطهم عن الخروج للجهـــاد قـــال تعـــالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

بيَّن سبحانه وتعالى في هذه الاية الحكمة من كراهية الله انبعاثَهم، وهي إرادة الله سلامة المسلمين من أضرار وجود هؤلاء بينهم؛ لأنّهم كانوا يضمرون المكــر للمســلمين فيخرجــون مرغمين"[2].

5- خداع المؤمنين

الخداع في اللغة: "الحيلة"[3].

ومخادعتهم للمؤمنين، كما ذكر القرطبي: "ما أظهروه من الإيمان خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليحقنوا دماءهم وأموالهم ويظنُّوا أنهم قد نجوا وخَدَعوا"[4].

وقد ذكرت الباحثة في بداية الفصل أن أغراضهم من النفاق، والخداع، حماية أنفســهم، وأموالهم، وأولادهم، ومشاركة المسلمين في مغانمهم من أعدائهم، ومن ألــوان الخــداع التــي سلكوها، إضافة إلى الخداع الأكبر؛ وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر:

- الرياء في العبادات

فهم يقومون بهذه العبادات ومنها الصلاة لمجرد الرياء، وإظهار الإسلام فقط، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[5].

---

[1] سورة التوبة، آية: 47

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (10/ 216).

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، (8 / 65).

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (1/ 195).

[5] سورة النساء، آية: 142

"هؤلاء المنافقين لا يعملون شيئاً من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرب بها إلى الله، لأنهم غير موقنين بمعاد ولا ثواب ولا عقاب، فهم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي من الفرائض الظاهرة قاموا كسالى إليها، رياءً للمؤمنين، ليحسبوهم منهم وليسوا منهم، لأنهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى"[1].

* الميل مع الفئة الغالبة

لما كان هدفهم الأصيل من الدخول في الإسلام، بالإضافة إلى توفير الحماية، تحقيق المكاسب المادية من الغنائم التي يحصل عليها المسلمون، فمن الطبيعي أن يميلوا مع الجهة الغالبة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

قال الشوكاني: "والمراد أنهم يميلون مع مَن له الغلبة والظفر من الطائفتين، ويظهرون لهم أنهم كانوا معهم على الطائفة المغلوبة، وهذا شأن المنافقين- أبعدهم الله- وشأن من حذا حذوهم من أهل الإسلام من التظاهر لكل طائفة بأنه معها على الأخرى، والميل إلى مَن معه الحظُّ من الدنيا في مال أو جاه، فيلقاه بالتملق والتودُّد والخضوع والذلة، ويلقى من لا حظ له من الدنيا بالشدة والغلظة وسوء الخلق، ويزدري به، ويكافحه بكل مكروه، فقبح الله أخلاق أهل النفاق وأبعدها"[3].

* التزوير والتحريف لكلام النبي- عليه السلام-.

فهم يتظاهرون بالطاعة أمام الرسول-عليه السلام- ويبِّيتون التحريف، والتزوير لكلامه-عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ

[1] الطبري، **جامع البيان**، (5 / 334).

[2] سورة النساء، آية: 141

[3] الشوكاني، **فتح القدير**، (1/ 527).

مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾[1].

"فإذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا: أمرك طاعة، ولك منا طاعة فيما تأمرنا به وتنهانا عنه، فإذا خرجوا من عندك يا محمد، ﴿بَيَّتَ طَآيِفَةٌ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: غيَّر جماعة منهم ليلاً الذي تقول لهم"[2].

*** محاولتهم خداع الله تعالى في الآخرة**

"ولاشك أن الله لا يخادع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرا، فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة، وأنَّ أمرهم يروج عنده كما أخبر تعالى عنهم أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد، ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ ۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾[3] "[4].

6- اللمز والسخرية من المؤمنين

اللمز: كالغمز في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي... ورجل لمزة: يعيبك في وجهك"[5].

لم تسلم من مكرهم حتى الصدقات، فقد حاولوا التقليل من شأنها بحركات وكلام خفي على سبيل المكر، ليحتقر الفقير شان صدقته فيردها استحياءً، وخجلاً، ويمتنع الغني خوفاً من أن

---

[1] سورة النساء،آية: 81

[2] الطبري، **جامع البيان**، (5 / 177).

[3] سورة المجادلة، آية: 18

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (1/ 569).

[5] ابن منظور، **لسان العرب**، (5 / 406).

يوصف بالرياء، وبهذه الحيلة يصدون الناس عن الصدقة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

قال ابن كثير: "من صفات المنافقين انه لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقته"[2].

وذكر البخاري في صحيحه عن أبي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: "لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كنا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا: مُرَائِي وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا:إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عن صَاعِ هذا: ﴿فنَزَلَتْ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾[3].

هذا هو النفاق، وهؤلاء هم المنافقون، الذين ظهروا على عهد الرسول عليه السلام، و فشوا في زماننا وفشا خطرهم، وعرفوا بالجواسيس، سواء كانوا محليين أو على مستوى أعلى من ذلك، وهم الذين عرفوا بالجواسيس الدوليين، "وإن خطر هؤلاء المنافقين الماكرين اشد من جيوش كبيرة محاربة، لأنها تحارب من مواقع الحذر، أما المنافقون فيحاربون من مواقع الأمن، وهي المواقع التي لا رقابة فيها، وليس فيها تحصينات تدفع مكايد العدو المخالط المداخل، إنه كاللص المجهول الساكن في الدار الذي تصعب مراقبته، ولذلك كانت عقوبته اشدَّ من عقوبة الكافر المستعلن بعداوته، ولذلك كانت منزلته في الدرك الأسفل من النار"[4].

---

[1] سورة التوبة، آية 79.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (2/ 276).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب:الزكاة، باب: بَاب اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالْقَلِيلِ من الصَّدَقَةِ، حديث: 1349، (2/ 513).

[4] الميداني، **الأخلاق الاسلامية**، (1/ 563).

المطلب الرابع: مكر الشيطان

يجد المتتبع لمكر الشيطان وصوره في القرآن الكريم صعوبة في حصر هـذه الصـور لكثرتها وتنوعها، فقد أخذ الشيطان على نفسه عهداً أمام الله أن لا يدع طريقاً لإغواء بني آدم إلّا سلكها، ولّا حيلة إلا استخدمها، حسداً منه لتكريم الله تعالى لآدم وذريته عليه، ومصداق ذلك قوله تعـالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

وقد اجتهدت الباحثة في تتبع هذه الصور فكانت على النحو الآتي:

1- تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة إلى النفوس

بدأ مكر الشيطان منذ خلق آدم عليه السلام، فقد أدرك أن آدم أكرم منه،فبدأ يحيـك لـه شباك المكر والخديعة ليخرجه من النعيم إلى الشقاء، فكانت البداية بتزيين ما نهى الله عنه فقـد قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[2].

يقول ابن القيم"إن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلاً، وإنما كذبهما عـدو الله وغرهما بأن سمَّى تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه

تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها فسموا الخمر: أم الأفراح"[3].

2- تزيين المعاصي والمحرمات

كان هذا المكر - تزيين المعاصي- من إبليس، عهداً قطعَه على نفسه أمام الله عز وجل، مقسماً بعزته، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] وحرص على تنفيذه بكل ما

---

[1] سورة الإسراء، آية: 62

[2] سورة طه، آية: 120

[3] ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (1 / 112).

[4] سورة ص، آية: 82

يملك من قوة، فقد عكف على إغواء بني آدم منذ طرد من الجنة، فهو يوسوس في صدورهم ليلَ نهار، مزيناً لهم المعاصي، والمحرمات، صارفاً لهم عن وجوه الطاعة بكل وسيلة، ومع الأسف نراه كثير الأتباع، فقد وجد آذاناً صاغية، وقلوباً تميل مع هواها حيث مال، إلا من اتقى وأخلص دينه لله فأولئك ليس له عليهم سلطان، إنما سلطانه على أهل الغي والهوى.

وقد صرح الشيطان كما قال الله تعالى على لسانه في سورة الحِجر بعزمه على تــزيين المنكر لبني آدم، فقال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[1].

أي لأزينن لهم: "تزييناً عظيماً، المعاصي، والمباحات الجارّة إليها، الشاغلة عن الطاعة الصارفة عنها، في الأرض أي: التي هي محل الغفلة وهم منها، والشيء إلى ما هو منه أميــل، والتزيين: جعل الشيء متقبلاً في النفس من جهة الطبع والعقل بحق أو بباطل، ولأغــوينهم: أي بالإضلال عن الطريق الحميدة أجمعين انتقاماً لنفسي"[2].

وقد كان أول تزيين بدأ به لآدم –عليه السلام– وزوجته، وقد ذكر لنا الله سبحانه وتعالى قصة هذا التزيين، وما أعقبه من شقاء على آدم –عليه السلام– وذريته بخروجه مــن الجنــة، للعبرة، والعظة، قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[3].

قال الزحيلي في تفسير الآية: "دَلَّاهُما بِغُرُورٍ: أي ما زال يخدعهما ويغريهما بالترغيب في الأكل من الشجرة، وبالوعد، وبالقسم بالأيمان المغلّظة، حتى نسيا أن اللّه أخبرهما أنه عــدو

---

[1] سورة الحجر، آية:39

[2] البقاعي، **نظم الدرر**، (4/ 223).

[3] سورة الأعراف، آية:22

لهما، وتمكن من زحزحتهما وإسقاطهما من منزلتهما عند اللّه بسبب طاعتهما، بما غرهما به من اليمين وزيّن لهما"[1].

"والغرور نوع جهل، يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيداً، وسببه وجود شـبهة أوجبت ذلك، وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقلّ على مقـدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم"[2].

3- التفرغ لإضلال الناس وإغوائهم

سلك الشيطان بأتباعه من بني آدم، كل مسلك شر، وسار بهـم كـل دروب الضـلال، وأنواع الضلال التي ساق الشيطان أتباعه إليها أكثر من أن تحصى، لذلك قامت الباحثة بتتبـع بعض هذه الأنواع على النحو الآتي:

قـال تعـالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾[3].

هذه الآية توضح إصراره على إضلال الناس، فهو كما يظهر من الآية لا يضيع وقتـاً دون أن يستغله في إنجاز وعده، فهو محيط بابن آدم من جميع الجهات، قال البقاعي في تفسـير الآية:

"أي أفعل في قطعهم عن الخير فعل المتمكّن، المقبل بكليته، المتأني، الذي لا شغل لـه غير ما أقبل عليه، في مدة إمهال الله تعالى له بقطعهم عنه ومنعهم من فعل مـا أمـرهم بـه، وحملهم على فعل ما نهاهم عنه، كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للخطف"[4].

---

[1] الزحيلي، **التفسير المنير**، (8/ 164).

[2] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،(ت 597هـ)، تلبيس إبليس، تحقيق: د. السـيد الجميلـي، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط1 / 1405هـ- 1985 م)، (ص50).

[3] سورة الأعراف، آية: 16

[4] البقاعي، **نظم الدرر**، (3/ 14) بتصرف.

"والإضلال من الشيطان يكون بتزيينه الشر والقبح للإنسان ليبعده عن مسالك الخير والفضيلة"[1].

"أو إِنَّ إِضْلَالَهُ لِمَنْ يُضِلُّهُمْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ صَرْفِهِمْ عَنِ الْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَشْغَلُهُمْ عَنِ الدَّلَائِلِ الْمُوصِلَةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى"[2].

وقد عرضت لنا الآيات بعضاً من نماذج إضلاله، قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[3].

وهذه النماذج هي: طول الأمل، وتقطيع آذان الأنعام، وتغيير خلق الله.

وقال تعالى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [4].

قال الطبري: "فإن قال قائل: وكيف يتخذ الشيطان من عباد الله نصيباً مفروضاً؟ قيل: يتخذ منهم ذلك النصيب بإغوائه إياهم عن قصد السبيل، ودعائه إياهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الضلال والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق، فمن أجاب دعاءه، واتَّبع ما زينه له فهو من نصيبه المعلوم وحظه المقسوم"[5].

4- الوعود والأماني الكاذبة

الأمنية هي: "الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء، ولما كان الكذب تصور ما لا حقيقة له وإيراده باللفظ صار التمني كالمبدأ للكذب فصح أن يعبر عن الكذب بالتمني"[6].

---

[1] الشعراوي، تفسير االشعراوي، (5 / 2650).

[2] رضا، محمد رشيد، (ت:1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم، الموسوم بـ(تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة(1990م)، (5/ 349).

[3] سورة النساء، آية: 119

[4] سورة النساء، آية: 118

[5] الطبري، **جامع البيان**، (5/ 281).

[6] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 476).

والتمني من عيوب النفس، وفيه اعتراض على قضاء الله وقدره، وغالباً يجر إلى الشر[1].

وقد نهى الله تعالى في كتابه عن بعض أنواع التمني، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[2].

كما نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن التمني، قال: "...وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كان كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وما شَاءَ فَعَلَ فإن لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[3].

وقد بين سبحانه أن هذه الأماني، وهذه الوعود، خداع من الشيطان لبني آدم، لإيقاعهم في الضرر، والمعاصي، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[4].

ومعنى الآية كما قال البيضاوي: "يعدهم ما لا ينجزه، ويمنيهم ما لا ينالون، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر، وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة،أو بلسان أوليائه"[5].

ومن وعوده لأوليائه: الوعد بطول الحياة فهو يخيِّل لابن آدم أن أمامه حياة طويلة، وانه يجب أن لا يفوت عليه فرصة للاستمتاع بملذات الحياة ويخدعه بأنه لا يوجد حياة أخرى وليس هناك بعث، ولا يوجد جنة ولا نار.

---

[1] انظر:السلمي، أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى، (ت 412 هـ)، **عيوب النفس**، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة – طنطا، (بدون ذكر طبعة / 1408)، (ص 18).

[2] سورة النساء، آية: 32

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: القدر، بَاب: في الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ والإستعانة بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، حديث: 2264، (4/ 2052).

[4] سورة النساء، آية: 120

[5] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (2 / 256).

وزيادة في المكر والخداع يوهم أتباعه انه حتى لو كان هناك بعث فان هذه الآلهة التـــي تعبدونها ستشفع لكم، ولن تعذبوا كرامة لآبائكم الذين عبدوها قبلكم وأقاموا على خدمته، وغيــر ذلك من المواعيد الباطلة[1].

وقـــــــال تعـــــــالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[2].

ولم يسلم المسلمون أيضا من مكره فهو يخدعهم بتسويف التوبة والاتّكال على الرّحمة، وشفاعة الرّسول في الكبائر، وإيثار العاجل على الآجل، ويخدعهم بأنه ليس هناك جنّة ولا نار، ونحو ذلك، مما سيظهر بطلانه حينما يقول إبليس يوم القيامة بـــالحقّ، قـــال تعـــالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[3][4].

ومن وعوده الكاذبة: تخويف الناس من الفقر، ليمسكوا عن الإنفاق، وربما زادهم تخويفاً فمنعوا الزكاة، وبذلك يجرُّهم إلى معصية الله وترك ركن من أركان الإسلام، وبذلك يوجب لهــم غضب الله وعقابه الدنيوي والأخروي.

---

[1] انظر:الزحيلى، **التفسير المنير**، (15/ 115).

[2] سورة الإسراء، آية: 64

[3] سورة إبراهيم، آية: 22

[4] الزحيلي، **التفسير المنير**، (15 / 117) بتصرف.

قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[1].

بالإضافة الى تثبيط الناس عن فعل الخير يأمرهم بالفحش والمعاصي ويشجعهم على الإنفاق فيها [2].

5- استفزاز بني آدم بصوته

خاطب الله -سبحانه وتعالى- إبليس بعد أن عصاه، وأصر على معصيته، بصيغة الأمر قائلاً: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [3].

ومفاده كما قال الرازي: "الأمر هنا التهديد كما يقال: أجهد جهدك فسترى ما ينزل بك".

وفي معنى استفزز قال ابن سيده: "استفزز: أي استخف"[4].

فقد أمره الله تعالى على سبيل التهديد أن يبذل قصارى جهده، في استخفاف بني آدم بصوته؛ دفعهم إلى معصية الله تعالى والفساد في الارض[5]، أو إلى الغناء واللهو واللعب[6]، واستعن على ذلك بأعوانك، وكل ما معك من وسيلة.

6- مشاركة بني آدم في أموالهم

ومشاركة الشيطان لبني آدم في أموالهم تكون بنزع البركة منها بسبب كسبها بطرق محرمة، أو منع زكاتها،أو إنفاقها بطرق الشيطان، كشرب الخمر ولعب الميسر- القمار-

---

[1] سورة البقرة، آية:268

[2] انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (289/1).

[3] سورة الإسراء، آية: 64

[4] ابن سيده، **المخصص**، (1/ 107).

[5] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (21 / 6)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، (5/ 184).

[6] ابن تيمية، **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية**، (15/ 314).

والأنصاب[1]، والأزلام،[2] أو غير ذلك مما نبه الله تعالى على أنه رجس من عمل الشيطان، قـال تعـالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٌ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3].

قال الشعراوي: "فكيف يشاركهم أموالهم؟ بأن يُزيِّن لهم المال الحـرام، فيكتسـبوا مـن الحرام وينفقوا في الحرام"[4].

وقال الزحيلي، قال: "وتحريضهم على كسب الأموال وإنفاقها في معاصي اللّه تعالى من ربا وسرقة وغصب وغش وخديعة"[5].

وطرق الشيطان لمشاركة بني آدم أموالهم أكثر من أن تحصى، فبما انه يائس من رحمة الله تعالى وجنته، فلن يترك طريقة ولا سبيلاً للشر دون أن يسلكه، وقد أعطي الفرصة وحريـة التصرف إلى يوم الـدين، قـال تعـالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَـٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[6].

7- الاحتيال على بني ادم في أولادهم

ومداخل الشيطان لمشاركة بني آدم في أولادهم، كثيرة منها:

---

[1] الأنصاب حجارة كانت تُنصب فيُهلّ عليها لغير الله، انظر: ابن سيده، أبي الحسن علي بن إسـماعيل النحـوي اللغـوي الأندلسي، (ت 458 هـ)، **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفـال،: دار إحيـاء التـراث العربـي – بيـروت، (ط 1/ 1417هـ)، (4/ 68).

[2] الزلم بضم الزاي والجمع الأزلام وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، انظر: ابن منظور، **لسان العـرب**، (12/ 270).

[3] سورة المائدة، آية: 90

[4] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (14/ 8667- 8668).

[5] الزحيلي، **التفسير المنير**، (15 / 117).

[6] سورة الإسراء، آية: 64

* ما يكون بالسيطرة على هذا الولد، وإيقاع الضرر به منذ كونه نطفة، وقد أشار الرسول – صلى الله عليه وسلم– إلى ذلك في هديه النبوي، وأرشد إلى سبيل الوقاية منه، قال: "لو أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أتى أَهْلَهُ قال: بسم اللَّهِ اللهم جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ ما رَزَقْتَنَا فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لم يَضُرُّهُ"[1].

* ومنها ما يكون بتلويث طهارة النسب، قال الشعراوي: "المفروض في الأولاد طهارة الأنساب، فدَوْر الشيطان أنْ يُفْسِدَ على الناس أنسابهم، ويُزيِّن لهم الزنا، فيأتون بأولاد من الحرام"[2].

* ومنها ما يكون بِـ"التّخلّص منهم بالقتل أو الوأد أو إدخالهم في غير الدّين الذي ارتضاه اللّه تعالى، وغير ذلك من تسميات غير شرعية، وتجاوز حدود الشّرع في الزّواج والطّلاق والرّضاع والنّسب والنّفقة وغيرها"[3].

* "أو تربيتهم لا كما ينبغي حتى ينشأوا غير راشدين ولا مؤدبين ولا متدينين بدين الحق"[4].

أو غير ذلك من أساليب شيطانية هدفها جر النسل الآدمي إلى نار الجحيم، فقد أعطاه الله تعالى الوقت الذي طلبه، وأعطاه الحرية الكاملة في استخدام ما شاء من أساليب الضلال، إلى أن يحين الوقت المعلوم، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[5].

8- تغيير خلق الله

صرح الشيطان ببعض مما يضمر لبني آدم من أنواع المكر والاحتيال، كما ذكرنا في النقاط السابقة، كمشاركتهم في الأموال، والأولاد، وأضاف إليها نوعاً آخر؛ فقد امتد به كفره إلى

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الوضوء، بَاب: التَّسْمِيَةِ على كل حَالٍ وَعِنْدَ الْوِقَاعِ، حديث: 141، (1/ 65).
[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (14/ 8668).
[3] الزحيلي، **التفسير المنير**، (15/ 117).
[4] النيسابوري، **غرائب القرآن**، (4 / 366).
[5] سورة الإسراء، آية: 64

أن دفع ببني آدم إلى أفعال قد تجرهم إلى الكفر والخسران دون أن يشعروا بذلك، قال تعالى على لسانه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[1].

يقول سيد قطب رحمه الله في شرح الآية: "صرح بنيته في أن يدفع بهم إلى أفعال قبيحة، وشعائر سخيفة، من نسج الأساطير. كتمزيق آذان بعض الأنعام؛ ليصبح ركوبها بعد ذلك حراماً، أو أكلها حراماً - دون أن يحرمها الله - وإلى تغيير خلق الله وفطرته بقطع بعض أجزاء الجسد أو تغيير شكلها في الحيوان أو الإنسان، كخصاء الرقيق، ووشم الجلود وما إليها من التغيير والتشويه الذي حرمه الإسلام"[2].

ولم يسلم من مكر الشيطان إنسان ولا حيوان، فقد ذاقت الحيوانات مُرَّ مكره؛ بعد أن دفع ببني آدم على أذيَّتها بشق آذانها، كما حرم الناس من الانتفاع ببعضها جرياً وراء خرافات، وأساطير من نسج الشياطين، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3].

فقد زين لهم الشيطان أفعالاً أَجْرُوها على هذه الحيوانات، وأطلقوا عليها مسميات، لم يشرعها الله تعالى ولم يأمر بها، وإنما استحدثوها بدفع من الشيطان افتراءً على الله، تعالى الله عما يصفون، والبحيرة كما ذكر الزمخشري قال: "كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعي لم يركبها...، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: من حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى"[4].

---

[1] سورة النساء، آية: 119

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2/ 760 - 761) بتصرف.

[3] سورة المائدة، آية: 103

[4] الزمخشري، **الكشاف**، (1 / 717).

وفي معنى السائبة، والوصيلة قال أبو السعود: "كان يقول الرجل إذا قدمت من سفري، أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدا قال: هو سائبة، فلا عقل بينهما ولا ميراث.

وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم"[1].

والعصر الذي نعيش فيه شاهد عيان على انتشار هذه الظاهرة، فقلما تَجد من يرضى بما أَنعم الله تعالى عليه من حُسن خَلْق، فنراهم يغيرون شكل الشعر، والحواجب، وشكل الأنف، والشفتين وغير ذلك مما لم ينزل به الله من سلطان، يقول الشعراوي رحمه الله: "كما أن بعض النساء يقمن بإجراءات لتغيير الخلقة، كنزع شعر الحواجب من منابته وإعادة رسم مكانه بوضع خط بالقلم الملون، ويفضح ذلك نبتُ الشعر من جديد، فتتحول إلى شكل قبيح وتنسى أن الجمال إبداع تقاسيم، فقد يكون[2] سرّ جمال واحدة أن يكون شعر الحاجبين كثيفاً، وقد يكون سرّ الجمال للمرأة اتساع الفم، أو طول الأنف"[3].

9- تعليم الناس السحر

ذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته أن السحر على ضربين:

"الأول: الخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع.

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه"[4].

---

[1] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (3/ 86).

[2] كلمة تطلق على فاعل الشعوذة: "رجل مشعوذ وفعله الشعوذة ويقال مشعبذ"، انظر: الفراهيدي، العين،(1/ 244).

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (5/ 2657) بتصرف.

[4] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 226).

وهذا الضرب هو مدار البحث، حيث يقوم بعض أهل الشـر والفسـاد بـالتقرب إلـى الشياطين ببعض الأعمال الكفرية لتسخير هؤلاء الشياطين لمساعدتهم في إيقاع الضرر بالناس، والذين يفعلون هذا الفعل هم أهل الإفك، والإثم، والمكر؛ لأنهم يضرون النـاس مـن حيـث لا يحتسبون، قال تعـالى فـيهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[1].

وأفاك تعني: كذاب، كثير القول للزور، وأثيم، كثير المعاصي، هذا الذي تتـزل عليـه الشياطين، وتناسب حاله حالهم[2].

وقد نفى الله تعالى عن هؤلاء الشياطين علم الغيب حتى لا يغتر الناس بهم ويقعوا فـي حبائل مكرهم، قال تعالى: ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾[3]

قال ابن كثير: "يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مئة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيحدثون بها فيصدقهم الناس على ما قـالوه بسـبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء"[4].

كما صح بذلك الحديث الذي رواه البخاري، عن عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت: سَأَلَ أُنَاسٌ النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الْكُهَّانِ فقال: "إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ"، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ فَـإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا، فقال النبي– صلى الله عليه وسلم–: "تِلْكَ الْكَلِمَةُ من الْحَقِّ يَخْطَفُهَـا الْجِنِّيُّ فيقرقر في أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فيه أَكْثَرَ من مِائَةِ كَذْبَةٍ"[5].

---

[1] سورة الشعراء، آية: 221– 222

[2] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 599).

[3] سورة الشعراء، آية: 223

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (3/ 354).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب:التوحيد، بَاب قِرَاءَةِ الْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ وَأَصْـوَاتُهُمْ وَتِلَـاوَتُهُمْ لَـا تُجَـاوِزُ حَنَـاجِرَهُمْ، حديث:7122، (6 / 2748).

مما سبق نلاحظ أن الشيطان لن يألو جهداً مهما كلفه من عناء، في غواية بني آدم، لصرفهم عن الحق، وطردهم من الجنة، وإبعادهم عن طريق السعادة، التي خسرها، وهذا شأن كل حاسد لئيم، وصدق الله تعالى حين أمرنا بالاستعاذة من شرور هؤلاء الحساد، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[1].

وفي نهاية المبحث وبعد هذه الجولة الاستطلاعية على الماكرين: "على المسلم أن يعلم انه لما خلق رُكب فيه الهوى والشهوة، ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عدوانه من زمن آدم عليه الصلاة والسلام، وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]"[3].

---

[1] سورة الفلق، آية:5

[2] سورة البقرة، آية: 168- 169

[3] ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، (ص 33).

الفصل الثالث

أسباب المكر

المبحث الأول: أسباب المكر الحسن وصفات أهله

المبحث الثاني: أسباب المكر السيئ وصفات أهله

المبحث الأول

أسباب المكر الحسن وصفات أهله

"لا يعدو الشيطان في حياة الإنسان أنه مخلوق باستطاعته أن يوسوس في صدر الإنسان بالشر، ويزين له ارتكاب الخطيئة، ثم إن الإنسان هو الذي يرتكب الخطيئة بإرادتـــه، ويعتبـــر مسؤولاً عنها مسؤولية تامّة، كما أن الشيطان ليس له سلطان على إرادة الإنسان، إلاّ من ســـلم قيادة نفسه له، وتبعه مختاراً لنفسه طريق الغواية، ونجد الدليل على هـــذه الحقيقـــة فـــي عـــدة نصوص قرآنية، منها قوله تعالى، مخاطباً إبليس، رأس الشـــياطين: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ [1]"[2].

كما تبدو هذه الحقيقة واضحة جلية باعتراف صريح من الشيطان بأنه لم يكن له سلطان على بني ادم وإنما كان اتباعهم له بإرادتهم, ولم يكن له دور سوى الدعوة الى الباطل والحـــث عليه, وذلك في قوله تعـــالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[3].

لذلك حمّل الله تعالى الإنسان المسؤولية الكاملة عن تصرفاته، ورتّب عليـــه العقوبـــات الرادعَة له ولغيره في الدنيا والآخرة، كما أن الله تعالى وعد أولياءه بالنّصر والتمكـــين؛ لـــذلك تصدى لأعدائهم من أهل المكر والخداع فكان لهم بالمرصاد، فلم يجعل لهم على المؤمنين سبيلاً.

وقد قامت الباحثة بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، اختص الأول منهما بالحـــديث عـــن أسباب المكر الحسن، واختص الثاني بتتبع صفات أهل المكر الحسن على النحو الآتي:

---

[1] سورة الحجر، آية: 42

[2] الميداني، **الأخلاق الاسلامية**، (1/ 173).

[3] سورة إبراهيم, آية: 22

المطلب الأول: أسباب المكر الحسن

يرى المتتبع لأسباب المكر الحسن في القرآن الكريم العدل والرحمةَ الإلهية تتحقق بالانتصار للمخلصين من عباده، وقد اجتهدت الباحثةُ في تتبع أهم أسباب المكر الحسن فكانت على النحو الآتي:

1- القضاء على الكفر والوثنية

كان دعاء نوح –عليه السلام– على الكافرين صرخة مدوية، وغضبة لله على الشرك وأهله، قال تعالى على لسان نوح– عليه السلام– ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[1].

فقد أدرك نوح –عليه السلام– خطورة هؤلاء على الدين وتأثيرهم على الناس، بدعوتهم إلى الكفر والضلال، والتمسك بأوثان لا تضر ولا تنفع، تقليداً للآباء والأجداد، ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد، وإنما سيمتدّ تأثيرهم إلى الأجيال القادمة، وسينشرون فيها عقيدتهم الباطلة، لأنها ترسخت في قلوبهم، وامتدت جذورها إلى عقولهم، فحجبتها عن رؤية الحقيقة، فكان استئصال شأفهتم، وقطع دابرهم ردّاً على مكرهم، ودعوتهم الناس إلى عبادة غير الله، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾[2].

ولم يكن إبراهيم –عليه السلام– أقلَّ من نوح غضباً لله، فقد كان شديد الألم والحزن، على عناد قومه وجهلهم بالله، وإعراضهم عن الحق انتصاراً لآلهة لا تضر ولا تنفع، ممّا دفع به إلى الاحتيالِ عليهم، وادّعاء السقم في يوم خروجهم للاحتفال بعيدهم، لتحطيم هذه الأصنام التي

[1] سورة نوح، الآيات: 26 – 27

[2] سورة نوح، الآيات: 22 – 24

عبدوها مـن دون الله، قـال تعـالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾[1].

عندما عاد القوم من عيدهم كانت المفاجأة بانتظارهم، فقد وجدوا آلهتهم محطمة، وفوراً وقع الاتهام على إبراهيم -عليه السلام- لأنه كان يذكر هذه الآلهة بالسوء، وأُحضر وسُئل، وهذا ما كان يرجوه ليقيم عليهم الحجة، ويبيّن لهم سخافةَ عقولهم، ويصورُ القرآن الكريم لنا مشـهد محاكمة إبراهيم- عليه السلام- من قومه، قال تعـالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[2].

"قال إبراهيم مقيماً للحجة عليهم، مبكتاً لهم: بل فعله كبيرهم هذا، مشيراً إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره قائلاً: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ أي: إن كانوا ممن يمكنـه النطق، ويقدر على الكلام، ويفهم ما يقال له، فيجيب عنه بما يناسبه، فقد أراد -عليـه الصـلاة والسلام- أن يبيّن لهم أنَّ من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة، ولا يصحُّ فـي العقـل أن يُطلق عليه أنه إله فأخرجَ الكلام مخرج التعريض لهم، بما يوقعهم في الاعتراف بأنَّ الجمـادات التي عبدوها ليست بآلهة؛ لأنهم إذا قالوا إنهم لا ينطقون قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عـن النطق، ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه؟"[3].

---

[1] سورة الصافات، الآيات: 88 - 93

[2] سورة الأنبياء، الآيات: 62 - 65

[3] الشوكاني، **فتح القدير**، (3 / 414).

﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: راجعوا عقولَهم، وتذكّروا أنَّ ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه، ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه، يستحيلُ أنْ يقدرَ على دفع مضرة عن غيره، أو جلب منفعة له، فكيف يستحقُّ أن يكون معبوداً؟ فقالوا: أي قال بعضهم لبعض -فيما بينهم-: "إنكم أنتم الظالمون" أي: بهذا السؤال؛ لأنّه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة، أو بعبادة الأصنام لمن ظلمتموه بقولكم: إنه لمن الظالمين، أو أنتم ظالمون بعبادتها لا من كسرها"[1].

ولكنَّ عنادهم وكبرهم، أعماهم عن الحقيقة والانقياد لها، فبعد أن اعترفوا بجهلهم، رجعوا عن هذا الاعتراف، وأصرّوا على أنهم محقون في عبادتهم لها، وأنّهم يعلمون أنها لا تسمع ولا تتكلم ولا ينبغي لجاحد أن يأمرهم بسؤالها"[2]، لذلك قالوا: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾.

وبعد هذا الجدال أراد إبراهيم أن يبيّن لهم ما أراد من كل ذلك، قال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾[3].

"قال إبراهيم لقومه أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئاً، ولا يضركم؟ وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممّن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء، فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا؟"[4].

---

[1] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (6 / 75).

[2] انظر: المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (17/ 29).

[3] سورة الأنبياء، الآيات: 66 - 68

[4] الطبري، **جامع البيان**، (17/ 42).

فلم يدعُهُم مباشرة، ولكن مهَّدَ لهم، وأقام عليهم الحجّةَ البالغة والبراهين القاطعة، ولكــن هيهات لقلوب ملأتها الوثنية، وعقول غلَّفتها العصبية، فلم تعد ترى إلا ما رآه الآباء والأجــداد، لذلك حكموا عليه بالموت حرقاً بعد أن ثبتت براءته، ولكن الله رد كيدهم في نحــورهم، ونجَّــا إبراهيم- عليه السلام- من شرورهم وجعل النّار التي أوقدوها لحرقه برداً وسلاماً عليه، قــال تعــــال: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[1].

2- نصرة الرّسل وأتباعهم

بعد أن يُظهر أعداء الدين كل ما لديهم من صنوف الصد عن الدين ومحاربة أهله، وبعد أن يلاقي الرسل وأتباعهم من الشدة والابتلاء ما يلاقون، من تكذيب واستهزاء، وتعذيب بشــتى أنواعه وصوره، ومكر بالليل والنهار، ويظهر ثباتهم وصبرهم، ويتميز المؤمن الصــادق مــن غيره، ويحصل اليأس من إيمان أعدائهم، عند ذلك يأتي الله بالفرج والنصر لمن ثبت على إيمانه ولم تهزه عاصفة الكفر.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[2].

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى في الآيات السابقة لهذه الآيــة - ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[3]- حذر هؤلاء الكفــار من سوء عاقبة مكرهم وتكذيبهم للرسل وعدم اعتبارهم بمن سبقهم، وبين أن هذا المكر سيجدون عاقبته مهما كان شديداً ومحكماً، فهو لا يساوي شيئاً أمام مكر الله الذي أعــده لهــم، انتصــاراً لرسله ووفاء بعهده لهم بالنصر والتمكين، وذلك كما ذكر السعدي، قال: "بنجاتهم، ونجاة أتباعهم وسعادتهم، وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا، وعقابهم في الآخرة، فهذا لا بد من وقوعه؛ لأنه

---

[1] سورة الأنبياء، الآيات: 69 – 70

[2] سورة الرعد، آية: 47

[3] سورة إبراهيم، آية: 46

وعد به الصادق قولاً، على ألسنة أصدق خلقه، وهم الرسل، وهذا أعلى ما يكون من الإخبار خصوصاً وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾[2].

قال ابن عطية: "تعظيم مكرهم وشدته أي أنه مما يشقى به ويزيل الجبال عن مستقراتها لقوته، ولكن الله تعالى أبطله ونصر أولياءه، وهذا أشد في العبرة"[3].

وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك للنبي – عليه السلام – ليثبت عزيمته ويشدَّ من أزره، ولطمأنته أنهُ لمكرهم بالمرصاد، قادر على رده بمكر أشدّ منه، كما فعل بالأمم السابقة التي سلكت سبيل الكفر وتكذيب الرسل، وردّ ما جاء به الأنبياء من عند الله[4].

ومن قبل قريش مكر فرعون، فكان مكره وبالاً عليه، وحاق به العذاب في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالعذاب في النار، قال تعالى في قصة الرجل المؤمن بموسى من قوم فرعون: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[5].

وصدق الله تعالى بقوله: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾[6].

---

[1] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 428).
[2] سورة إبراهيم، آية:46
[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (3/ 346).
[4] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (13/ 248).
[5] سورة غافر، آية: 45 – 46
[6] سورة فاطر، آية:43

فالمكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، ولا ترجع سوء عاقبته إلا علـــيهم، ومكـــر فرعـــون وجنوده خير شاهد على ذلك، فقد مكروا ودبروا للإيقاع بالضعفاء من المـــؤمنين، أمثـــال هـــذا الرجل، فكان وبال مكرهم عليهم بالعذاب الدنيوي بالغرق، والعذاب الأخروي بالنار، ونجَّى الله تعالى هذا الرجل ومن آمن من فرعون وكيده.

ثم ذكر بعد ذلك في الآيات اللاحقة أن الله ينصر رسله والذين آمنوا فـــي الـــدنيا وفـــي الآخرة، فقال تعـــالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾[1].

هذه سنة الله قديماً وحديثاً، نصرة الحق وأتباعه، وإزهاق الباطل وأشياعه، وهذا الحكـــم وهذه السنة مما تقتضيه الحكمة الإلهية، وهو شأن الله المستمر بنصرة رسله وأتباعهم في الدنيا بالحجة والظفر، والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي، وغير ذلك من العقوبـــات، فضلاً عن عذاب الآخرة، عند شهادة الأولين والآخرين للرسل بالتبليغ، وللكفرة بالتكذيب[2].

3- رفع الظلم واستعادة الحقوق

قد يتعرض الإنسان في هذه الحياة الى الظلم من بعض الناس، بغض النظر عن صـــلته بهم، فالظلم من صفات بني البشر التي لايسلم منها إلا من كان ذو حظ عظيم من الحكمة والعفة، قال الماوردي: "قَدْ أَفْصَحَ الْمُتَنَبِّي فِي قَوْلِهِ:

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنْ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ [3]

---

[1] سورة غافر، آية: 51

[2] انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (7 / 280).

[3] العكبري، أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، **التبيان في شرح الـــديوان**، ضبطه: د. كمال طالب، دار الكتـــب العلميـــة– بيروت، (مج 4 /126).

وَهَذِهِ الْعِلَّةُ الْمَانِعَةُ مِنْ الظُّلْمِ لَا تَخْلُ مِنْ أَحَدِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: إمَّا عَقْلٌ زَاجِرٌ، أَوْ دِينٌ حَاجِرٌ، أَوْ سُلْطَانٌ رَادِعٌ، أَوْ عجزٌ صَادٌّ.

فَإِذَا تَأَمَّلْتهَا لَمْ تَجِدْ خَامِسًا يَقْتَرِنُ بِهَا وَرَهْبَةُ السُّلْطَانِ أَبْلَغُهَا؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ وَالدِّينَ رُبَّمَا كَانَا مَضْعُوفَيْنِ، أَوْ بِدَوَاعِي الْهَوَى مَغْلُوبَيْنِ"[1].

"والظلم الجور ومجاوزة الحد"[2].

هكذا كان إخوة يوسف – عليه السلام- غلب الهوى على عقولهم فغلبها، وسيطر الحسد على قلوبهم فأَعلَّها، واتّبعوا الشيطان فأضلَّهم عن الحق، ومنّاهم بالتوبة بعد الخلاص من أَخيهم، فلم تردَعهم عقولهم، ولم يردعهم دينهم، ولا نبوّة أبيهم عن ارتكاب الخطيئة، ولكن يوسف عليه السلام- كان أكثر منهم حكمة، فقد دبر لأخذ أخيه- بتوفيق الله وإعانته-، واستعادة حقه دون أن يلحق بهم أيّ أذى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾[3].

تذكر لنا هذه الآية كيف احتال يوسف عليه السلام بمعية الله وعونه لاسترجاع أخيه، وضمّه إليه، بعد طول فراق، فكان من تدبير الله المحكم: "إلهام يوسف عليه السلام لهذه الحيلة المحكمة في وضع الصواع وتفتيشه"[4].

ذكر الشوكاني وغيره من المفسرين: "أن يوسف عليه السلام قام بوضع السقاية[5] في رحل أخيه ليُتَّهم بالسرقة، لعلّ ذلك يعينه على ضم أخيه إليه، ولكن كان حكم السارق في شريعة المصريين، الضرب والتغريم، فكان الإلهام والتوفيق الإلهي باستنطاق إخوته بالحكم على من

[1] الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (ص 163).

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، (12 / 273).

[3] سورة يوسف، آية: 70

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (13 / 31).

[5] السِّقايَةُ: الإناءُ يُسْقَى به ؛ وبه فُسِّر قوله تعالى: " جَعَل السِّقَايَةَ في رَحْلِ أَخِيه "، وهو المُسَمَّى بالصُّواعِ، وهو إناءٌ من فضَّةٍ كانوا يكيلُون به الطَّعامَ ويَشْربُ فيه المَلِكُ أَيْضاً، انظر: الزبيدي، **تاج العروس**، (38/ 291).

وجدت معه الضالة المنشودة، فحكموا عليه بشريعة أبيهم، حيث كان السارق عندهم يستعبد سنة"[1].

قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

ويستكمل يوسف عليه السلام الحيلة حيث قال تعالى على لسانه ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾[3].

قال ابن عطية: "بدؤه بأوعيتهم تمكين للحيلة، وإبعاد لظهور أنها حيلة"[4].

وتنتهي الآية بالتأكيد من الله تعالى، أن ذلك كان مكراً وكيداً من يوسف عليه السلام، مصحوباً بعناية الله وتوفيقه حيث قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾، فهذه سنة الله تعالى في المكر، والتدبير لأوليائه للانتصار للحق من قبل يوسف، ومن بعده فهو أحكم الحاكمين، وهو خير الماكرين.

يقول ابن القيم: "لا إشكال أنه يجوز للإنسان أن يظهر قولاً أو فعلاً مقصوده به مقصود صالح، وإن كان ظاهره خلاف ما قصد به، إذا كانت فيه مصلحة دينية، مثل دفع الظلم عن نفسه، أو غيره، أو إبطال حيلة محرمة"[5].

---

[1] انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (3 /43)، البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (3 /301)، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (13/ 32)

[2] سورة يوسف، آية:75

[3] سورة يوسف، آية: 76

[4] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (3 / 265).

[5] ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (1/ 388).

4- الردّ على مكر الماكرين

ظنَّ الماكرون في قرارة أنفسهم أَنَّ اللهَ لا يسمع سرَّهم ونجواهم، فخطّطوا ودبّروا، وكادوا للمؤمنين، وحاولوا جاهدين، محق الحقِّ وأهلِه وتدميرهم واستئصالهم، ومحو ذكرهم عن وجه البسيطة، ولكنهم فوجِئوا بعكس ما توقّعوا، وحصَل لهم غيرُ ما أرادوا، فقد انقلب مكرهم وبالاً عليهم، وباؤوا بالفشل والخسران في الدنيا والآخرة.

وقد بيَّن الله تعالى في عدة آيات قرآنية أَنَّ مكرَه لم يكن إلا ردّاً على مكرِهم، فلم يأتِ به ابتداءً، وخير شاهدٍ على ذلك مكرِ الله تعالى بقريش:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1].

وذلك عندما ظهر أمر الرسول عليه السلام وازداد أتباعه، خافت قريش على هيبتها بين القبائل، وأخذت تدبر المكايد، وتحيك المؤامرات للقضاء على الرسول عليه السلام، والإطاحة به وبدينه، ولم يدركوا أن الله يعلم مكرهم وتدبيرهم، وانه يدبّر لهم ما هو أعظم من ذلك، فقد أَخبر الله تعالى نبيه أن هؤلاء المشركين قد دبّروا لقتله، أو حبسه، أو إخراجه من بلده، ولكن الله قد جمع لهم بمكره وتدبيره كل ما مكروه بالنبي عليه السلام، فقد استدرجهم من مكة إلى بدر، حيث قتلوا هناك وأُلقوا في قليب بدر، وساق المسلمون منهم نحو سبعين أسيراً، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وأورد البخاري في صحيحه في الحديث الذي رواه أبو طلحة: "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَمَرَ يوم بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً من صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا في طَوِيٍّ من أَطْوَاءِ

---

[1] سورة الأنفال، آية:30

[2] سورة الأنفال، آية:17

بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وكان إذا ظَهَرَ على قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فلمّا كان بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عليها رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: ما نُرَى يَنْطَلِقُ إلا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حتّى قام على شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، يا فُلَانُ بن فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بن فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فإنا قد وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا..."[1].

وقال تعالى في أسرى بدر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

قال ابن هشام: "كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل إلى ألف درهم، إلاّ من لا شيء له فمنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه"[3].

ثم تنتهي الآية ببيان أن سبب هذا المكر من الله هو مكرهم السابق، فقد قال تعالى في نهاية الآية: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾

فهم يخفون المكايد للرسول – عليه السلام – والله يخفي ما أعده لهم ليباغتهم به، فهو خير الماكرين، ومَكرُهُ أنفذ من مكر غيره، وأبلغ في التأثير، لأنه لا ينزل إلا ما هو حق، ولا يصيب إلا من يستحق [4]

5-تحقيق النصر في الحرب

ليس في الحرب لين ولا هوادة، إمّا نصر وغلبة، وإما ذلّ وهزيمة، وقد أباح الله تعالى المكر والخديعة في الحرب لنصر دينه، وإعلاء كلمته، ونصر المستضعفين الذين فتنَهُمُ الجبابرة،

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، باب:قصة غزوة بدر،حديث:3757، (4 / 1461).

[2] سورة الأنفال، آية: 70

[3] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (ت 213 هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل- بيروت، (ط2 /411هـ). (3/ 212).

[4] -انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 305).

ومنعوا الدّين الحق من الوصول إليهم، لذلك كان التهديد بغضب الله والوعيد بعذاب النار لمن فرَّ يوم الزحف؛ لأنَّ ذلك يؤدّي إلى كشف ظهور المسلمين، وهزيمتهم، والحــرب ليســت بــالأمر الهيّن، فهي تحتاج إلى إعمال عقل، وتدبير محكم، وتخطيط جيد، وصبر على مشــاقِها، يقــول صاحب العقد الفريد: "الحرب رحى ثِقالُها الصبر، وقطبها المكر، ومدارها الاجتهــاد، وثقافتهــا الأناة، وزمامها الحذر، ولكل شيء من هذه ثمرة، فثمرة الصبر التأييد، وثمرة المكــر الظفــر، وثمرة الاجتهاد والتوفيق، وثمرة الأناة اليمن، وثمرة الحذر السلامة. ولكلّ مقام مقــال، ولكــل زمان رجال، والحرب بين الناس سجال، والرأي فيها أبلغ من القتال"[1].

لذلك كانت الحيلة والمكر مباحة في الحرب لحقن دماء المسلمين.

وقد جاء الإذن بالتحرّفِ للقتال، واستعمالِ الحيلة في الحرب في قولــه تعــالى:﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

المطلب الثاني: صفات أهل المكر الحسن

لقد وصف الله– سبحانه وتعالى – نفسه بالمكر– سواءً كان هذا المكر استدراجاً أو جزاءً على مكر– ونعت هذا المكر بالخير، فهو سبحانه خير الماكرين، وأقــدر المــاكرين، وأعــدل الماكرين، ومكره لا يضاهيه مكر، وهو وحده المختص بالمكر الحسن، وإن صدر من بعــض أوليائه فبتدبيره وإعانته وإلهامه، كما قال تعالى بعد احتيال يوسف –عليه السلام– لأخذ أخيــه: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا

---

[1] الأندلسي، أحمد بن محمد ابن عبد ربه، (ت 328هــ)، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد سعيد الفريات، دار الفكر، (بدون ذكر مكان النشر ولا سنة نشر)، (1 /67).

[2] سورة الأنفال، آية: 16

لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

وبعد تتبع الباحثة لأهم صفات أهل المكر الحسن وجدتها على النحو الآتي:

1-الحلم والصفح

لا بدَّ لمن يمتاز بالحكمة والقدرة على التدبير والمكر الحسن، أن يُزين ذلك بحسن الخلق، وسعة الصدر، وطول الأناة، وإعطاء الفرصة لأهل الشر للتوبة، والرجوع عن ظلمهم، وربّما يكون ذلك سبباً في صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

"والحلم الأناة والعقل"[2].

وقد أشارت الباحثة في هذا المبحث وما سبقه من مباحث إلى أن الله -سبحانه وتعالى- صاحب المكر الحسن، وأنّه -سبحانه وتعالى- وصف نفسه بخير الماكرين، ولا بد لخير الماكرين من الحلم والأناة، وإعطاء الفرص للتوبة، والآيات القرآنية تذكر الكثير ممّا يدل على حلم الخالق، وسعة رحمته بعباده، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[3].

قال السعدي: "يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدراتهم وقواهم عنهما ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع، والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه، وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالاً وتعظيماً، ومحبة، وتكريماً، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، وعدم معاجلته

---

[1] سورة يوسف، آية: 76

[2] ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (3 / 364).

[3] سورة فاطر، آية: 41

للعاصين، مع أنه لو أمر السماء، لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه إنه كان حليماً؛ في تأخير عقاب الكفار، غفوراً لمن تاب"[1].

وقد كان أنبياء الله –عليهم السلام– مثالاً في الحلم والصفح والأنـــاة– وان كـــانوا قـــد اضطروا إلى استخدام بعض الحيل– فقد وصفهم الله تعالى بهذه الصفة في عدة مواطن من كتابه العزيز، يقول تعالى في شأن إبراهيم –عليه السلام–: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[2].

هكذا كانت صفات إبراهيم – عليه السلام – الحلم والأناة، والرجوع إلى الله بالتوبة، فقد لقي إبراهيم من قومه وعلى رأسهم أبوه ما لقي من العناد والتكذيب، ومحاولة الإحراق بالنـــار، ولكن الحلم والرحمة الكامِنين في قلبه يدفعانه إلى الإشفاق على آبيه، وطلب المغفرة له مـــن الله تعالى، بالرغم من أنه كان يقف له بالمرصاد، وهذه الصفات التي دلت على رقّة قلبه ورحمتـــه بالناس، وعدم الاستعجال بالعذاب لمن أساء إليه، هي التي دفعت به أيضاً إلى المجادلة عن قوم لوط –عليه السلام– وطلب تأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون[3]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[4].

وها هو يوسف الصديق –عليه السلام– يقابل مكر إخوته وتدبيرهم وما جرّوا عليه من ويلات، من إلقاء في البئر، وبيع في الأسواق، وتعرض للمراودة والفتنة مـــن زوجـــة العزيـــز وإغراء من صويحباتها، وإيداع في السجن، بالصفح والحلم وطلب المغفرة لهـــم مـــن الله عـــز

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 691).

[2] سورة التوبة، آية: 114

[3] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (2 / 389).

[4] سورة هود،الآيات: 74 – 75

وجل، قال تعالى على لسان يوسف عليه السـلام: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

فبعد رحلة العذاب الطويلة التي مر بها يوسف –عليه السلام- بسبب حسد إخوته، نـراه يقف موقفاً تشهد الأيام بعظمته وشموخه، وصفحه وحلمه، ويقف إخوته موقف النادم على فعله، المعترف بذنبه، يقول تعالى على لسـانهم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[2].

ويصف سيد قطب المشهد بقوله:

"أما هم فتتمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف، ويجللهم الخزي والخجل وهـم يواجهونه محسناً إليهم، وقد أساؤوا، حليماً بهم وقد جهلوا، كريماً معهم وقد وقفوا منه موقفاً غير كريم:

{قالوا: تالله لقد آثرك الله علينا، وإن كنا لخاطئين }..اعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، وتقرير لما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسـان، يقابلـه يوسـف بالصفح والعفو وإنهاء الموقف المخجل، شيمة الرجل الكريم، لا مؤاخذة لكم ولا تأنيب اليوم، فقد انتهى الأمر من نفسي ولم تعد له جذور، والله يتولاكم بالمغفرة وهو أرحم الراحمين"[3].

2-الشدَّة والقسوة

بعد الحلم والأناة، وبعد المتاع والابتلاء، وبعد الإعذار بالرسل والبينات، وبعد أن يسود الظلم ويسيطر الظالمون، ويتميز المصلحون وينعزلوا بعد يأسهم من التأثير على هؤلاء الظلمة، وبعد أن تتميز الفئة الظالمة بدينها وأتباعها، عند ذلك لا يبقى للحلم مكان فقد أُعذروا وأُنـذروا

---

[1] سورة يوسف، آية: 92

[2] سورة يوسف، آية: 91

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (4 / 2027) بتصرف

ولكن لا يحبون الناصحين، عند ذلك يستحق هؤلاء العذاب الذي لا يرحم كبيرهم ولا يعطف على صغيرهم لألمه وشدته[1]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2].

بعد أن ذكر – سبحانه وتعالى – قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وعاقبة من ظلم منهم في الآيات السابقة لهذه الآية أشار سبحانه وتعالى إلى أن هذه هي عاقبة ونهاية كل ظالم، فذلك عقاب لا مفرّ منه ولا مهرب، وفى هذا إنذار وتحذير من سوء عاقبة الظلم في كل زمان ومكان، لأنَّ أخذَه وجيع قاس لا يرجى منه الخلاص[3].

وقال البقاعي في أخذ الله للظالمين، إن أخذه: "مؤلم قاطع للآمال، مالئ البدن والروح والنفس بالنكال، صعب مفتت للقوى"[4].

وستذكر الباحثة الأمثلة على شدة عذاب الله وقسوته على الظالمين، عند الحديث عن عاقبة أهل المكر السيئ، وستكتفي هنا، بذكر قسوة إبراهيم على أبيه وقومه بعد أن استفرغ ما في الوسع والطاقة من الحلم والأناة معهم، ولكن عندما تيقن عداوتهم لله قطع معهم كل أواصر المحبة والود، وتبرّأ منهم، وتركهم مهاجراً في سبيل لتبليغ دعوة ربه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[5].

كان هذا الوعد من إبراهيم –عليه السلام – لأبيه قبل أن يعلم عاقبة أبيه، وأنّه سيموت على الكفر، وعندما ظهرت لإبراهيم– عليه السلام– دلائل عداوته لله، أعلن البراءة منه، وبراءة

---

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 1928).

[2] سورة هود، آية: 102

[3] انظر: المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (12/ 83).

[4] البقاعي، **نظم الدرر**، (3 / 576) بتصرف.

[5] سورة التوبة، آية: 114

الابن من أبيه من أقسى أنواع التعامل إلا إذا كانت لله، لذلك قال تعالى في نهاية الآية: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر، والدعاء، والاستغفار، والإنابة إلى ربه،(حليم) أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: (لأرجمنك) وهو يقول له:(سلام عليك سأستغفر لك ربي)، فلم يصفه – سبحانه وتعالى – بالقسوة بل وصفه بالحلم لان هذه قسوة عارضة اضطر إليها إرضاءً لله تعالى[1].

ولم يكتفِ بالتبرؤ منهم، بل أَتبع ذلك بالهجرة، وترك أبيه وقومه، وما يعبدون من دون الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2].

قال الآلوسي في معنى الآية: "إني ذاهب إلى حيث أمرني أو حيث أتجرد فيه لعبادته عز وجل، فجعل الذهاب إلى المكان الذي أمره ربه تعالى بالذهاب إليه، ذهاباً إليه، وكذا الذهاب إلى مكان يعبده تعالى"[3].

هكذا يجب أن يكون المؤمن، رحيماً، حليماً، مع المؤمنين، شديداً قاسياً على الكافرين، وقد مدح الله –سبحانه وتعالى الصحابة– رضوان الله عليهم – لتميزهم بهذه الصفة، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[4].

3- الثقة بنصر الله وتوفيقه

تَنْبُعُ هذه الصفة من السنة الربانية القويمة، ومن العدل الإلهي المطلق الذي به قامت السموات والأرض، واعتدلت به الموازين، واندحرت به قوى الشر وزالت، فقد اخذ الله على نفسه العهد والميثاق بنصرة الرسل ومَن والاهم، وإظهار دعوتهم، والتمكين لهم في الارض، كما

---

[1] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 353).

[2] سورة الصافات، آية: 99

[3] الآلوسي، **روح المعاني**، (23/ 126) بتصرف.

[4] سورة الفتح، آية: 29

وعدهم بالأمن من مكر أعدائهم إن استقاموا على دين الله وعبادتـــه قـــال تعـــالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

وبهذا الوعد بشر عيسى –عليه السلام– قبل رفعه إلى الله تعالى، بان أمر أتباعه، ومَن سار على منهاجهم في اتّباع الدين القويم، سيعلو ويظهر على من جحد نبوته، ودبر للمكر بـــه والاحتيال في قتله، وطمس ما جاء به من الحق، وفي ذلك قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[2].

فأمام وعد الله تعالى لرسله بالنصر لا يبقى لمكر الماكرين أثر، ولا يعيق وعده لرســـله بالنصر عائق، فلا يفلت منه ظالم، ولا ينجو منه ماكر؛ لأنه يستحق الانتقام والتعذيب جزاء على ظلمه ومكره، وتحقيقاً لعدل الله تعالى في الجزاء[3]، لذلك قال تعـــالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[4].

وهذه الوعود الربانية الصادقة، يضاف إليها، العقيدة الراسخة، والإيمان القاطع بوجـــود يوم يحاسب الناس فيه على ما قدموا، هي التي دفعت برجل مؤمن بسيط الحال أن يقف في وجه

---

[1] سورة النور، آية: 55

[2] سورة آل عمران، آية: 55

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 2113).

[4] سورة إبراهيم، آية: 47

طاغية زمانه وجبار عصره: فرعون ليدعوه إلى اتباع سبيل الرشاد، والإيمان بالله، مهدّدا إيّاه في النهاية بأنه سيعود إلى الله تعالى، ويقف أمامه للحساب، عند ذلك سيتذكر كلام هذا المؤمن، كل ذلك برباطة جاش، وعزيمة ثابتة، وثقة بنصر الله تعالى عاجلاً أم آجلاً، دون أن يحسب لبطشه وجبروته أي حساب، قال تعالى على لسانه: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].

يقول سيد قطب رحمه الله: "ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة، بعدما دعا القوم إلى أتباعه في الطريق إلى الله، وهو طريق الرشاد، وكشف لهم عن قيمة هذه الحياة الزائلة؛ وشوّقهم إلى نعيم الحياة الباقية؛ وحذرهم عذاب الآخرة؛ وبين لهم ما في عقيدة الشرك من زيف ومن بطلان"[2].

بهذا الشموخ الإيماني، وبهذه العقيدة الراسخة، استحق النصر من الله، والنجاة من الذل والهوان في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾[3].

---

[1] سورة غافر، آية: 44

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (5/ 3082).

[3] سورة غافر، آية: 45

المبحث الثاني

أسباب المكر السيئ وصفات أهله

تنبع أهمية هذا المبحث من كونه يشكل حماية للمسلم من الوقوع في هذه الأسباب من حيث يشعر أو لا يشعر، وذلك بملاحظة خطورتها وما يعقبها من ويلات على الفرد والمجتمع، بالإضافة إلى ما توعد به الحق جل وعلا فاعليها من عقوبات في الدنيا والآخرة، وقد قامت الباحثة بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين رئيسين، يحتوى المطلب الأول منهما على أسباب المكر السيئ، ويحتوى المطلب الثاني على صفات أهل المكر السيئ، ولكن بعد البحث والتنقيب عن أسباب المكر السيئ من خلال الآيات القرآنية، ومن خلال ما ذكر في كتب التفسير، وكتب الأخلاق والسلوك، وجدت الباحثة أن هناك تشابهاً كبيراً بين أسباب المكر السيئ، وبين صفات أهله، فلا يوجد فرق كبير بينهما، فالأسباب التي دفعت بأصحابها إلى هذا المكر السيئ هي نفسها الصفات الكامنة فيهم، فقد اتصف أهل المكر السيئ بصفات خُلقية، كانت هي السبب المباشر لمكرهم وخداعهم، قال الميداني: "الخلق صفة مستقرة في النفس ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة، ويقاس مستوى الخلق النفسي عن طريق قياس آثاره في سلوك الإنسان: فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى قدر قيمة الخلق في النفس تكون آثاره في السلوك، إلا أن توجد أسباب معوقة أو صوارف صادة عن ظهور آثار الخلق في السلوك"[1].

وبما أن أسباب المكر السيئ هي نفسها الصفات الكامنة في أهله قامت الباحثة بدمج هذين المطلبين في مطلب واحد تجنباً للتكرار، فالمتتبع لأسباب المكر السيئ النابعة من صفات أهله يجدها على النحو الآتي:

1-الكفر بالله والتكذيب بالآخرة

بعد إمعان النظر في الآيات التي تحدثت عن المكر، ترى الباحثة أن الكفر والتكذيب بالآخرة، وانعدام التقوى، من الأسباب الداعية إلى المكر والخداع، ويظهر ذلك جلياً في الحوار

---

[1] الميداني، **الأخلاق الاسلامية**، (1/ 10) بتصرف.

الذي دار بين مؤمن ال فرعون وبين قومه، فنراه مشفقاً عليهم من عذاب الله، ونراهم يخططون للمكر به وبمن امن معه فقد حجب الكفر عقولهم عن التمييز بين الحق والباطل، وبين من كان لهم ناصحاً أميناً ومن كان لهم مستعبداً صارفاً لهم عن وجوه الخير – فرعون–، وقد أشار الطبري إلى ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾[1].

قال: "وقوله: ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ أي: وأشرك بالله في عبادته أوثاناً لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله؛ لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل"[2].

وأضاف المراغي قائلاً: "ولم يقم دليل على ألوهيتها، وأنا أدعوكم إلى من استجمع صفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة والعلم والإرادة والتمكن من المجازاة، والقدرة على التعذيب والغفران"[3].

فنجاه الله تعالى من مكرهم، الناجم عن قلة علمهم وجهلهم بالله وقدرته، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ۝٥٢ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾[5].

---

[1] سورة غافر، الآيات: 41 – 42

[2] الطبري، جامع البيان، (24 / 68).

[3] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (24/ 75).

[4] سورة غافر، آية: 45

[5] سورة المدثر، الآيات: 52 – 53

فبعد أن ذكر -سبحانه وتعالى- أن كفار قريش طلبوا الآيات من الرسول- عليه السلام- "ردعهم الله سبحانه عن هذه المقالة وزجـرهم فقـال: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ يعني عذاب الآخرة؛ لأنهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات"[1].

وذكر سيد قطب سبباً آخر فقال: "هو الحسد للنبي صلى الله عليه وسلم، والرغبة في أن يؤتَى كلٌّ منهم الرسالة! والسبب الدفين الآخر هـو قلـة التقـوى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾، وعدم خوفهم من الآخرة هو الذي ينأى بهم عن التذكرة... وينفرهم من الدعوة هذه المرّة. ولو استشعرت قلوبهم حقيقة الآخرة لكان لهم شأن غير هذا الشأن المريب"[2].

والقرآن الكريم زاخرٌ بالشواهد على أن الكفر والتكذيب بالآخرة من الأسباب المباشـرةِ للمكر، وترى الباحثة أن في هذا القدر كفاية.

2-استحلال ما حرم الله تعالى

وهذا سبب آخر من أسباب المكر والخداع، وهو استحلال ما حرَّمَ الله، وقـد قـص الله تعالى في كتابه الكريم على الرسول- عليه السلام-نماذجَ من هذا المكر، مثـل قصـة اعتـداء اليهود في السبت، وهذا الاحتيال يختلف عن احتيالاتهم السابقة، ففي هذه المرة محاولة للاحتيال على الله تعالى، قال تعالى في شانهم: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[3].

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، (5 / 333).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (6 / 3753 - 3763) بتصرف.

[3] سورة الأعراف، آية: 163

قال سيد قطب معلقاً استهتارهم بالنصوص الشرعية: "وهم في هذه المـــرة لا يخـــالفون الأمر جهرة، ولكنهم يحتالون على النصوص ليفلتوا منها! ويأتيهم الابتلاء فلا يصبرون عليـــه؛ لأن الصبر على الابتلاء يحتاج إلى طبيعة متماسكة في تملّك الارتفاع عن الأهواء والأطماع"[1].

وأشار مجاهد إلى بداية قصتهم فقال: "فقد حرمت عليهم الحيتان يوم الســـبت، فكانـــت تأتيهم يوم السبت شرعاً، بلاء ابتلوا به، ولا تأتيهم في غيره إلا أن يطلبوها بلاء أيضا"[2].

وذكر الخطيب أسباب مكرهم في ذلك اليوم قال: "وقد مكر أصحاب هذه القريـــة بهـــذا اليوم، فكانوا يحتالون على العمل فيه، وخاصة فيما يتصل بصيد السمك الذي كان العمل الغالب عليهم، ولهذا فقد ابتلاهم اللّه في هذا اليوم بابتلاء، وهو أن الحيتان كانت لا تظهر في شـــاطئ البحر طوال أيام الأسبوع إلا يوم يسبتون، فإذا كان يوم السبت جاءت الحيتان من كل صـــوب، تتراقص أمام أعينهم، حتى لتكاد تلقى بنفسها إلى اليابسة، وفى ذلك ابتلاء لهم أي ابتلاء، فإما أن يصبروا على حكم اللّه فيهم، فلا يمدّوا أيديهم إليها، وإما أن يأخذوا منها ما يشاءون، وفى هـــذا هلاكهم، فلا تبقى منهم باقية"[3].

فلم يصبروا على الابتلاء، ولم يترفعوا عن أهوائهم وأطماعهم، وظنوا أنّهم قادرون على خداع ربهم، فصنعوا كيسا من السلك له مدخل وليس له مخرج، يدخل السمك فيه يوم السبت فلا يستطيع الخروج، ويبقى داخله إلى يوم الأحد فيستخرجوه منه وفي هذا مكر واحتيال، وباعتقادهم إنهم لم يخالفوا النصوص، ولم يصطادوا يوم السبت، وظنّوا في أنفسهم أن حيلتهم هذه تنطلـــي على الله تعالى عما يصفون، فكانت عاقبتهم أن أصبحوا قردةً خاسئين[4].

وفي عقابهم قال تعـــالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾[5].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (3/ 1382).

[2] انظر: مجاهد، **تفسير مجاهد**، (1/ 248).

[3] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (5 / 505).

[4] انظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (7/ 4410).

[5] سورة البقرة، آية:65

3-الإفساد في الارض

الفساد في أصل اللغة:" أخذ المال ظلما والجدب. والمفسدة: ضد المصلحة. وفسده تفسيداً: أفسده وتفاسدوا: قطعوا الأرحام"[1].

كان نزول القرآن الكريم على النبي- صلى الله عليه وسلم- وتكريمه بالرسالة ضربة لكل جبار متعال في الارض، وخاصة اليهود، مما دفع بهؤلاء إلى الصدّ عن هذا الدين بشتى أنواع الحيل، حسداً منهم أن تخطاهم هذا الفضل العظيم، واختص اللهُ به رجلاً من عامة الناس كمحمد – عليه السلام- فزادهم ذلك طغياناً وكفراً، واشتد مكرهم وخبثهم، وأخذوا يشعلون الفتن، ويسعون في الارض بشتى أنواع المكر لصدّ الناس عن دينهم، وليس ذلك إلا للفساد وإشعال نار الفتنة، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[2].

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى صفات اليهود في الآيات السابقة لهذه الآية-من مسارعة في الإثم، وأكل للسحت، وافتراءٍ على الله تعالى، واتهامٍ لجلاله بالبخل الذي هو من أخصّ صفاتهم، فذكر أنواعاً أخرى من صفاتهم كإشعال نار الفتنة والحرب، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾.

بمعنى: "كلما أجمعوا أمرهم على المكر بمحمد- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، فَرَّقَه اللهُ تعالى، وأطفأ نار مكرهم؛ أي سكته الله تعالى ووهن أمرهم"[3].

---

[1] الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، (ص 391).

[2] سورة المائدة، آية: 64

[3] السمرقندي، **بحر العلوم**، (1/ 427).

وفي معنى النار التي يوقدونها قال الخطيب: "والنار التي يوقدها اليهود هنا، هي كيدهم لدين اللّه، ولرسول اللّه، كلّما نزلت آية من آيات القرآن الكريم، نظروا فيها، وتأوّلوها تـأويلاً فاسداً، وعرضوها على ما عندهم من مقولات باطلة مضللة، ليفسدوا بها على الناس دينهم، وفى كل مرة يفعل اليهود هذا تفضحهم آيات اللّه على الملأ، فلا يرجعون إلا بالخزي وسوء المنقلب، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: « أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ » أي أنه تعالى بما ينزل من آيات القرآن الكريم على النبي– عليه السلام–، يبطل ما دبّر اليهود، ويتبّر ما كانوا يعملون"[1].

وللبيضاوي رأي آخر حيث قال: "كلما أرادوا حرب الرسول - صلى الله عليه وسلم – وإثارة شر عليه ردهم الله سبحانه وتعالى بأن أوقع بينهم منازعة، كف بها عنه شرهم، أو كلّما أرادوا حرب أحد، غُلبوا، فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر[2]، ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي[3]، ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين"[4].

وفي استمرار صفة الفساد عندهم جاءت خاتمة الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

---

[1] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (3 / 1133).

[2] هو: بختنصر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمروذ بن فالغ بن عابر، انظر: الطبري، **تاريخ الطبري**، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر)، (322/1)، وهو: ملك بابل الذي آل إليه السلطان علي آشور من سنة 605– 563، وزحف على فلسطين، وهزم فرعون مصر، واستعاد ملك إسرائيل ثم احتل مملكة يهوذا وقتل آخر ملوكها ونهب أور شليم، ودمر وسبا أكثر السكان إلى بابل وانتهى بذلك ملك اليهود في فلسطين، انظر: د. محمد نبيل طاهر العمري، د.محمد احمد الحاح، **مقارنة الأديان**، (ط1 / 1998 م)، حقوق الطبع لجامعة القدس المفتوحة، عمان – الأردن، (ص 165).

[3] هو: فلافيوس ساينوس فسبسانوس وهو إمبراطور روماني ولد عام40 للميلاد، وتوفي عام 81 للميلاد، وهو ابن فسبسيانوس، تربى في البلاط الإمبراطوري مع ريتانيكوس ابن كلود بوس الذي قتله ميرون بالسم، وفي الحرب اليهودية كان قائداً لفرقة تحت يد أبيه، وغزا ناريكية وجامالا، واماكن أخرى، ولما نادت جيوش فسبسيانوس، باسمه امبراطوراً ذهب الى روميه وخلف تيطس لينهي الحرب اليهودية فانهاها سنة 70 للميلاد ؛ بأخذ أورشليم، وقتل سكانها وتشتيت شملهم، انظر: بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، دار المعرفة– بيروت، (بدون ذكر الطبعة/ 1299هـ).

[4] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (2 / 346).

بمعنى انهم:" يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض. أي: بعمل المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام "[1].

وقال الرازي في معنى إفسادهم:"بان يخدعوا ضعيفاً، ويستخرجوا نوعاً من المكر والكيد، على سبيل الخفية"[2].

وأضاف الزمخشري: "ويجتهدون في الكيد للإسلام، ومحو ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من كتبهم"[3].

وفي غرضهم من ذلك قال المراغي: "وما يأتونه من عداوة النبي صلى اللّه عليه وسلم والمؤمنين، وإيقاد الفتن والحروب لم يكن بقصد الإصلاح للأخلاق وشئون العمران والاجتماع، بل كانوا يقصدون السعي في الأرض للفساد، ويحاولون الكيد للمؤمنين، ومنع اجتماع كلمة العرب، ويودون ألا يخرجوا من الأميّة إلى العلم والعرفان، ولا من الوثنية إلى التوحيد، حسداً لهم وحباً في دوام امتيازهم عنهم"[4].

لم يكن الإفساد في الارض من حظّ اليهود وحدهم، بل كان لغيرهم نصيب في ذلك كقوم صالح – عليه السلام– وقد ذكر لنا سبحانه وتعالى من شانهم فقال: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[5].

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ص 238).

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، (12/ 39).

[3] الزمخشري، **الكشاف**، (1 / 690).

[4] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (6 / 155).

[5] سورة النمل، الآيات: 48 – 49

فقد كان في مدينة صالح – عليه السلام– تسعة من أشراف القوم شـــانهم الفســـاد فـــي الأرض، "إفساداً لا يخالطه شيء من الصلاح أصلاً، وقوله تعالى: "ولا يُصـــلِحُون" يعنـــي إن شأنهم الإفساد المحض"[1].

ومن إفسادهم: عقرهم الناقة، وتدبيرهم لقتل النبي صالح– عليه الســـلام–قـــال تعـــالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴾[2].

هذا وقد حذرهم صالح– عليه السلام– من التعرض للنّاقة بسوء، فاجتمع هؤلاء التســـعة المفسدون، ودبّروا وتعاونوا على عقر الناقة، وان كان أشقاهم هو الذي بادرها بالطعن، ولكـــن كلهم مشتركون في الجريمة، وبعد عقر الناقة توجهوا للمكر بصالح– عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وذلك جلي في قوله تعـــالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[3].

"والمعنى، أن هؤلاء النفر قد ائتمروا فيما بينهم، على أن يهلكوا صالحاً وأهله، فأقسموا على ذلك، وجعلوا لتنفيذ هذه المؤامرة وقتاً، هو الليل، ثم اتفقوا كذلك على الموقف الذي يلقـــون به ولى الدم، لصالح وأهله، وذلك بأن ينكروا أنهم شهدوا مصرع صالح ومن معه"[4].

ولكن الله تعالى أبطل مكرهم، وطهّر الأرضَ من فسادهم، ونجَّى عباده المؤمنين، ومحق الكافرين قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[5].

---

[1] الشاذلي الفاسي، **أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي، البحر المديد**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 2/ 1423هـ)، (5 / 341).

[2] سورة الشمس، آية: 14

[3] سورة النمل، الآيات: 48 – 49

[4] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (10/ 253).

[5] سورة النمل، آية: 50

وممن أفسد في الارض أيضاً قوم شعيب – عليه السلام – ومن أنواع الفساد التي سلكها هؤلاء، الاحتيالُ في المعاملات من بيع وشراء، قال تعالى على لسان شعيب– عليه السلام–: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[1].

كانت معصية هذه الأمة كما ذكر ابن عطية: "أنهم كانوا تواطئوا فيما بينهم أن يأخذوا ممن يردّ عليهم من غيرهم وافياً، ويعطوا ناقصاً في وزنهم وكيلهم، فنهاهم شعيب بوحي الله تعالى عن ذلك"[2].

وقد نصحهم شعيب –عليه السلام– قائلاً: قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3].

"أي: أتمّوهما بالعدل، نُهوا أوّلاً: عن عين القبيح الذي كانوا عليه، من نقص المكيال والميزان، ثمّ ورد الأمرُ بالإيفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه، وجيء به مقيدا بالقسط، أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية، من غير زيادة ولا نقصان، والبخس: النقص، كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك، وقوله تعالى:" ولا تعثوْا في الارض" أي: نحو السرقة والغارة وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عيثا منهم في الأرض"[4].

[1] سورة هود، آية: 84

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (3 / 199).

[3] سورة هود، آية: 85

[4] النسفي، **مدارك التنزيل**، (2 / 167) بتصرف.

لقد كان احتيالهم في معاملاتهم من صور الإفساد في الارض، وجاء التهديد بالعذاب الأُخروي في سورة المطففين، ليشمل الجميع، فلم يقتصر الإفساد على قوم شعيب كما لا يقتصر عليهم العذاب، وهذا النوع من الفساد شاع منذ القدم، ولا نزال نراه في زماننا هذا، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾[1].

4- الكبر

"الكبر الإثم الكبير، والكبرياء اسم للتكبر والعظمة"[2]

بدأت هذه النزعة منذ خلق ادم –عليه السلام– فمنذ اللحظة الأولى التي أمر الله تعالى إبليس فيها بالسجود لآدم –عليه السلام–، تحركت في إبليس الصفة الأصيلة فيه، وهي الكبر والغرور، فنطق بقوله من غير حياء من جداله لربه كما قال تعالى على لسانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[3].

وهذا الكبر هو الذي جعله يعتقد انه أفضل من آدم –عليه السلام–، ممّا دفع به إلى عصيان أوامر الله تعالى، والبوء بلعنة الله وغضبه إلى يوم الدّين، لذلك أضمر المكرَ لآدم وذريته، ليشاركوه في اللعن والطرد من رحمة الله إن أطاعوه واتبعوا سبيله.

قال تعالى على لسانه مؤكداً كبره وجهله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[4].

---

[1] سورة المطففين، الآيات: 1– 6

[2] الفراهيدي، العين، (5/ 361).

[3] سورة الإسراء، آية: 61

[4] سورة الأعراف، آية: 12

"هكذا كانت نظرة إبليس إلى الأمر نظرة سطحية، فقد ظَنَّ أنَّ ميزان التفاضل بين الخلق هو نوع العنصر الذي خلق منه.

قال ابن أبي الدنيا في ذلك: "قاس بعقله قياساً واحداً، فزلَّ عن طريق الله فهلك مع الهالكين، ونسب هذا الطريق إليه، فسمي طريق الشيطان الرجيم، وذلك أنّه فكر في نفسه وقال: النار أشرف من الطين؛ لأن النار نورانية والطين من الظلمة، فَأنا خيرٌ من آدم، لأن النّار خيرٌ من الطين، ولو علم أن الخيِّر ما كان عند الله خيرا لأطاع ربه كما أطاعت الملائكة أجمعون، ولكن جعله الله لأهل الشقاء سببا، فاحتج بهذا الاحتجاج، وارتكب هذا اللجاج، فهلك هلاك الأبد بسوء نظره وفساد قياسه"[1].

وممَّن سلك سبيل إبليس من الأمم قريش، فقد صدَّها الكبرُ والغرور عن اتباع الدين القويم، فأخذت تدبر للطعن في الدّين، وأخذت تلصق التّهم بالرسول –عليه السلام– لتشويه صورته وتوهين أمر دعوته، فقالوا إنّه ساحر كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾[2].

قال سيد قطب: "كانوا يخدعون الجماهير من خلفهم، فيقولون: إنه سحر، ويعلنون كفرهم به على سبيل التوكيد، يقولون: ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ ليلقوا في روع الجماهير أنهم واثقون مما يقولون؛ فيتبعوهم عن طريق الإيحاء والانقياد، شأن الملأ من كل قوم، في التغرير بالجماهير، خيفة أن يفلتوا من نفوذهم، ويهتدوا إلى كلمة التوحيد التي يسقط معها كل كبير، ولا يعبد ويتقى إلا الله العلي الكبير"[3].

---

[1] ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، (ت 281 هـ)، **الإخلاص والنية**، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر ولا دار نشر)، (ص 38).

[2] سورة الزخرف، آية: 30

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (5/ 3185-3186).

ثم نطقوا بخفايا نفوسهم وما أضمرت، وكشفوا اللثام عن كبرهم وغرورهم، وصـــرحوا بسبب شركهم، ومكرهم الذي لم يكن إلا كبراً وغروراً، قال تعالى على لسانهم: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[1].

قال الآلوسي: "وهذا باب آخر من إنكارهم للنبوّة، وذلك أنّهم أنكروا أوّلاً أن يكون بشراً ثم لما بكتوا[2] بتكرير الحجج، ولم يبق عندهم تصور رواج لذلك جاؤا بالإنكار من وجه آخـــر، فتحكموا على الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين، وقولهم هذا القرآن ذكر له علـــى وجـــه الاستهانة؛ لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكارا كأنه قيل: هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقاً لكان الحقيق به رجل من القريتين عظيم"[3].

هؤلاء هم الذين أقسموا الأيمان المغلظة- قبل بعث النبي عليه الســـلام – إنْ بعـــث الله إليهم رسولاً، أن يكونوا من المهتدين، وقد ذكر القـــرآن الكـــريم قـــولهم هـــذا، قـــال تعـــالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[4].

قال الطبري: "هذا في مشركي مكة، فإنهم كانوا قالوا: لو جاءنا نذير لكنا أهدى أي: أقبل للكتاب، وألزم له من اليهود والنصارى،-أومن إحدى الأمم التي خلت من قبلهم"[5].

---

[1] سورة الزخرف، آية: 31

[2] بكته: ضربه بالسيف والعصا ونحوهما. و التبكيت: كالتقريع والتعنيف، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 11).

[3] الالوسي، **روح المعاني**، (25/ 78).

[4] سورة فاطر، آية: 43

[5] الطبري، **جامع البيان**، (22/ 145).

نستنتج من الآية أنهم كانوا يتمنون أن يبعث فيهم نبي يدلهم على الطريق المستقيم، فالميل إلى التدين، والشعور بالحاجة إلى اله يلجأ إليه في كل الأحوال أمر فطري في كل إنسان، ولكن الذي نراه عندما بعث إليهم محمد-عليه السلام- جحدوا، وأنكروا، فما هو السبب؟ انه الكبر عن الانقياد لرجل من عامة الناس وهم السادة والأشراف، وعِلية القوم.

"فلم يفوا بما قالوا حين جاءهم الرسول، ولكنهم أعرضوا عن النذير لمّا جاءهم، ونفروا منه لكبرهم ولأجل المكر السيئ، فلم يكن إقسامهم لقصد حسن وإلا لوفّقوا إليه، فكانت بهرجة كلامهم هذه ليخدعوا الناس بأنهم أهل حق، حريصون على طلبه، فيغتر بهم المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون"[1].

ومن قبل قريش كان فرعون وجنوده، الذين أضلهم الكبر فأصمّهم وأعمى أبصارهم عن إتباع الحق حتى هلكوا جميعاً، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[2].

فقد جمع فرعون قومه الذين استخف عقولهم فأطاعوه، وأخذ يعقد مقارنة بينه وبين موسى عليه السلام ليستنطقهم بمن هو الأولى بالطاعة، فناداهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها، وجريِ الأنهار المنبثقة من نهر النيل تحت قصوره وتحت جنانه وضياعه، فقال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: تستدلون به على قوة ملكي وعظم قدري، وضعف موسى عن مقاومتي لما فيه من فقر وعيّ وحصر[3].

وظن فرعون أن الأفضل هو الذي يملك الأكثر من حطام الدنيا الزائل، وغفل وتكبر عن الآخرة، فلم تغن عنه دنياه وما ملك، وباء بالخسران المبين.

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 691) بتصرف.

[2] سورة الزخرف، آية: 51- 52

[3] انظر: التستري،، أبا محمد، سهل بن عبد الله، **تفسير التستري**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت، (ط1423/1هـ)، (25 / 99).

5- بطر النعمة ومنع الخير

وقد ظهرت تلك الصفة جلية في قصة أصحاب الجنّة، كيف مكروا، ودبروا، وتخافتوا، لمنع المساكين من حقهم ونصيبهم في رزق الله؟ وكيف كان خير الماكرين لهم بالمرصاد؟ فقد أَفشل جميع خططهم وتدبيراتهم، وحرق جنَّتهم جزاءً لغدرهم، وفي شأْنِهم قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾[1].

وقد كان لسيد قطب تعليقٌ جميلٌ على قصّتهم، قال: "لننظر كيف يصنع المبيتون الماكرون.

ها هم أولاء يصحون مبكرين كما دبّروا، وينادي بعضُهم بعضاً لينفذوا ما اعتزموا، يذكِّر بعضهم بعضاً ويوصي بعضهم بعضاً، ويحمس بعضهم بعضاً! ثم يمضي السياق في السخرية منهم، فيصوّرهم منطلقين، يتحدثون في خفوت، زيادة في إحكام التدبير، ليجنوا الثمر كله لهم، ويحرموا منه المساكين. أجل فقد شهدنا تلك اليد الخفية اللطيفة تمتد إليها في الظلام، فتذهب بثمرها كله"[2].

فقد بدّلوا نعمة الله كفراً وجحوداً، وأَحلوا أنفسهم بواراً وفساداً في معاشهم، فقد حرموا أنفسهم قبل أن يحرموا المساكين، فأورثهم ندماً على ما فات، ولم يبق لهم إلا التلاوم على ما صنعوا.

---

[1] سورة القلم، آية: 17 – 26

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (6/ 3665).

ومن الذين بطروا نعمة الله وأنكروا فضله: قارون الذي بغى على قومه واعتدى عليهم، وادّعى أن ما عنده من الخير، كان بمجهوده الخاص، وعلمه بفنون الكسب، وليس لأحد فضلٌ عليه، وتغافل عن فضل الله عليه مكراً وتكبّراً، وذلك بعد أن أعطاه الله من الكنوز ما تنوء بحمل مفاتحه العصبة أولو القوة، والقرآن الكريم شاهد على فعله، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[1].

وقارون رجل من بني إسرائيل، من قوم موسى- عليه السلام-فظلمهم وتجبَّرَ عليهم، وكان الله قد آتاه مالاً كثيراً، حتى إن مفاتيح خزائنه كانت تنوء بحملها عصبة من الرجال. نصحه أهل الوعظ والإرشاد من قومه بالبعد عن البطر والتجبّر والإفساد في الأرض، وأن يستعمل ماله في مرضاة اللّه، مع الانتفاع ببعضه في مصالح الدنيا بقدر الكفاية، وألاّ ينفقه فيما يغضب اللّه تعالى، حتى لا يتعرض لزوال النعمة، فأبى الامتثال لنصح الناصحين، وقال في ماله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ أي:أنه جمعه بما لديه من ذكاء وخبرة في شؤون التجارة، مُنكِراً فضلَ الله عليه، متغافلاً عن بطش اللّه بالمتجبرين المتكبرين من أمثاله في الأمم الغابرة، الذين كانوا أشد منه قوة، وأكثر جمعا للمال، فكانت عاقبته كعاقبة الظالمين أمثاله، محيَ ذكره وقطع دابره، فغار في غياهب الارض هو وماله الذي لم يغنِ عنه من الله شيئا[2].

---

[1] سورة النمل، الآيات: 76 – 78

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (20/ 159).

وفي سنة الله تعالى في عقاب الظالمين، ذكر البخاري في صحيحه، في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه- عن النبي – صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حتى إذا أَخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ "[1].

6- اتباع وساوس الشيطان

"الوسوسة: حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير"[2].

بما أَنَّ الله تعالى يعلم خطر الوسوسة سواء كانت من الجنّ أو من الإنس، فقد أمرنا بالالتجاء إليه والاعتصام به من شرور هؤلاء الموسوسين، لأنه لا نفع يرجى من ورائهم، ولا خير يرتجى منهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[3].

قال صاحب التسهيل في الوسوسة: "وسوسة الشيطان في صدر الإنسان أنواع كثيرة: منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد، فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك ثبطّه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات؛ ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه، واستكثار عمله، ومن ذلك أنّه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب، حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال، وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء:

واحدها: الإكثار من ذكر الله.

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب: المغازي، باب: قوله:﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾، حديث: (4409)، (4/ 1726).

[2] الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، (ص 748).

[3] سورة الناس، آية: 1- 6

وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة

وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه.

فإن قيل: لمَ قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس؟ فالجواب: أنَّ ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالَّة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب"[1].

وقال الرازي: "والوسواس الخناس قد يكون من الجنة، وقد يكون من الناس، كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾[2] وكما أنَّ شيطان الجنّ قد يوسوس تارة ويخنس أخرى، فشيطان الإنس يكون كذلك، وذلك لأنه يرى نفسه كالناصح المُشفِق، فإنْ زَجَرَه السامع يخنس، ويترك الوسوسة، وإن قبل السامع كلامه بالغ فيه"[3].

وأضاف ابن عاشور: "ويشمل الوسواسُ كل من يتكلم كلاماً خفياً من الناس، وهم أصحاب المكائد والمؤامرات، المقصود منها إلحاق الأذى من اغتيال نفوس، أو سرقة أموال، أو إغراءٍ بالضلال، والإعراض عن الهدى؛ لأنَّ شأن مذاكرة هؤلاء بعضهم مع بعض أن تكون سراً لئلا يطلع عليها من يريدون الإيقاع به، وهم الذين يتربّصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الدوائر ويغرون الناس بأذيَّتِه"[4].

وقد واسى الله تعالى نبيه في سورة الأنعام ببيان أنَّ سنته في الخلق أن يكون للنبيين أعداءٌ من الجن والإنس فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾[5].

---

[1] الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (4/ 227).

[2] سورة الأنعام، آية: 112

[3] الرازي، **التفسير الكبير**، (32 / 182).

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (30/ 633).

[5] سورة الأنعام، آية: 112

فقد أعطى الله تعالى هؤلاء الأعداء الحرية الكاملة ليمكروا ويدبروا لهؤلاء الأنبياء ومن تبعهم على طريق الهداية، بالتعاون مع شياطين الجن الذين يوحون إلى أوليائهم من أهل الكفر، والمعاصي ويزينوا جميع أنواع الكفر، والضلال، لإيقاع الأذى بالمؤمنين، ولو شاء الله تعالى لمنعهم من ذلك بعزته وقدرته، ولكن يؤخرهم إلى اجل مسمىً؛ ليمحص ا المؤمن الصادق من غيره، وليميز الخبيث من الطيب.

وفي شياطين هذا العصر وموسوسيه قال صاحب المنار: "وَالتَّغْرِيرُ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ قَدِ ارْتَقَى عِنْدَ شَيَاطِينِ هَذَا الزَّمَانِ وَلَا سِيَّمَا شَيَاطِينُ السِّيَاسَةِ ارْتِقَاءً عَجِيبًا، فَإِنَّهُمْ يَخْدَعُونَ الْأَحْزَابَ مِنْهُمْ وَالْأُمَمَ وَالشُّعُوبَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَيُصَوِّرُونَ لَهَا الِاسْتِعْبَادَ حُرِّيَّةً، وَالشَّقَاوَةَ سَعَادَةً، بِتَغْيِيرِ الْأَسْمَاءِ وَتَزْيِينِ أَقْبَحِ الْمُنْكَرَاتِ، وَإِنَّ مِنَ الشُّعُوبِ غِرَارًا كَالْأَفْرَادِ، تُلْدَغُ مِنَ الْجُحْرِ الْوَاحِدِ مَرَّتَيْنِ بَلْ عِدَّةَ مِرَارٍ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ"[1].

7- الحسد

"الحسد: انفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمني زوالها. وسواء أتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ، أو وقف عند حد الانفعال النفسي، فإن شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال"[2].

وإذا توقف الحاسد عند حد الانفعال النفسي، ولم يُتبع هذا الانفعال بسعي لإزالة النعمة عن المحسود، فان الشر والضرر سيلحقان بالمحسود، فما بالك بمن فرغ وقته، وأعمل جميعَ قواه لإيقاع الضرر بهذا المحسود؟ وقد بدأت قضية الحسد وما جرت وراءها من ويلات على الحاسد والمحسود منذ خلق آدم – عليه السلام–، وقد أشار لقرآن الكريم إلى ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3].

---

[1] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (8 / 8).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (4008/6).

[3] سورة الإسراء، آية:62

يقول الشيخ المراغي في تفسيره للآية الكريمة:"بعد أن ذكر سبحانه أن الرسول -صلى اللّه عليه وسلّم- كان في محنة من قومه؛ إذ كذبوه وتوعدوه، واقترحوا عليه الآيات حسداً على ما آتاه اللّه من النبوة، وكبراً عن أن ينقادوا إلى الحق، ذكر الله تعالى لنبيه -على سبيل المواساة- ما لاقاه آدم -عليه السلام- من إبليس، وأن الكبر والحسد هما اللذان حملا إبليس على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر، والحسد بليّة قديمة، ومحنة عظيمة للخلق"[1].

وهذا الحسد هو الذي دفع إبليس إلى مجادلة الحق جل وعلا، على تكريمه لآدم -عليه السلام- وفي ذلك الجدال قال الشعراوي: "أعلمني، لماذا فضلته عليَّ، وكأن تفضيل آدم على إبليس مسألة تحتاج إلى برهان وتبرير، وكان على إبليس أن ينتظر إجابة هذا السؤال الذي توجه به لربّه عزَّ وجل، ولكنه تعجّل وحمله الغيظ والحسد على أن يقول: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ وهذا لأن حقده وعداوته لآدم مُسْبقة فلم ينتظر الجواب"[2].

وإخوة يوسف- عليه السلام- دفعهم الحسد إلى المكر بأخيهم، ومحاولة قتله، فقد تآمروا عليه سراً، وصرحوا جميعا بأنّ سبب عداوتهم وبغضهم لأخيهم هو الحسد لا غيره، فقد قال تعالى في شأنهم: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضًا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَٰلِحِينَ ﴾[3].

وفي سبب حسدهم قال السمعاني: "كان يوسف وأخوه بنيامين من أُمّ واحدة، وكان يعقوب شديد الحب ليوسف، وكان إخوة يوسف يرون منه من الميل إليه ما لا يرونه لأنفسهم، فقالوا هذه المقالة"[4].

---

[1] المراغي، **تفسير المراغي**، (15/ 69).

[2] الشعراوي **تفسير الشعراوي**، (14/ 8663).

[3] سورة يوسف، آية:8 - 9

[4] السمعاني، **تفسير القرآن العزيز**، (3 / 9).

وزاد البيضاوي قوله:" فلما رأى الرؤيا–قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[1]– ضاعف له أبوه المحبة بحيث لم يصبر عنه، فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له"[2].

وفي تدبيرهم للخلاص منه قال الطبري: "قال إخوة يوسف بعضهم لبعض: اقتلوا يوسف أو اطرحوه في أرض من الأرض، يعنون: مكاناً من الأرض، يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف، فإنّه قد شغله عنّا وصرف وجهه عنا إليه، ثمّ يتوبون من قتلهم يوسف وذنبهم الذي يرتكبونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوماً صالحين"[3].

هاهم يصرحون بأن سبب مكرهم وكيدهم ليوسف –عليه السلام– هو الحسد، وان تدبيرهم للمكر به فقط ليخلوا لهم أبوهم، ويتفرغ لحبهم ولا ينشغل عنهم بيوسف – عليه السلام.

ثم بيّن الله تعالى في نهاية السورة أنَّ علم هذه القصص نعمة من الله عليه؛ وإلا من أين له علم ذلك وهو لم يكن حاضراً وقت إجماعهم وتدبيرهم المكر بيوسف– عليه السلام –؟ يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[4].

هذا القصص القرآني كان تسلية للنبي –عليه السلام– وشدّاً على عضدِه ليصبر أمام ما يلقاه من أعدائه، خاصة اليهود أهل الكيد والمؤامرات، أهل الغل والحسد، وقد تناول القرآن الكريم شيئاً من مكرهم وخداعهم في كثير من سور القرآن الكريم: من تحريف، وعقائد باطلة، وموالاة للكفار ضد المسلمين– ثم عقَّب بذكر الدافع لهم على ذلك المكر، وهو الحسد والغيظ اللذان يلهبان صدورهم، ومن السور التي ذكرت ذلك سورة البقرة، وسورة النساء، قال تعالى:

---

[1] سورة يوسف، آية: 4

[2] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (3 / 275).

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (13 /155).

[4] سورة يوسف، آية: 102

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

أشار صاحب المنار في تفسيره إلى أن هذا "بَيَانٌ لِمَا يُضْمِرُونَهُ وَمَا تُكِنُّهُ صُدُورُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْحَسَدِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي عَرَفُوا أَنَّهَا الْحَقُّ، وَأَنَّ وَرَاءَهَا السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَكِنَّهُمْ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ، فَتَمَنَّوْا أَنْ يُحْرَمُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ وَيَرْجِعُوا كُفَّارًا كَمَا كَانُوا، وَذَلِكَ شَأْنُ الْحَاسِدِ **يَتَمَنَّى أَنْ** يُسْلَبَ مَحْسُودُهُ النِّعْمَةَ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ ضَارَّةً بِهِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ إِذَا تَمَّتْ وَثَبَتَتْ يَكُونُ مِنْ أَثَرِهَا سِيَادَةُ الْمَحْسُودِ عَلَيْهِ وَإِدْخَالُهُ تَحْتَ سُلْطَانِهِ؟ كَمَا كَانَ يَتَوَقَّعُ عُلَمَاءُ يَهُودَ فِي عَصْرِ التَّنْزِيلِ"[2].

ويوافقه الشيخ المراغي الرأي بقوله: "بعد أن نهى عز اسمه المؤمنين في الآيات السالفة، عن الاستماع لنصح اليهود، وعدم قبول آرائهم في شيء من أمور دينهم، ذكر هنا وجه العلة في ذلك، وهى أن كثيرا منهم يودون لو ترجعون كفارا حسدا لكم ولنبيّكم، فهم لا يكتفون بكفرهم بالنبي صلى اللّه عليه وسلم، والكيد له بنقض ما عاهدهم عليه، بل يحسدونكم على نعمة الإسلام ويتمنون أن تحرموا منها"[3]

كما أشار تعالى إلى حسدهم في موضع آخر:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[4].

---

[1] سورة البقرة، آية: 109

[2] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (1 /346).

[3] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (1 / 190).

[4] سورة النساء، آية: 54

قال المراغي: "أي إن هؤلاء يريدون أن يضيق فضل اللّه بعباده، ولا يحبون أن يكون لأمة فضل أكثر ممّا لهم أو مثله، لما استحوذ عليهم من الغرور بنسبهم وتقاليدهم مع سوء حالهم، وهم قد رأوا أن محمدا -صلى اللّه عليه وسلم- بعد أن أُعطَى النبوة جعله اللّه كل يوم أقوى دولة، وأعظم شوكة، وأكثر أعواناً وأنصاراً، من أجل هذا حسدوه حسداً عظيماً"[1].

وعزز ذلك، صاحب التفسير القرآني بقوله: "وهذا إعلان عن ذلك الداء الذي يولّده الشحّ الذي طبع عليه القوم، وهو داء الحسد، فالقوم تتّقد في قلوبهم نار الحسد والكمد، إذا رأوا نعمة من نعم اللّه تصيب عبداً من عباد اللّه! فهم يتحرقون غيظاً وكمداً أن ساق اللّه إلى محمد – صلى الله عليه وسلم- هذا الفضل العظيم، ووضع في يده تلك النعمة السابغة، حين اصطفاه لرسالته، وأنزل عليه كتابه الكريم، فما لهم يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله، وقد وسّع اللّه عليهم وآتاهم من فضله، وأنزل عليهم من نعمه، ما لو استقاموا عليه، وانتفعوا به لسعدوا، وأسعدوا الناس معهم"[2].

8-الانتصار للذات

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى- في سورة يوسف – مكر نساء المدينة بامرأة العزيز، عقب بذكر مكرها وانتقامها رداً لكرامتها، وذباً عن عرضها، والتماساً للعذر مما فعلت، منوّهاً على شدّة مكرها وذكائها، وإصرارها على الفاحشة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾[3].

---

[1] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (5 / 65).

[2] الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي- القاهرة، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (3 / 817).

[3] سورة يوسف، الآيات: 31 – 32

"أعدت امرأة العزيز وليمة، ودعت إليها هؤلاء النسوة اللاتي تحدّثن عنها بهذا الحـديث الذي عرّضن فيه بها، وجرّحنها بقوارص الكلم، وطعنّها بألسنة الاتهام! وكان من تدبيرها أنهـا هيأت لكل واحدة منهن متّكأ[1]، لتسلم نفسها إليه، مسترخية، وتمسك في يديها بسكين حادّ مرهف، تعالج به بعض الفاكهة التي بين يديها"[2].

وبعد أن امتلأن بما قدّم لهن من شهيّ الطعام، على مائدة حفلت بكل ما لذّ وطاب منـه أخذن في تجاذب الحديث وما كاد يبدأ الفتور عليهن، حتى تضرب المرأة ضـربتها، وتخـرج عليهن يوسف- عليه السلام- فما أن رأين جماله وإشراقه، إضافة إلى جلاله ووقاره وخجلـه، حتى صرخن ما هذا بشراً، وآخذن يقطعن أيديهن من الذهول من غير أن يشعرن بذلك[3].

"وتقطيع أيديهن كان من الذهول، أي أجرين السكاكين على أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الفواكه"[4].

"وقطعن أي: جرحن جراحات كثيرة أيديهن، وعاد لومهن عذراً، والتَّضعيف يدل علـى التكثير، فكأن السكّين كانت تقع على يد إحداهن فتجرحها، فترفعها عن يدها بطبعها، ثم يغلبهـا الدهش فتقع على موضع آخر وهكذا"[5].

"ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأنهن لقين من طلعة يوسـف الدهشـة والإعجاب والذهول. فقالت قولة المـرأة المنتصـرة- ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا

[1] المتكأ المكان الذي يتكأ عليه والمخدة المتكأ عليها، وقوله:" واعتدت لهن متكأ" أي: أترجا، وقيل طعاما متناولا من قولك اتكأ على كذا فأكله، انظر: الأصفهاني، **المفردات**، (ص 74).

[2] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (6 / 1227).

[3] انظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (6 / 1267).

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (12 / 263).

[5] البقاعي، **نظم الدرر**، (4 / 35).

مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾- التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها؛ والتي تفخر علــيهن بأن هذا في متناول يدها؛ وإن كان قد استعصى قياده مرة فهي تملك هذا القياد مرة أخرى"[1].

ليس عجيباً آن تكون المرأة بهذا الذكاء، وبهذه القدرات العقلية المدهشة، ولكن المؤسف أن يكون هذا الذكاء خالياً من الحكمة[2]، "فالذكاء حسن التكيُّف والتلاؤم مع البيئة ومع الأحــوال والأحداث الطارئة، و التكيُّف والتلاؤم مع البيئة ومع الأحوال والأحداث الطارئة قد يكون ذكاءً حكيماً، وقد يكون ذكاءً غير حكيم، فالمنافق قد يرى نفسه يتكيَّف تكيُّفاً ذكياً، فيتلاءم مع البيئــة وينافق لها، ولكن من ينافق في الدّين الحق غير حكيم؛ لأنّه يقذف بنفسه إلى الدرك الأسفل مــن النار، والذي يجد نفسه في بيئة فاسدة منحرفة عن سواء السبيل فيتكيَّف معها و يجاريهــا فــي أعمالها، قد يرى أنّه يتكيَّف تكيفاً ذكياً، فيتلاءم مع البيئة ويسايرها، ولكنه في ذكائه هــذا غيــر حكيم"[3].

هكذا كان حال امرأة العزيز، فقد تكيَّفت مع بيئتها الفاسدة، وظنَّت أنها بذكائها قد نجحت وتغلبت على صويحباتها، وهي في الحقيقة متردية إلى مهاوي الخزي والعار؛ لبعدها في ذلــك الوقت عن مقتضى العقل السليم والدِّين القويم.

9- الغيبة والطعن في الأعراض

"الغيبة: من الاغتياب، واغتاب الرجل صاحبه اغتياباً: إذا وقع فيه، وهو أن يتكلَّم خلف إنسان مستور بسوء، أو بما يغمّه لو سمعه، وإنْ كان فيه، فإنْ كان صدقاً، فهو غيبة، وإنْ كــان كذباً، فهو البهت والبهتان"[4]، كذلك جاء عن النبي- عليه السلام –في الحديث الــذي رواه أبــو هريرة –رضي الله عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: "أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ؟ قــالوا: الله

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 1985).

[2] الحكمة: هي ضبط السلوك وتوجيهه وفق مقتضى العقل السليم والدين القويم، انظر: الميداني، الأخلاق الاسلامية، (1 / 19).

[3] الميداني، **الأخلاق الاسلامية**، (1 / 19) بتصرف.

[4] بهتان: كذب يبهت سامعه لفظاعته، انظر، الأصفهاني، **المفردات**، (ص 63).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ قال: إن كـــان فيه ما تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لم يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ"[1] ولا يكون ذلك إلا من ورائه"[2].

وفي أن الغيبة سببٌ للمكر، وصفة من صفات أهله، ذكر لنا القرآن الكريم قصة مكـــرِ نساء مصر بامرأة العزيـــز، قـــال تعـــالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

"فبعد أن ذكر سبحانه تحقيق زوج امرأة العزيز في الحادث وحكم أحد أقاربها بما رأى، وقد استبان منه براءة يوسف، ذكر هنا أن الأمر قد استفاض في بيوت نساء الوزراء والكبـــراء فأحببن أن يمكرن بها، لتريهن هذا الشاب الذي فتنها جماله، وأذلها عفافه وكماله، حتى راودتـــه عن نفسه وهو فتاها، ودعته إلى نفسها فردّها وأباها خشية للّه، وحفظا لأمانة السيد المحسن إليه أن يخونه في أعز شيء لديه"[4].

"وسمي الاغتياب مكراً؛ لأنه في خفية وحال غيبة، كما يخفي الماكر مكـــره، فكمـــا أن الغيبة تذكر على سبيل الخفية، فكذلك المكر"[5].

"ولَمْ يُبَيِّنْ لَنَا التَّنْزِيلُ عَدَدَهُنَّ ولَا أَسْمَاءَهُنَّ ولَا صِفَاتِهِنَّ؛ لِأَنَّ الْفَائِدَةَ فِي الْعِبْرَةِ مَحْصُورَةٌ فِي أَنَّ عَمَلَهُنَّ عَمَلُ جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ يُعْهَدُ فِي الْعُرْفِ ائْتِمَارُهُنَّ وَاتِّفَاقُهُنَّ عَلَى الِاشْتِرَاكِ فِي مِثْلِ هَذَا المكر المنكر"[6].

وقد أجاد ابنُ القيم في بيان المكر الذي اشتمل عليه قولهن هذا فقـــال: "وهـــذا الكـــلام متضمن لوجوه من المكر هي:

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، حديث: 2589، (4 / 2001).

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، (1 /656).

[3] سورة يوسف، آية: 30

[4] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (12 / 137).

[5] الزحيلي، **التفسير المنير**، (12 / 253).

[6] رضا،، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (12 / 240).

* قولهن امرأة العزيز تراود فتاها، ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادى عليها بقبيح فعلها، بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة منها أقبح من صدورها ممن لا زوج له.

* أن زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

* أن الذي تراوده مملوك لا حر، وذلك أبلغ في القبح.

* أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالاً واستقبالاً، وأن هذا شأنها.

* أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها، أما العشق فقولهن: قد شغفها حبا؛ أي وصل حبه إلى شغاف قلبها، وأما الطلب المفرط فقولهن: تراود فتاها؛ والمراودة الطلب مرة بعد مرة، فنسبوها إلى شدة العشق وشدة الحرص على الفاحشة"[1].

10- طلب عزة متوهَّمة

"العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، وهي من قولهم، أرض عزاز أي صلبة، وتعزز اللحم اشتدَّ وعزّ، كأنه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه، والعزيز الذي يَقهَر ولا يُقهَر"[2].

ومطلبُ العزة والسعي ورائها من صفات المنافقين- وإن كانت لا تقتصر عليهم - ومن أشدِّها ضرراً على المؤمنين لما فيها من موالاة للكفار واطراح للمؤمنين، فقد كان هؤلاء المنافقون يوالون اليهود والمشركين، ويتوددون إليهم ليكونوا لهم عوناً وسنداً على المسلمين، في وقت كانوا يظهرون فيه موالاتهم وانتمائهم للإسلام، فكان ذلك النفاق مكراً منهم ليأمنوا جانب المسلمين، ريثما يصبحون قوة فيوقعون بهم، وقد غفلوا عن أنَّ العزة لا تكون إلا لله، ولا يؤتيها

---

[1] ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (2 / 115) بتصرف.

[2] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 333).

-سبحانه- إلا من اتبع الدين الحق، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في عدة نصوص كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[1].

فان كانوا يمكرون لأجل أن يكونوا أعزاء فإنَّ مكرهم سوف يبوء بالفساد والبوار، وإن حقَّق القوة الطاغية لبعض الوقت فإنَّ مصيره إلى الهلاك، فلا يصعد إلى الله إلا الكلم الطيب، ولا يرفع إلا العمل الصالح، وبهما تكون العزة[2].

"وقد نص القرآن الكريم على فساد ذلك، ليدَعَه مَنْ عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة أو جهالة، ثمَّ وقف تعالى على جهة التوبيخ على مقصدهم في ذلك، أهو طلب العزة والاستكثار بهم أي: ليس الأمر كذلك بل العزة كلها لله يؤتيها من يشاء، وقد وعد بها المؤمنين، وجعل العاقبة للمتقين"[3].

وهناك شواهد أخرى على أن هؤلاء الكافرين والمنافقين كانوا يبحثون عن العزة، ويطلبونها من غير مكانها الصحيح، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾[5].

وقد أشار الشنقيطي إلى ذلك عند تفسير الآية بقوله: "بيَّن جلَّ وعلا في هذه الآيات الكريمة، أنَّ مَن كان يريد العزة، فإنّها جميعها للَّه وحده، فليطلبها منه، وليتسبب لنيلها بطاعته

---

[1] سورة فاطر، آية: 10

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (5/ 2931).

[3] انظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (2 / 125).

[4] سورة النساء، آية: 139

[5] سورة مريم، آية: 81

جلَّ وعلا، فإنَّ من أطاعه أعطاه العزّة في الدنيا والآخرة، أمّا الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزّة بعبادتها، والذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزّة، فـإنّهم فـي ضلال وعمى عن الحق؛ لأنهم يطلبون العزّة من محل الذلّ"[1].

ووافقه الطبري بقوله: "اتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله؛ لتكون هذه الآلهة لهم عزا يمنعونهم من عذاب الله"[2].

لم يقنع هؤلاء بما آتاهم الله من فضله، وامتدَّت عيونهم إلى ما منَّ الله به على رسـوله حسداً وغيظاً أن لم يؤتوا مثلما أوتي رسل الله، من الوحي والنبوة والرسالة، وظنّوا أنهم بـذلك المكر قادرون على استعادة مجدهم المفقود، فخسروا الدنيا والآخرة ولـو رضـوا بـالله ربـاً، وصدقوا رسله لأعزهم الله في الدنيا والآخرة، وصدق الإمام الشافعي[3] حين قال في القناعة:

أَمَتُ مَطامِعي فَأَرَحْتُ نَفْسي فَإِنَّ النَفسَ مَا طَمِعَت تَهونُ

وَأَحيَيْتُ القُنوعَ وَكانَ مَيْتاً فَفِي إِحيائِهِ عِرضٌ مَصونُ

إِذا طَمَعٌ يَحلُّ بِقَلْبِ عَبْدٍ عَلَتْهُ مَهانَةٌ وَعَلاهُ هُونُ [4]

[1] الشنقيطي، **أضواء البيان**، (6 / 280).

[2] الطبري، **جامع البيان**، (16 / 123).

[3] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، ولد بغزة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، كان قليل المال، طلب العلم منذ حداثة سنه، كان يأتي البوادي لتعلم الشعر واللغة العربية، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين، وله مؤلفات كثيرة في الفقه وأصوله، ككتاب الأم، وله ديوان شعر،توفي سنة أربع ومـائتين، انظـر: ابـن الجوزي، **صفوة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعجي، دار المعرفة – بيروت، (ط3/ 1399)، (2/ 248-258).

[4] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، (ت 204 هـ)، **ديوان الشافعي**، جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، دارالعلـم للطباعة والنشر– جدة، (ط3/ 1392)، (ص 86).

الفصل الرابع

عاقبة المكر

المبحث الأول: عاقبة المكر الحسن

المبحث الثاني: عاقبة المكر السيئ

المبحث الأول

عاقبة المكر الحسن

يطلق لفظ العاقبة على خاتمة الشيء ونهايته، قال صاحب اللسان: "عقب كل شـــيء، و عقباه، وعقبانه، و عاقبته: خاتمته. و العقبى: المرجع، و العقبى جزاء الأمر" [1].

وقد تكون العاقبة أو العقبى حسنة أو سيئة[2].

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلۡجَنَّةِ مَّثَلُ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[3].

قال الرازي: "يعني عاقبة أهل التقوى هي الجنة، وعاقبة الكافرين النار" [4].

وذكر الراغب في مفرداته أن: "العقب والعقبى يختصان بالثواب، نحـــو قولـــه تعـــالى: ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[6]، والعاقبـــة إطلاقها يختص بالثواب نحو: ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[7]، وبالإضافة قد تســـتعمل فـــي العقوبة نحو قوله تعـــالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾[8]، وقولـــه تعـــالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَا﴾[9]" [10].

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، (1 / 620).

[2] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (1/ 617).

[3] سورة الرعد، آية: 35

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (19 / 47).

[5] سورة الكهف، آية: 44

[6] سورة الرعد، آية: 22

[7] سورة هود، آية: 49

[8] سورة الروم، آية: 10

[9] سورة الحشر، آية: 17

[10] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 340).

نستنتج مما سبق أن العاقبة والعقوبة والعقب تأتي بمعنى واحد؛ وهو نهاية الأمر ومصيره، وقد يكون هذا المصير حسناً أو سيئاً، وبناءً على ذلك، قامت الباحثة بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين رئيسين: يختص الأوّل منهما بعاقبة المكر الحسن، ويختص الثاني بعاقبة المكر السيئ.

ذكرت الباحثةُ فيما سبق أنَّ الله تعالى خير الماكرين، وأنَّ مَكْرَهُ خيرٌ محض، لا يضاهيه مكر، ولا يقدر عليه ماكر،- ولا يقتصر المكر الحسن على المكر الإلهي، وإنّما قد يصدر من بعض عباده المؤمنين لإظهار حق أو إزهاق باطل كما حصل من يوسف -عليه السلام- لاسترداد أخيه، وكما حصل من إبراهيم- عليه السلام- لتبليغ دعوة الله، ولكنَّ المكر الإلهي كان له الحظّ الأكبر في هذه الدراسة-، فقد كان مِن منِّ الله وكرمه على عباده المؤمنين، أنْ كان لأعدائهم بالمرصاد، يدبّر لهم من حيث لا يحتسبون، ويمكر لهم من حيث لا يشعرون، ولن يستطيع العبد مهما بلغ من الطاعة أن يؤدي حقَّ الله من الشكر والثناء على حسن تدبيره. ولهذا المكر الإلهي والتدبير الرباني ثمار نقطفها، وحصادٌ نجنيه، وعقبى حسنة لعبادِه المؤمنين، وشفاءٌ لصدور أوليائه بعد طول صبر وعناء،

فلولا مكره الحسن لتقطعت بهم السبل، وفتك بهم ذوو الجاه والسلطان من رؤساء قومهم، وأكابر مجرميهم، ولنكست راية التوحيد، وعلت رايات الباطل، وبتتبع الباحثة لثمار المكر الحسن وجدت أن هذه الثمار قد ذكرت في أسباب المكر الحسن في الفصل السابق، وفي إعادة ذكرها تكرار لا ضرورة له، فبعد أن كانت أسباباً مسوّغة لحلول المكر بمستحقيه، أصبحت ثماراً دانية أيضاً لمستحقيها، فلما استحق أهل المكر السيئ الجزاء والعقوبة على مكرهم، جنى المؤمنون ثمار عاقبتهم بالخلاص من شرّهم، وتطهير الأرضِ منهم، فبهلاك فرعون وثمود ومدين، وقوم لوط، وصناديد قريش، استبشر المؤمنون، وأَمِنوا على دينهم، وانتصر الرسل وأتباعهم، وأُذهب غيظ قلوبهم، ورفع الظلم وأُعيدت الحقوقُ إلى أصحابها، ووصلت دعوة التوحيد إلى أرجاء المعمورة، فكلما وقف في وجهها ظالم كان مصيره الهلاك مهما طالت به السنون، فهذه سنة الله الجارية في خلقه، فقد أخذ سبحانه وتعالى على نفسه عهداً بالمكر

بأصحاب المكر السيئ، وتدميرهم، ووَعد عباده المتقين بالنجاة من شرورهم، ومصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُ وَيَمْكُرُونَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[1].

وقولــه تعــالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

[1] سورة آل عمران، آية: 54

[2] سورة يونس، آية: 103

المبحث الثاني

عاقبة المكر السيئ

ذكر لنا القران الكريم أنواعاً كثيرة من العقوبات التي عاقب الله تعالى بها أهـل المكـر السيئ،

وهذه العقوبات منها ما كان عاجلاً في الحياة الدنيا، ومنها ما كان آجلاً متوَّعداً بها فـي الآخرة، وقد قامت الباحثة بتتبع هذه العقوبات وتقسيمها إلى مطلبين: المطلب الأول: العقوبـات الدنيوية والمطلب الثاني: العقوبات الأخروية

المطلب الأول: عاقبة المكر السيئ في الدنيا

أولاً: اللعن والطرد من رحمة الله تعالى

عاقب الله تعالى أهل المكر بإحلال اللعنة عليهم والطّرد من رحمته، وأوّل من اسـتحق لعنةَ الله تعالى إبليس؛ لكبره وحسده لآدم- عليه السلام-، وإيقاعه إياه في حبائـل مكـره، مـع إصراره على معصيته وعدم إقلاعه عن الندم والتوبـة، قـال تعـالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[1].

ومن هؤلاء الملعونين أيضاً قوم نوح عليه السلام-، فبعد أن أصرّوا علـى المعصـية، وعارضوا الرسول – عليه السلام- وصدّوا الناس عن دين الله، بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ هذا من شديد مكرهم؛ لذلك أحلَّ عليهم لعنته وطردهم من رحمته، قال تعـالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

---

[1] سورة النساء، آية: 117 – 118

[2] سورة هود، آية: 44

والبعد هنا يعني اللعن والطرد من رحمة الله، كما ذكر علماء اللغة والتفسير:

قال الفيروزأبادي: "وبعداً له: أبعده الله. والبعد والبعاد: اللعن. وأبعده الله: نحَّاه عن الخير، ولعنه"[1].

وقال الرازي في تفسيره: "فيه وجهان: الأوّل: أنه من كلام الله تعالى، قال لهم ذلك على سبيل اللعن والطرد.

والثاني: أن يكون ذلك من كلام نوح -عليه السلام- وأصحابه؛ لأن الغالب ممّن يسلم من الأمر الهائل بسبب اجتماع قوم من الظلمة، فإذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام؛ ولأنه جار مجرى الدعاء عليهم، فجعله من كلام البشر أليق"[2].

وقال ابن عطية: "ويحتمل أن يكون من قول نوح والمؤمنين. والأول أظهر وأبلغ" [3].

وأيا كان الأمر، فالكلمة تحمل معنى اللعنة و الطرد من رحمة الله.

وذكر ابن الجوزي قولاً لابن عباس قال: "قال ابن عباس بعدا من رحمة الله للقوم الكافرين" [4]

ووافقه السمرقندي حيث قال: "يعني سحقاً ونكساً[5] للقوم الكافرين، وهو البعد من رحمة الله"[6].

وقال ابن كثير في معنى الآية: "أي نودي عليهم بلسان القدرة: بعداً لهم من الرحمة والمغفرة"[7].

---

[1] الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، (ص 342).

[2] الرازي، **التفسير الكبير**، (17 / 188).

[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (3/ 176).

[4] ابن الجوزي، **زاد المسير**، (4 / 112).

[5] النكس: قلب الشيء على رأسه، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (6/ 241).

[6] السمرقندي، **بحر العلوم**، (2 / 153).

[7] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، (ت 774 هـ)، **قصص الأنبياء**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار إحياء الكتب العربية، فيصل البابي، (ط 1/ 1388 هـ)، (ص 68).

ومن الأقوام الملعونة أيضاً قوم شعيب، وقوم صالح –عليهما السلام– فقد ذكرت الباحثة في الفصول السابقة أنَّ أهل مدين اشتهروا بالمكر والاحتيال على الناس في الكيل والوزن، كما حاول قوم صالح – عليه السلام المكر به وقتله، ولكنَّ الله نجَّاه منهم وأحلَّ عليهم لعنته بالإضافة إلى ما حلَّ بهم من عذاب ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[1].

"وبعدت هنا بمعنى اللعنة" [2].

وممَّن استحق لعنةَ الله أيضاً اليهود، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3].

وعن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: "لَعَنَ الله الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فَجَمَّلُوهَا فَبَاعُوهَا"[4]

ثانياً: الحرمان من الهداية

لقد يسَّر الله سبحانه وتعالى الهداية، لمن وجد فيه الاستعداد لها، فمن شاء الهداية وسعى لها سعيها، أعانه الله تعالى عليها وجعله من المهتدين، ومَن اختار الضلال، وسعى في طريقه أوكله الله تعالى إلى ضلاله، وحرمه هدايته، وتوفيقه إلى الصراط المستقيم، لذلك نرى أهلَ المكر والضلال يتخبطون حيارى لا يهتدون الى خير، وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5].

---

[1] سورة هود، آية: 95

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، (2 / 521).

[3] سورة المائدة، آية: 60

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث: 3273، (3 / 1275).

[5] سورة النحل، آية: 104

إن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته، ولا يصدقون أنّها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون، يسمونها تارة افتراء، وأخرى أساطير معلمة من البشر، لا يهديهم الله إلى الحقّ أو إلى سبيل النجاة.

ولا يوفقهم الله لإصابة الحق، ولا يهديهم لسبيل الرشد في الـدنيا؛ لمّـا علـم أنهـم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم، ولهم في الآخرة عند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عـذاب مـؤلم موجع[1].

وبالإضافة إلى حرمانهم من الهداية والتوفيق، إلى سبيل الرشاد؛ فإنهم يحرمون أيضـاً من الهداية إلى الطريق الصحيح في تدبيرهم، وكيدهم، لذلك سرعان ما يفتضح أمرُهم، ويكشف مكرُهم وكيدُهم أمام الناس، قـال تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾[2]

جاء هذا الاعتراف ببطلان الكيد الفاسد على لسان زوجة العزيز التي أقـرَّت بلسـانها صحة هذه القاعدة، بعد أن رأتها واقعاً ملموساً، بعد تدبيرها الطويل.

ثالثاً: الإنذار والتحذير

وهذه العقوبات للإنذار والتحذير لعلَّ أصحاب السوء أن يرجعوا عن سوئهم، ويتوبـوا عن مكرهم، ومن أمثلةِ هذه العقوبات ما وقع بآل فرعون، وتفصيله بالنّصوص القرآنية كقولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[3].

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (14/ 180)، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (5/ 142)

[2] سورة يوسف، آية: 52

[3] سورة الأعراف، آية: 130

ورغم الإنذار والتحذير إلا أنهم لم ينتهوا بل ازدادوا عصياناً وكفراً، فشدّد عليهم العذاب كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[1]

فلم يرتدعوا أيضاً، وأقاموا على كفرهم وكبرهم، لذلك استحقوا الاستئصال، وقطع دابرهم إلى أبد الآبدين.

رابعاً: الاستئصال

وهذه أشد أنواع العقوبة وهي التدمير الكامل ؛ إذ فات وقت التوبة ولم يتوبوا، وقطعوا كل سبل النجاة، وبعد البحث والدراسة لعقوبات ما سلف من الأمم حاولت الباحثة تتبع هذه العقوبات فكانت صورها على النحو الآتي:

1- الغَرَق

إنَّ الله –سبحانه– يُملي للظالمين، ويمنحهم الفرصة تلو الفرصة للتوبة والإقلاع عمّا هم عليه من الكفر والضّلال، ولكنهم يزدادون في كلّ مرَّة جحوداً وإنكاراً وبُعداً عن الحقّ، ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد، بل أخذوا يضلّون النّاس ويصرفونهم عن دين الله، ويدبرون للرسل وأتباعهم شتى أنواع المكر والمؤامرات؛ للفتك بهم ومنعهم من تبليغ دعوتهم، حتى ارتقوا مرتقاً صعباً في الظلم والضلال، فكانت العاقبة أليمة شديدة، ومن هؤلاء المعذبين بالغرق من أهل المكر والضلال، قوم نوح –عليه السلام– فقد ذكر القرآن الكريم مكرهم وعنادهم لنبيِّهم، ثم ذكر عاقبتهم، حيث قال تعالى لنبيه نوح – عليه السلام–: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[2].

---

[1] سورة الأعراف، آية: 133

[2] سورة هود، آية: 37

وصورة ذلك وضحتها الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وذلك أنَّ نوحاً عليه السلام لمّا يـئس مـن صـلاحهم وفلاحهم، ورأى أنّهم لا خير فيهم، وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته، وتكذيبه بكل طريق، من فعال ومقال، دعا عليهم دعوة غضب، فلبّى الله دعوتَه، وأجاب طلبتـه، قـال الله تعـالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2] "[3].

"فاستجاب الله دعوته، وأغرق قومه، حتى لم يسلم شيء من الحيوانات والدوابّ، إلاّ من ركب السفينة، وكان ذلك فضيلة أوتيها، إذ أجيبت دعوتُه، وشفى صدره بإهلاك قومه"[4].

وممّن عوقب بالغرق أيضاً فرعون، فبعدما ظلم وتجبّر، وطغى واستكبر، أخـذ يـدبّر ويفكّر بالطرق التي يمكر بها لموسى -عليه السلام- ومن آمن معه، وتغافل عن وجود إله قادر على إبطال كيده ومكره، فقد نجّى الله تعالى بفضله من آمن، كما جاء فـي الـنّص القرآنـي: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾[5].

وعاقب فرعونَ وجنودَه بـالغرق، قـال تعـالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[6].

[1] سورة القمر، الآيات: 11 - 12
[2] سورة الصافات، آية 75
[3] ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، (ط 1/ 1408 هـ)، (1/ 123).
[4] ابن كثير، **البداية والنهاية**، (6 / 295).
[5] سورة غافر، آية: 45
[6] سورة يونس، آية: 90

فبعدَ أن بلغ فسادُ فرعون وظلمه عنانَ السماء، وظنَّ بجهله أنه قادر على بلوغ أسمى المقامات، والاطّلاع على ربِّ السماوات قال متجبراً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾[1].

استجاب الله تعالى دعوة موسى –عليه السلام– فشدّد على قلوبهم، وطَمسَ وجودَهم إلى يوم القيامة، وأبقى جسد فرعون عبرة وآيةً لمن يعتبر،قال السعدي في تفسيره: "وذلك أن الله أوحى إلى موسى، لمّا وصل البحر، أن يضربه بعصاه، فضربه، فانفلق اثني عشر طريقاً، وسلكه بنو إسرائيل. وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين. فلمّا استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون وجنوده داخلين فيه، أمر الله البحر، فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون"[2].

2-الصيحة

ومعنى الصيحة كما ذكر الراغب: "رفع الصوت"[3].

فالصّيحة هي الصوت المرتفع، الذي قضى على قوم صالح وقوم شعيب، وأهلكهم لشدّته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾[4].

ولَم يرد دليل على أنَّ الصائح فيهم كان جبريل – عليه السلام– كما ذكر بعض المفسرين[5].

---

[1] سورة غافر، آية: 36

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 272).

[3] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 289).

[4] سورة القمر، آية: 31

[5] انظر: الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (4 / 82)، والشوكاني، **فتح القدير**، (5 / 126).

وسُمِّيت أيضاً الرجفة كما قال تعـالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[1]

قال الطبري: "وإنّما عنى بالرّجفة ها هنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك؛ لأنَّ ثمود هلكت بالصيحة، فيما ذكر أهلُ العلم"[2].

وأما الشنقيطي فله قول آخر جاء فيه: "الظّاهر أن الملَك لما صاح بهـم، رجفـت بهـم الأرضُ من شدة الصيحة، وفارقت أرواحُهم أبدانهم، والله جل وعلا أعلم"[3].

وترجُح الباحثة ما قاله الآلوسي بأنه: "يحتمل انه أخذتهم الزلزلة من تحتهم، والصـيحةُ من فوقِهم"[4]،ففي قوله جمعاً بين الآيات فهي تذكر الصيحة تارة، وتذكر الرجفة تارة اخرى.

ووصفت هـذه الصـيحة بالطاغيـة كمـا قـال تعـالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾[5].

وهي أيضاً الصاعقة، ذكرت في قولـه تعـالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[6].

فلم يكتف قوم صالح – عليه السلام- بفسادهم فـي الأرض، وبعـدِهم المطلـق عـن الإصلاح، بل امتدت أيديهم إلى آية من آيات الله- الناقة – فعقروها- بالرغم من أنهم طلبوهـا بألسنتهم، ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل أخذوا في التبييت لصالح- عليه السلام- للقضـاء عليـه، وإنكار فعلتهم أمام أولياء دمه، ولكنَّ القدرة الإلهية كانت لهم بالمرصاد، ومكر الله أسـرع مـن

---

[1] سورة الأعراف، آية: 78

[2] الطبري، **جامع البيان**، (8 / 233).

[3] الشنقيطي، **أضواء البيان**، (2/ 35).

[4] الآلوسي، **روح المعاني**، (8 / 165).

[5] سورة الحاقة، آية: 5

[6] سورة فصلت، آية: 17

مكرهم، فقد نفذ أمر الله تعالى ومكره فيهم، قبل أن يتمكنوا من نبيِّه وينفذوا مكرهم، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

وكيفية التدمير مذكورة في عدةِ سور من القرآن الكريمِ، وجاء التعبير عنه بعدة ألفاظ كما ذكرنا من قبل كالصيحة والرّجفة، والصاعقة، والطاغية، والنتيجة أنهم بادوا عن آخرهم، ولم تبق منهم باقية، وقد ربط صاحب المنار ما حدث لقوم صالح بما توصل إليه العلم الحديث، وفسَّر الآية تفسيراً علمياً مقرباً الحدث إلى الأذهان، فقال: "لِنُزُولِ الصَّاعِقَةِ صَيْحَةٌ شَدِيدَةُ الْقُوَّةِ وَالطُّغْيَانِ، تَرْجُفُ مِنْ وَقْعِهَا الْأَفْئِدَةُ وَتَضْطَرِبُ أَعْصَابُ الْأَبْدَانِ، وَرُبَّمَا اضْطَرَبَتِ الْأَرْضُ وَتَصَدَّعَ مَا فِيهَا مِنْ بُنْيَانٍ وَسَبَبُهَا اشْتِعَالٌ يُحْدِثُهُ اللهُ تَعَالَى بِاتِّصَالِ كَهْرَبَائِيَّةِ الْأَرْضِ بِكَهْرَبَائِيَّةِ الْجَوِّ الَّتِي يَحْمِلُهَا السَّحَابُ، فَيَكُونُ لَهُ صَوْتٌ كَالصَّوْتِ الَّذِي يُحْدِثُهُ بِاشْتِعَالِ قَذَائِفِ الْمَدَافِعِ وَتَأْثِيرِهِ فِي الْهَوَاءِ، وَهَذَا الصَّوْتُ هُوَ الْمُسَمَّى بِالرَّعْدِ...، وَأَمَّا الصَّاعِقَةُ فَهِيَ الشَّرَارَةُ الْكَهْرَبَائِيَّةُ الَّتِي تَتَّصِلُ بِالْأَرْضِ، فَتُحْدِثُ فِيهَا تَأْثِيرَاتٍ عَظِيمَةً بِقَدْرِهَا، كَصَعْقِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَمَوْتِهِمْ، وَهَدْمِ الْمَبَانِي أَوْ تَصْدِيعِهَا، وَإِحْرَاقِ الشَّجَرِ وَالْمَتَاعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. هَذَا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ عِلْمُ الْبَشَرِ فِي هَذَا الْعَصْرِ"[2].

وبالرغم من أن الباحثة تقدر لذوي العلم جهدهم في البحث والتقصي، ولكنها تتوقف عن التفصيل في الغيبيات على ما توقف عنده النص تمشياً مع منهجية البحث.

وممَّن عُذِّب بالصيحة من أهل المكر السيئ أيضاً قوم شعيب- عليه السلام-، حيث قال تعالى فيهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾[3].

---

[1] سورة النمل، آية: 50

[2] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (8 / 450).

[3] سورة هود، آية: 94

وسُمّيت أيضا بالرجفة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[1].

وممّن عذب بالصيحة كذلك قوم لوط – عليه السلام- وقد ذكرت الباحثة عند الحديث عن أنواع المكر السيّء "أنَّ رأس الخيرات هو الإرشاد إلى التوحيد، ونقيضه الدّعاء إلى الشرك، وهو أعظم الكبائر، وأفظع أنواع المكر"[2].

كما أشارت إلى أنّ الاستهزاء بالرسل وتكذيبهم، واضطرارهم إلى ترك بلادهم من أنواع المكر أيضاً، وبما أنَّ هذه الصفات كانت من صفات قوم لوط، قامت الباحثة بوضعهم في مصافّ أهل المكر السيء، قال تعالى في كفرهم وتكذيبهم رسلهم: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3].

وقال تعالى في عقابهم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾[4].

"وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها"[5].

3- الخسف

حذر الله سبحانه وتعالى عباده على لسان رسله –عليهم السلام- من عصيانه وكفره، والأمن من مكره، وأنذرهم وخوَّفهم من عاقبة كفرِهم ومكرهم، فقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ

[1] سور الأعراف، الآيات: 90- 91
[2] القمي النيسابوري، **غرائب القرآن**، (6 / 365).
[3] سورة الشعراء، آية: 160
[4] سورة الحجر، آية: 73
[5] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (2/ 556).

﴿ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[1].

والخسف يعني: "الخسف سؤوخ الأرض بما عليها من الأشياء، انخسفت به الأرض، وخسفها الله به وعين خاسفة، فقئت، وغابت حدقتها"[2].

وفي عاقبة قارون الذي بغى وتجبّر، وأفسد في الارض، منكراً فضلَ الله عليه، كفراً منه بربِّه، ومكراً واحتيالاً على خلقه، وغروراً بماله وعلمه بفنون التجارة، وجهلاً منه بقدرة الله عليه، وعلى من سار على سنّته، قال تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾[3].

4- المسخ

"المسخ تحويل خلق عن صورته، وكذلك المشوه الخلق"[4].

هذه العقوبة أوقعها الله تعالى على بني يهود؛ جزاء لاستحلالهم ما حرم الله عليهم، فقد ذكرت الباحثة في الفصل السابق تحت عنوان أسباب المكر السيئ، أنَّ اليهود خالفوا أوامر الله تعالى، وعصوا رسوله، واحتالوا للاصطياد يوم السبت بعد أن حرم عليهم الصيد فيه فكان عقابهم مسخ صورهم وتحويلهم من بشر إلى قردة وخنازير جزاء على فعلهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[5].

---

[1] سورة النحل، ايجة:45

[2] الفراهيدي، **العين**، (4/ 201).

[3] سورة القصص، آية: 81

[4] الفراهيدي، **العين**، (206/4).

[5] سورة البقرة، آية: 65

وقـــال تعـــالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[1].

وهذا المسخ والتحويل من الآدمية المكرمة إلى الحيوانية مســخ حقيقــي شــهدت لــه النصوص القرآنية، كما ذكره آهل التفسير، حيث قال الطبري في تفسير الآيــة:" وهــذه الآيــة وآيات بعدها تتلوها مما عدد جل ثناؤه فيها على بني إسرائيل الــذين كــانوا بــين خــلال دور الأنصار زمان النبي الذين ابتدأ بذكرهم في أول هذه السورة من نكث أسلافهم عهد الله وميثاقــه ما كانوا يبرمون من العقود وحذر المخاطبين بها أن يحل بهم بإصرارهم على كفرهم ومقــامهم على جحود نبوة محمد وتركهم أتباعه والتصديق بما جاءهم به من عند ربه مثــل الــذي حــل بأوائلهم من المسخ والرجف والصعق وما لا قبل لهم به من غضب الله وسخطه" [2].

كما ذكر أصحاب السير نحواً من ذلك، قال ابن كثير ووافقه آخرون: عنــدما حاصــر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بني قريظة أشار كعب بن أسد على بني يهود أن يغيروا على المسلمين ليلة السبت لان المسلمون قد يكونون امنوا غدرهم لعلمهم أن اليهــود لا تقاتــل يــوم السبت، فقالوا له: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا إلا من قــد علمــت فأصابه من المسخ ما لم يخف عليك[3]

ولكن المختلف فيه هل اقتصر المسخ على من اعتدو في السبت وانتهى الأمر بانتهائهم، أم هل امتد هذا المسخ إلى نسلهم وان هذه القردة الموجودة الآن من نسلهم؟ ترى الباحثة التوقف في ما لم يصرح النص بذكره حسب منهجية البحث.

---

[1] سورة المائدة، آية: 60

[2] الطبري، **جامع البيان**، (1 / 329).

[3] انظر: الطبري، **تاريخ الطبري**، (2 / 99)، ابن كثير، **البداية والنهاية**، (4 / 120)، العاصمي، **عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي، (1111هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجــود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت**، (بدون ذكر طبعة / **1419هـ**)، (1/ 55).

5- قلب القرى على أهلها وإمطارها بالحجارة

ومن القرى التي عوقبت بالقلب أي: جعل عاليها سافلها، قرى قوم لوط – عليه السلام- فقد قضى الله تعالى هلاكهم بهذه الطريقة جزاء لكفرهم وسوء فعلهم، وغدرهم بنبيهم، وطـــرده من أرضه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[1].

ولم يبين النّص القرآني، ولا الحديث النبوي كيفية القلب، ولا مَن وُكل به من الملائكة، كما ذكر بعض المفسرين أنَّ جبريل -عليه السلام- رفعها بجناحه ثم قلبها، لذلك لا داعي لذكر هذه الروايات؛ لأنها مخالفة لمنهجية البحث في الاقتصار على ما ورد فيه نص قرآني.

وأُتبع هذا القلب بالإمطار بالحجارة كما ذكرت الآية الكريمة، والمعنى: "أمطرنا علـــيهم حجارة من طين متحجّر، منضّد بعضها فوق بعض، وتتابع في النّزول عليهم، مسوّمة أي معلّمة للعذاب، عليها علامة خاصة عند ربّك أي في خزائنه"[2].

وفي الآية الكريمة عبرة لكل صاحب فاحشة في كل زمان ومكان، فقد نبهت الآية التي تليها على أن تكرار هذه العقوبة ليس بعيداً من كل ظالم، فصاحب الفاحشة مهدَّد بأن تطاله نقمة الله وعقابـــه فـــي كـــل ســـاعة، كمـــا قـــال تعـــالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[3].

وشدَّد في التذكير والاعتبار بقولـــه تعـــالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِ ۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[4].

---

[1] سورة هود، آية: 82

[2] الزحيلي، **التفسير المنير**، (12 / 116).

[3] سورة هود، آية: 83

[4] سورة الصافات، الآيات: 137 – 138

أي: إنَّ مرورَكم بآثارهم في الليل والنهار، ووقوفَكم على مصائرهم، فيه من بليغ العبر الرادعة لكم، هذا لو كان لكم عقول تفكرون بها؛ لإنقاذ أنفسكم من سوء المنقلب والمصير.

6- التدمير الكلي واستبدالهم بأقوام آخرين

ذكرت الباحثة فيما سبق أنَّ الله تعالى يُملي للظالم، حتّى إذا أمسكه لم يفلته، كما ذكر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنه يعاقب على الظلم عقاباً أليماً شديداً، فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

وبما أنَّ المكر من أشدّ أنواع الظلم للنفس وللغير، كانت عقوبته الاستئصال، وقطع دابر هؤلاء الأقوام، ومحو آثارهم عن وجه الارض، والنصوص القرآنية تثبت ذلك، منها قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3].

وبعد هذا التدمير الكلي يمحو الله تعالى وجودهم، ويستبدلُ بهم قوماً آخرين يحلون محلهم، ويكونون أطوع لله منهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾[4].

---

[1] سورة هود، آية: 102

[2] سورة النمل، الآيات: 51 – 52

[3] سورة النحل، آية: 26

[4] سورة هود، آية: 57

7- عذاب يوم الظلة

وعذاب يوم الظلة عقوبة نزلت على قوم شعيب- عليه السلام-، بعد أن تمادوا في مكرهم، وتجاوزوا الحدّ في عنادهم، وفي إعراضهم عن نُصح نبيِّهم، وهذا العذاب كما ذكر بعض أهل التفسير[1]: "سحابة ظلّلتهم، فلما اكتملوا تحتها، التهبت عليهم ناراً وأحرقتهم.

وقد ذكر هذا العذاب في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

8- الريح الشديدة

وهذه الريح ممّا عُذّب به قوم هود -عليه السلام- فقد كانوا مع كفرهم بالله، وجحودهم بآيات الله، وكفرهم برسله مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتُهم، فعاقبهم الله عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغترّوا بها، فأرسل عليهم ريحاً عظيمة، من قوّتها وشدّتها، لها صوتٌ مزعج، كالرَّعد القاصف، واستمرت هذه الريح فيهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة، فدمّرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم[3].

وفي تصوير ذلك جاءت الآية الكريمة بقوله تعالى: چفَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾[4].

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (19/ 109)، والبغوي، **معالم التنزيل**، (3/ 398)، والزمخشري، **الكشاف**،(339/3)، والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، (4/ 252)، والشوكاني، **فتح القدير**، (4/ 115).

[2] سورة الشعراء، آية: 189

[3] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 746).

[4] سورة فصلت، آية: 16

9- الطير الأبابيل

هذه العقوبة أرسلها الله تعالى على جيش أبرهة الأشرم، الذي خطّط ودبر لهدم الكعبة، فقد بنى هذا الأشرم كنيسةً[1] وأراد صرف وجوه الناس إليها، فخطّط لهدم الكعبة التي كانت العرب تحج إليها، فجهزّ جيشاً كبيراً، وتوجّه إلى مكة، ولكن كانت المفاجأة الكبرى أن أرسل اللهُ تعالى عليهم طيوراً تحمل الحجارة، فما تُصيبُ أحداً منهم إلا خَرَّ ميتاً[2].

وفي عقابهم انزل الله تعالى سورة الفيل، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[3].

10- ارتداد سوء المكر على أصحابه

فما دام هؤلاء يمكرون بالباطل ولأجله، فلن يحقّقوا غاياتهم، ولن يفيدهم ذلك شيئاً؛ لأنَّ مكرهم سوف يهلك، وستدور الدائرة والعاقبة السيئة عليهم، وهم بذلك كَمَن يمكر بنفسه، وقد جاءت النّصوصُ القرآنية بما يثبت ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[4].

"البوار؛ كساد يؤدي إلى الهلاك"[5].

---

[1] اسم هذه الكنيسة: القليس ومكانها بصنعاء لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض وكتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب، انظر ابن كثير، البداية والنهاية، (2/ 170).

[2] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (ت 213 هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت، (ط1/ 411 هـ)، (ص 52).

[3] سورة الفيل، الآيات: 1- 5

[4] سورة فاطر، آية: 10

[5] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 66).

ومن الشواهد التي ذكرها القران الكريم على فشل المكر السيئ وسوء عاقبتــه، مكــر فرعون بقومه وتزيين الشرك لأتباعه فقد أراد أن يوهم الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلــى تكذيب موسى -عليه السلام-، فقد بلغ به مكره أن أمر وزيره أن يبني له برجاً عالياً من الطين ليصل إلى السماوات العلى للتأكد من وجود إله كما أخبر موسى – عليه السلام -، ولكن مكــره السيئ لم يبُء إلا بالفشل والخسران كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾[1].

والتباب هو؛ الاستمرار في الخسران[2].

وبما أن السحر من أنواع المكر السيئ، فلا بد أن تكون عاقبته الفشل والخسران وانعدام النجاح والفلاح، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[3].

قال الطبري في معنى الآية بعد أن ذكر أوجه القراءات فيها، ووفق بين قــراءة قُــرّاء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة؛ إنما صنعوا كيد ساحر، برفع كيد وبالألف فــي ســاحر، وقراءة عامة قراء الكوفة؛ إنما صنعوا كيد سحر برفع الكيد، وبغير الألف في السحر،:"وذلك أنَّ الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته تخيله إلى المسحور على خلاف ما هو به في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييــل، فإلى أيهما أضفت الكيدَ فهو صواب... ولا يظفر الساحرُ بسحره بما طلب أين كان"[4].

---

[1] سورة غافر، آية: 37

[2] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 72).

[3] سورة طه، آية: 69

[4] الطبري، **جامع البيان**، (16/ 186).

وليس الخسران والفشل مصيراً لهم فقط، بل سيذوقون عاقبة ما مكروا، ويشربون من كأس ما دبّروا، وسيحيطُ وينزلُ بهم مكرهم السيئ، كما أخبر بذلك أصدقُ القائلين: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[1].

خامساً: الابتلاءات والمحن والعقوبات المادية والجسدية

سنة الله تعالى في خلقه قديمة لا تتبدل ولا تتغير، والمعادلة واضحة وضوح الشمس فقد أثبتت الآيات الكريمة أن الإنسان هو الذي يختار نوع الحياة التي يريدها بإرادته فأما أن تكون حياة طيبة وإما أن تكون معيشة ضنكا وهو حر في اختياره؛ فنتيجة الكفر بالله والإعراض عن ذكره ضيق المعاش، وضنك العيش ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[2]، وبالمقابل تكون الحياة الطيبة نتيجة حتمية لأهل الإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وبما أنهم اختاروا نوع الحياة التي يردون ؟أذاقهم الله تعالى ما يستحقون من البلايا والمحن ومن هذه البلايا:

1- الفقر وضيق المعاش

والفقر من أنواع الابتلاءات التي يسلطها الله تعالى على أهل المكر والخداع عقوبة لهم على عدم الرضا بقضاء الله تعالى فقد يصدر المكرُ السّيئُ من بعض ضعاف الإيمان استجابة

[1] سورة فاطر، آية: 43

[2] سورة طه، آية: 124

لنزغات الشيطان، لضعف نفوسهم، وسوء أخلاقهم، فيستحقون بذلك العقوبة، ولكن العدل الإلهيّ لا يعاملهم معاملة الجاحدين لآيات الله، المُنكرين وجوده، المُكذِّبين لرسله- فالكفر بالله، وصدّ الناس عن الإيمان به من أفظعِ أنواع المكر، لذلك كانت عقوبته الاستئصال- بل تكون عقوبتهم على قدر مكرهم؛ لإعطائهم فرصةً للندم والتوبة، كما حدث مع إخوة يوسف عليه السلام- عندما مكروا بأخيهم، فقد انهالت عليهم الابتلاءات الرّبانية من فقد أبيهم بصره، وهم يشعرون أنهم السبب في ذلك، ومن جوعٍ وحرمانٍ جرّاء القحط الذي أصاب بلادهم، مما أدَّى بهم إلى الوقوف موقفَ المستجدي للصدقة أمام عزيز مصر، فقد طلبوا الصدقة صراحة، بعد أن ذل الجوع كبرياءهم، وأطاح الفقرُ بعزّة نفوسهم، فقد قال تعالى واصفاً هذا المشهد: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾[1].

هذه الابتلاءات التي تعرَّض لها إخوة يوسف -عليه السلام-، بالإضافة إلى النّدامة التي كانت تختلج في نفوسهم، والمعاناة الآخذ بعضها برقاب بعض، والفشل المتلاحق، كلَّ ذلك عمل على تطوير شخصيات إخوة يوسف، إلى أن غدوا كواكب، كما وصفهم القرآن الكريم؛ لذلك استحقوا وعد أبيهم بالاستغفار لهم"[2].

2- حرق بساتينهم وجناتهم

ذكرت الباحثةُ فيما سبق قصةَ أصحاب الجنة، كيف مكروا وبيتوا لحرمان المساكين من الثمار، وقد ذكر القرآنُ الكريم عقوبتَهم بحرق جنّتهم وحرمانهم من الانتفاع بها، فكان الجزاء من جنس العمل، قال تعالى في عقوبتهم: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴾[3]

---

[1] سورة يوسف، آية: 88

[2] انظر: نوفل، د. احمد نوفل، كلية الشريعة- الجامعة الأردنية، **سورة يوسف دراسة تحليلية**، دار الفرقان- الأردن، (ط1/ 1409 هـ)، (ص 193- 194).

[3] سورة القلم، الآيات: 19 - 20

يقول تعالى ذكره: فَطَرَق جنةَ هؤلاء القوم ليلاً طارقٌ من أمر الله، وهــم نــائمون، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلاً، اختلف أهل التأويل في الذي عنــي "بالصــريم"، فقــال بعضهم: عُني به الليلُ الأسود، وقال بعضهم: معنى ذلك فأصبحت جنتُهم محترقةً سوداءَ كسواد الليل المظلم البهيم"[1].

كما ذكرت سورةُ الكهف قصةَ صاحب الجَّنتين الذي جحد نعمة الله عليه، واســتبعد أن يقدر أحدٌ على إهلاك جَنَتَيه، وأنكر البعثَ والساعة، وازداد جــرأة علــى الله وافتــراء بقولــه واعتقاده، أنه حتّى لو كان هناك بعث وحساب فسوف يعطيني الله خيرا من ذلك، وهذا يتنافى مع عدل الله وحكمته، فالظالمون ليس لهم إلا العذاب والخزي في الآخرة، فكان العقاب الذي استحقه شاهد عيان على تكذيب الله لمزاعمه، وبرهاناً ساطعاً لكلّ مَن ينخدع بــزعم أمثالــه للتغريــر بالضعفاء وسفهاء العقول، قــال تعــالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾[2].

3- عقوبات جسدية

وقد يحدث المكرُ من بعض الكفرة أيضاً، ولكنّهم لا يتعرضون بمكرهم لــذات الله، ولا يصدّون الناس عن سبيله، كما أنهم لا يتعرضون لعباد الله بأفعال تضرهم وتؤذيهم، أو تنــتقص من حقوقهم، وإنما كان مكرهم من قبيل الأقوال الجارحة، أو الطعن في الأعراض، والباحثة لا ترى أن ذلك من الأمور الحقيرة المتسامح بها شرعا، ولكنَّ الذي يتضح لها من خلال البحــثَ أنّها أقلّ ضرراً -على عظمها- من الكفر والجحود بآيات الله، وانتقاص العباد حقوقهم وبخسها، لذلك كان العقاب فيها بدنياً أو نفسياً، يُفتحَ الباب بعده للتوبة، كما حدث مع نساء مصــر عنــدما وقعن في امرأة العزيز، وطعنَّ في عرضها

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، (29 / 30).

[2] سورة الكهف، آية: 42

كما جاء في النص القرآنـــي: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

وقد عدَّ القرآن الكريم هذا القول وهذه الغيبة من قبيل المكر – كما ذكرت الباحثـــة مـــن قبل–، وذكر ما استحقته هؤلاء النسوة من عقوبة أجرتها عليهن امرأةُ العزيز، فبعد أن قـــدّمت لهنّ ما لذ وطاب، أحكمت خطتها وعاقبتهن بمكر يقابل مكرهن بها، فقد طعَّنها فـــي عرضـــها، وبالمقابل أعطتهنّ سكاكين، وأخرجت لهنّ يوسف– عليه السلام– لعلمها أنهن سيبهرن بجمالـــه، فتسببت بطعن أيديهنّ وتقطيعها، كما ذكر في قوله تعـــالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2].

ومن هذا القبيل ما رتَّب الشارع من عقوبات على القاذف المسلم، الذي يصدر منه اتهامٌ لغيره من المسلمين بالزنا، من غير بينة ولا شهود أربعة، فقد قـــال تعـــالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

فقد حكم عليهم بالجلد ثمانين جلدة، بالإضافة إلى عدم قبول شـــهادتهم والحكـــم علـــيهم بالفسق ما لم يتوبوا.

[1] سورة يوسف، آية: 30

[2] سورة يوسف، آية: 31

[3] سورة النور، آية: 4

ومن العقوبات الجسدية أيضاً الحرمان من الانتفاع بحاسّةِ اللمس، كما حدث مع السامريّ صاحب موسى –عليه السلام– فقد "كان... السامريّ عظيماً من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها: سامرة، ولكن عدوَّ الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل"[1].

لقد كان هذا السامريّ سبباً في إضلال بني إسرائيل، فقد استغل حداثة عهدهم بالإيمان وضعف نفوسهم، واستغل حاجتهم إلى أمرٍ اعتادوا عليه، وعكفوا عليه طويلاً، وهو وجود إله مادّي يرونه ويحسونه، كما كانوا يرون فرعونهم الذي نصَّب نفسه إلها لبني إسرائيل، فأطاعوه لخفة عقولهم، فعمل هذا السامريّ على تشكيل ما معهم من حلى، على شكل عجل جسد، لا روح فيه، واحتال لإقناعهم بان هذا هو الإله الذي دعاكم موسى إلى عبادته، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾[2].

وفي معنى "فنسي" قال الطبري: "والذي هو أولى بتأويل ذلك القول هو: أنّ ذلك خبر من الله –عز ذكرَه– عن السامريّ، أنه وصف موسى بأنه نسي ربَّه، وأن ربه الذي ذهب يريده هو العجل، الذي أخرجه السامريّ"[3].

وبفعله هذا يكون قد حقق لهم أمنيةً تمنَّوها من قبل، بأن يكونَ لهم إلهٌ مرئيٌ يعبدونه، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[4].

فقد دفعهم مكر هذا إلى الشرك، وعبادة غير الله سبحانه، ولذلك استحق العقوبة التي طلبها موسى– عليه السلام– من الله تعالى ينزلها به، وهي حرمانه من الانتفاع بحاسّة اللمس،

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، (16 / 206).

[2] سورة طه، آية: 88

[3] الطبري، **جامع البيان**، (16/ 201).

[4] سورة الأعراف، آية: 138

قال تعالى في عقابــه: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾[1]

فكان لايمس شيئاً ولا يُمسه شيء[2].

وقال الزمخشري ووافقه الآلوسي، بأنّه كان "لا يمس شيئاً أو يمسه شيءٌ إلا حُمَّ الماسُّ والممسوس"[3]

وللشوكاني قول آخر، قال:"المساس مأخوذ من المماسة، أي لا يُمسك أحــد ولا تمــس أحدا، لكن لا بحسب الاختيار منك، بل بموجب الاضطرار الملجئ إلى ذلك؛ لأنَّ الله –سبحانه- أمر موسى أن ينفي السامريَّ عن قومه، وأمر بني إســرائيل أنْ لا يخــالطوه ولا يقربــوه ولا يكلموه عقوبةً له، قيل إنّه لما قال له موسى ذلك هرب، فجعل يهيم فــي البريــة مــع الســباع والوحش، لا يجدُ أحداً من الناس يمسه، حتّى صار كمن يقول: لا مساس؛ لبعده عن الناس وبعد الناس عنه"[4].

والذي يظهر من الآية، وأقوال أهل العلم كما ترى الباحثة، انه كان يتضرر ضررا بليغاً باللمس، بغضّ النظر عن التفصيل في الكيفية لعدم تعرض الآية لذلك.

المطلب الثاني: عاقبة المكر السيئ في الآخرة

إن الله سبحانه وتعالى يملي للظالمين ويمنحهم الفرصة تلو الفرصة للرجوع عن ما هم عليه حتى إذا ما استنفذوا جميع الفرص أخذهم اخذ عزيز مقتدر في الدنيا، ولهم فــي الآخــرة

---

[1] سورة طه، آية: 97

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (16/ 206)، والسمرقندي، **بحر العلوم**، (2/ 410)، والسعدي، **تيسير الكريم الــرحمن**، (ص 512).

[3] الزمخشري، **الكشاف**، (3/ 85)، الآلوسي، **روح المعاني**، (16/ 255).

[4] الشوكاني، فتح القدير، (3/ 383).

عذاب اشق وأفظع جزاء على مكرهم وظلمهم، فعذاب الدنيا مهما بلغت شدته فان له نهاية لذلك استحقوا من الله تعالى العذاب الدائم الشديد في الآخرة، وقد تتبعت الباحثة العقوبات الأخروية فكانت على النحو الآتي:

أولاً: العذاب في القبر

عذاب القبر ثابت بنصوص الكتاب والسنة، ولا يجوز إنكاره، قال أبو حنيفة: "مَن قال: لا أعرف عذاب القبر، فهو من الجهمية[1] الهالكة؛ لأنَّه أنكر قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[2]، يعني عذاب القبر"[3].

وأورد البخاري في صحيحه تحت باب ما جاء في عذاب القبر قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[4] "[5].

[1] هم: أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء... منها قوله في القدرة الحادثة أن الإنسان لايقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لاقدرة له، ولاارادة، ولااختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات...، انظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (ت 548 هـ)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، (بدون ذكر طبعة/ 1404هـ)، (1/ 86).

[2] سورة التوبة، آية: 101

[3] الخميس، محمد بن عبد الرحمن، (ت 150هـ)، الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، (ط 1/ 1419 هـ)، (ص 137).

[4] سورة غافر، الآيات: 45 – 46

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، (1 / 461).

قال البقاعي: "يُعرضون على النار في البرزخ، غادين ورائحين في وقت استرواحهم بالأكل واستلذاذهم به –، هذا دأبهم طول أيام البرزخ، وكان عليهم في هذا العرض زيادة نكد فوق ما ورد"[1].

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية ما يؤيد ذلك: "قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] وهذا يحتمل أنْ يرادَ به عذابُهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأنْ يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذَّب في الدنيا"[4].

وفي الهدي النبوي ما يثبت عذاب القبر أيضا، قال عليه السلام: " إنَّ أَحَدَكُمْ إذا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إن كان من أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كان من أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هذا مَقْعَدُكَ حتى يَبْعَثَكَ الله يوم الْقِيَامَةِ" [5].

ثانياً: الخزي والندامة

الخزي كما ذكر الفراهيدي: "الاستحياء... ورجل خزيَّان، وامرأة خزيا، أي فَعَل أمراً قبيحا، فاشتدت خزايتَه لذلك، أي حياؤه"[6].

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر**، (6 / 520).

[2] سورة غافر، آية: 46

[3] سورة الطور، الآيات: 45 – 47

[4] الحنفي، ابن أبي العز، (ت 792)،**شرح العقيدة الطحاوية**، المكتب الإسلامي – بيروت، (ط4 / 1391هـ)، (ص 447).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الجنائز، بَاب الْمَيِّتِ يُعْرَضُ عليه بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، حديث: 1313، (464/1).

[6] الفراهيدي، **العين**، (4/ 291).

إن الله سبحانه ليس بغافلٍ عما يفعله الظالمون، وإنّما يؤخرهم إلى يوم القيامة، فهو يعطيهم الفرصة تلو الفرصة للتوبة والرجوع إلى ربِّهم، ولكنّهم في كلِّ مرة يزدادون مكراً وضلالاً؛ لذلك استحقّوا في هذا اليوم الخزي والندم، على تفريطهم في جنب الله، ففي هذا اليوم تكشف سرائرُهم، وما أخفوا من المكر والتدبير السيئ، ويفضحون على رؤوس الأشهاد، فعن ابن عُمَرَ -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "الْغَادِرَ يُرْفَعُ له لِوَاءٌ يوم الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هذه غَدْرَةُ فُلَانِ بن فُلَانٍ"[1].ثم يخزيهم أيضا بكشف سذاجتهم، وسخافة عقولهم، باتخاذهم آلهة من دون الله لا تستطيع كشف الضرّ عنهم، ولا تملك لهم ضرّاً ولا نفعاً، وكانت سببا في إدخالهم النّار قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2].

قال الإمام الطبري:" يقول -تعالى ذكره- يوم القيامة تقريعاً للمشركين بعبادتهم الأصنامَ: أين شركائي؟ يقول: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي؟ اليوم ما لهم لا يحضرونكم، فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا، وتتولونهم، والوليّ ينصرُ وليَّه "[3].

" هكذا يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رءوس الخلائق"[4].

وفي هذا الموقف العسير -من فضح للسرائر، وخزي من سوء العمل-، تلحقهم الندامة على ما قدموا، قال تعالى: " ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب:الأدب، باب: بَاب ما يُدْعَى الناس بِآبَائِهِمْ، حديث:5823، (5/ 2285).

[2] سورة النحل، الآيات: 26- 27

[3] الطبري، **جامع البيان**، (14/ 98).

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (2/ 568).

وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

أي أضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والإضلال، وأخفاها كلٌّ منهما عن الآخر، مخافةَ التعيير، أو أظهروها؛ فإنّه من الأضداد[2].

"والهمزة تصلح للإثبات وللسلب، فمعنى أسرَّه جعله سرًّا أو أزال سرَّه"[3].

ثالثاً: الذل والصغار

بالغ أهلُ المكر والإجرام باستعلائهم وكبرهم، على الله تعالى ورسله، ودفعهم كبرهم إلى إيذاء أتباعهم، وحجبهم هذا الكبر، وهذا الاستعلاء، عن سماع الحق واتّباعه، لذلك عاقبهم الله –تعالى– بأن أورثهم الذلَّ والصغار في الآخرة، فلم يُقم لهم وزناً، ولم يرفع لهم شأناً.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾[4].

"الصغار أشدَّ الذل"[5].

قال سيد قطب رحمه الله: "والصغار عند الله يقابل الاستعلاء عند الأتباع، والاستكبار عن الحق، والتطاول إلى مقام رسل الله! والعذاب الشديد يقابل المكر الشديد، والعداء للرسل، والأذى للمؤمنين"[6].

---

[1] سورة سبأ، آية: 33

[2] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (7 / 135)، الشوكاني، **فتح القدير**، (4 / 229).

[3] الآلوسي، **روح المعاني**، (22/ 146).

[4] سورة الأنعام، آية: 124

[5] الهائم المصري، **التبيان في غريب القرآن**، (ص 198).

[6] قطب، **في ظلال القرآن**، (3/ 1203).

رابعاً: إبعادهم وطردهم عن كل خير

لقد كان في قصص هؤلاء المعذَّبين عبرة لمن كان له قلب، أو ألقى السمعَ وهو شـــهيد، فلم تجزئ عنهم عقوبتهم الدنيوية من عذاب الله الأخروي من شيء، فقد حكم عليهم بالحرمـــان والطرد من كل خير في الآخرة، وأقنطهم من رحمته وفضله، قال تعالى، بعـــد أن ذكـــر مكـــر فرعون وجنوده، وعقوبتهم الدنيوية، أن عقابهم لم ينته، وأن صفحتَهم لم تطو نهائياً، وأن لهـــم موعداً مع الله ينالون به الجزاء العادل على كل ما قدموا في حيـــاتهم الـــدنيا: ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾[1].

"والمقبوحين" كما ذكر الفراهيدي:" أي المنَحَّين عن كلّ خير" [2].

وقال صاحب اللسان: "القبح: ضد الحسن، يكون في الصورة والفعل"[3].

وقال السعدي في تفسيره: "المقبوحين: المُبعَدين، المستقذرة أفعالُهم، الذين اجتمع علـــيهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم"[4].

خامساً: العذاب الشديد في النار

النار وعذابها نهاية كل ظالم، والشرك بالله من أعظم أنواع الظلم، ومن أعظـــم أنـــواع المكر، كما ذكرت الباحثة من قبل، والعذاب بالنّار أشدُّ أنواع العقوبات التَي يعاقـــب بهـــا أهـــل المكر في الدنيا والآخرة، فعن –عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما– قال: انْخَسَـــفَتْ الشَّـــمْسُ فَصَلَّى رسول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– ثُمَّ قال: "أُرِيتُ النَّارَ، فلم أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ"[5].

---

[1] سورة القصص، آية: 42

[2] الفراهيدي، **العين**، (3/ 53).

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 552).

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 617).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الصلاة، باب: بمن صلى وَقُدَّامَهُ تَنُّورٌ أو نَارٌ أو شَيْءٌ مِمَّا يُعْبَدُ، حـــديث: 421، (1/ 166).

وقد كانت النار مصير الماكرين من قوم نوح عليه السلام- عقوبة لهم على خطيئـاتهم، كما ذكروا في قولـه تعـالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[1]

كما كانت مورداً لفرعون وقومه، كمـا قـال تعـالى: ﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴾[2].

فكما كان قائداً لهم إلى الضلال في الدنيا، كان في الآخرة إمامهم وسابقهم إلى النار[3].

وكانت النار وستبقى عقاباً لكل ماكر في كل زمان ومكـان: ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[4].

هذا وعد من الله تعالى، والله لا يخلف الميعاد، وعد بالانتقام مـن هـؤلاء المجـرمين، وإلباسهم لباس الذلّ والهوان، إضافةً إلى عذاب النار الذي ينتظرهم، وفي هذه الآيـة وصـفٌ لمشهد من مشاهدِ الآخرة من تبديل الأرض، والسماوات، ورسمٍ لصـورة هـؤلاء المجـرمين ووصفٍ لحالهم وقت بروزهم للعرض على الواحد القهار، وهم يُجرّون مقيدين بالسلاسل، قـد قُرِن كل كافر مع نظيره، أو كلُّ صنف إلى صنف[5]، أو كلّ كافر مـع شـيطان فـي غـل" [6]،

---

[1] سورة نوح، آية: 25

[2] سورة هود،آية: 98

[3] انظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (10 / 349).

[4] سورة إبراهيم، الآيات: 46- 50

[5] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص428)، والرازي، **مفاتيح الغيب**، (19/ 117)، وابن كثير، **تفسير القـرآن العظيم**، (2/ 545)..

[6] انظر: الو احدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ص 587).

سرابيلهُم القطران؛" وهو ما يتحلب من شجرٍ يُسمّى الأبهل، فيطبخ فيهنأ[1] به الإبل الجربى، فيحرق الجرب بحدته وجرّه، ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو أسود اللون، منتُن الريح، فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤُه لهم كالسرابيل، ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الموحش ونتن الريح"[2].

والنار تحيط بوجوههم وتغشاها، جزاءً على ما قدموا من سوء عمل.

أمّا دركها الأسفل، فهو مكان خاص بالمنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾[3].

هذه الآيةُ تبيِّنُ بوضوحٍ أنَّ النفاق أشدُّ سوءاً وضرراً من سائر أنواع الكفر، فقد أخبر سبحانه وتعالى أن المنافقين لهم قعر جهنم، وأسفل دركاتها[4]؛ فهم جمعوا إلى جانب الكفر نوعاً آخر من الكفر؛ وهو الاستهزاء بالإسلام وأهلِه، والإطّلاع على أسرار المسلمين، وإخبار الكفار بها، بحكم أنهم كانوا يظهرون الإسلام، كما زادوا على الكفر المكر والخديعة، والتمكُّن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجهٍ لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك، جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه[5].

سادساً: عدم وجود النصير لهم في الآخرة

يحتاج المرءُ في المواقف الصعبةِ إلى مَنْ يناصره، ويكون له عوناً في شدّته، والذي يوفَّق في حسن اختيار نصيره، تكتب له العزة والرفعة والستر، والنجاة في أحلك الظروف، وبما أنَّ أهلَ المكر، رفضوا دعوة أنبيائهم، واختاروا أن يكون نصيرهم آلهةً لا تضر ولا تنفع، كانت

[1] الطِّلاءُ: الهِناءُ، انظر: ابن سيدة، **المحكم والمحيط الأعظم**، (9/ 217).
[2] النسفي، **مدارك التنزيل**، (2/ 236).
[3] سورة النساء، آية: 145
[4] الدرك أسفل قعر الشيء، انظر: الفراهيدي، **العين**، (5/ 227)، والدرك كالدرج لكن الدرج يقال اعتبارا بالصعود والدرك اعتبارا بالحدور، ولهذا قيل درجات الجنة ودركات النار، انظر: الأصفهاني، **المفردات**، (ص 167).
[5] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 211)، والرازي، **مفاتيح الغيب**، (11/ 70).

النتيجة خزياً وندامة، وحسرة على ما فرطوا في جنب الله؛ لذلك حرموا النصرة والمعونة في الآخرة، ومثال ذلك قوم نوح عليه السلام- تمسّكوا بآلهتهم، ظناً منهم أنها تحميهم من كل سوء، وكانت النتيجة هلاكهم، وانعدام النصير لهم في أحلك الظروف، قال تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾[1].

"فلم يجدوا لهم من دون اللهِ أنصاراً؛ ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله، وفيه تعريضٌ بعدم نفع آلهتهم، وعدم قدرتهم على نصرهم"[2].

كما قال تعالى في حال فرعون وقومه يوم القيامة: ﴿ وَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾[3].

فكما كانوا أئمةً وقادة للضلال في الدنيا، ودعاةً إلى أعمال نار جهنم، متناصرين بقوتهم وجبروتهم، انعدمت هذه النصرة في الآخرة، فلم تغن عنهم من عذاب الله من شيء، واضمحلّت هذه النصرة[4].

وهذه العقوبة لا تنحصر فقط في قوم نوح، وقوم فرعون، بل هي عقوبة لكل من اعتزّ بغير الله، واتّخذ لله نداً وشريكاً إلى أن تقوم الساعة.

سابعاً: الحرمان من النور يوم القيامة

وهذه عقوبة اختص الله بها المنافقين، وقد ذكرت في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَـٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ

---

[1] سورة نوح، آية: 25

[2] الشاذلي الفاسي،**البحر المديد**، (8/ 225).

[3] سورة القصص، آية: 41

[4] الطبري، **جامع البيان**، (20/ 79).

وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾[1].

فكما خدعوا المؤمنين في الدنيا، عوقبوا بخداعهم في الآخرة، فبينما المؤمنون يتمتعــون بالنور من بين أيديهم، وعن أيمانهم يهتدون به في طريقهم إلى الجنّة، يُحرَم أهل النفاق من هذا النور، ويستجدون عطف المؤمنين بالمنّ عليهم، بقليل من النور يهتدون به في ظلمات القيامـــة، ولكن هيهات لمن كفر، وخدع إن يحظى برحمة من الله في ذلك اليوم، فينادَى عليهم على سبيل التهكم والسخرية، بأن ارجعوا إلى الخلف تجدوا طُلبتكم من النور، وفي هذه اللحظة يفصل بينهم وبين المؤمنين بسور له باب، باطن هذا السور ممّا يلي أهل الجنة فيه الرحمة والجنة، وظاهره ممّا يلي المنافقين فيه العذاب، والنار[2]

وهذا من خداع الله لهم في الآخرة[3].

---

[1] – سورة الحديد، آية: 13

[2] –انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (5 / 170).

[3] – انظر، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 211).

الفصل الخامس

سبل الوقاية
والنجاة والعلاج من المكر السيئ

المبحث الأول: سبل الوقاية والنجاة من المكر السيئ

المبحث الثاني: سبل العلاج من المكر السيئ

الفصل الخامس

سبل الوقاية والنجاة والعلاج من المكر السيئ

تمهيد

بعد البحث والتقصي لأنواع المكر السيئ وعرض أسبابه، والاطلاع على العقوبات الشديدة لأهله، لابد من اخذ الحيطة والحذر لتجنب الوقوع في هذا الخلق الذميم، وذلك بوقاية النفس وحمايتها من الوقوع في الضرر، واتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها من أهل المكر والخداع، ومن ثَمَ البحث لها عن مخرج إذا ما انزلقت في الخطأ استجابة لنزغات الشيطان، لذلك قامت الباحثة بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول

سبل الوقاية والنجاة من المكر السيئ

الوقاية كما ذكر الراغب في مفرداته قال:" الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء "[1].

فلما كانت الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى، وجب إحاطة النفس الإنسانية بجدار صلب، وحصن متين، لحمايتها من الخبث والكدرة الحاصلة من الأخلاق المذمومة، والتي تدفع بالنفس الإنسانية إلى استنباط وجوه الشر، والتوصل إلى ما تريد بالمكر والحيلة والخداع، ولحمايتها من مداخل الشيطان، وليفتح بالأخلاق الجميلة أبواب القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن[2].

ولما كانت النجاة من المكروه مطمع كل إنسان وهدف كل حيّ، والنجاة بالدين ولأجل الدين هدف كل مؤمن، من أَجل ذلك فر رسل الله –عليهم السلام– بأمر من الله تعالى حرصاً على دينهم، وحرصاً على من معهم من المؤمنين، حتى لا تستأصلهم القوى الكافرة، لتظهر على البشرية بقوتها وجبروتها، ولا يعود لدين الله الذي قدر الله له البقاء والظهور على أيدي هذه الفئة المؤمنة مدعما بتأييد الله تعالى ونصره أثر ولا ذكر، وقد تتبعت الباحثة هذه السبل التي تعين على الوقاية والنجاة من مكر الماكرين فكانت على النحو الآتي:

المطلب الأول: الإيمان الصادق المقترن بالتقوى

"الإيمان في لسان الشرع يُراد به التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره حلوه ومره... والإيمان قول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان، ومن لم يستكمله لم يستكمل الإيمان"[3].

---

[1] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 530).

[2] انظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (3/ 49).

[3] **بن باديس، عبد الحميد**، (ت 1940هـ)، **العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تحقيق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح – الشارقة**، (ط1/ 1416هـ)، (ص 41 – 44) بتصرف.

فالإيمان بالله يمثل الجذر الرئيسي لإصلاح الإنسان من أعماق كيانه الداخلي، فهو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها كل الفروع، ومتى بنيت هذه القاعدة استطاعت أن تهيمن على فكره وقلبه وإرادته وسلوكه، ومن ثم تعمل هذه القاعدة على ربط إرادته بما يرضي الله، ولا يخفى تأثير هذه الإرادة في مراكز الخلق في نفسه، وقدرتها على التحكم في أنواع سلوكه، وبذلك يكون الإيمان بالله قوة فوق كل القوى بما يولده من حافز ذاتي، فهو يقبض على زمام العقل بالحقّ، ويقبض على ناصية القلب بمحبة الله وابتغاء رضاه، ويقبض على زمام النفس بالخوف من الله أو الطمع في عقابه، لذلك استحق الإيمان بالله أن يكون القاعدة الأساسية التي تبنى عليها كل الفروع لسلوك كل إنسان[1].

لذلك قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ .. ﴾[2].

فهذه أول خطوة على طريق الوقاية، وهي الإيمان الصادق المطهر للقلب من النفاق، الذي هو بدوره من أسوأ أنواع المكر والخداع، فمتى دخل الإيمان القلب حماه من النفاق، وأصبحت رابطة العقيدة هي الرابطة العليا، التي تنقطع معها كلُّ أواصر القرابة والدم إذا كان فيها محادَّةٌ لله ورسوله.

وفي معنى الآية قال الشيخ المراغي: "أي لا تجد قوماً يجمعون بين الإيمان باللّه واليوم الآخر، وموادّة أعداء اللّه ورسوله، لأن إيمان المؤمنين يفسد بموادَّة الكافرين، إذ مَن كان مؤمناً حقاً لا يوالى كافراً، فمن أحب أحدا امتنع أن يوالى عدوَّه، والمراد من موالاته مناصحته، وإرادة

[1] انظر: الزحيلي، **الأخلاق الاسلامية**، (1/ 202).

[2] سورة المجادلة، آية: 22

الخير له في الدين والدنيا... فإذا حصل في القلب مودة أعداء اللّه، لم يحصل فيه الإيمان الصحيح وكان صاحبه منافقا"[1]

وقد استثنى –عليه السلام– من الإيمان مَن اتَّصف بالغدر، والكذب، والحقد، ونقض العهد، فعن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا أو كانت فيه خَصْلَةٌ من أَرْبَعَةٍ كانت فيه خَصْلَةٌ من النِّفَاقِ حتى يَدَعَهَا، إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ"[2].

"فهذه ثلاث خصال، أيُّ مسلم كانت فيه واحدة منهن كان فيه شعبة من النفاق، وإن كانت اثنتين فشعبتان من النفاق، وإن كن ثلاثاً فقد أُدمج بالنفاق من شعر رأسه إلى ظفر قدمهِ مَن إذا قال كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد لم يف"[3].

فقد جعلت الآية القرآنية البراءة من النفاق أَصدق الإيمان، وبيَّن الحديث الشريف أن السلوكَ الخاطئ، والخلق المذموم، من أنواع النفاق، وبذلك يتنافر الإيمان ومساوئ السلوك، ويتآلف الإيمان ومحاسن السلوك، فكان الإيمان دافعاً له ومرغبا فيه.

والخطوة الثانية بعد تطهير القلب من النفاق تحصين القلب والجوارح، لمواجهة نوائب الدهر وتلقِّيها بقلب راض، وسلوك قويم، قال السعدي:

"لهذا تجد اثنين تنزل بهما نائبةٌ من نوائب الخير أو الشر، فيتفاوتان تفاوتاً عظيماً في تلقيها، وذلك بحسب تفاوتهما في الإيمان... فالمؤمن يتلقَّى الخير والشر بالشكر والصبر وما يتبعهما، فيحدث له السرور والابتهاج، وزوال الهَم والغم، والقلق، وضيق الصدر، وشقاء الحياة وتتمَّ له الحياة الطيبة في هذه الدار. والآخر يتلقى المَحابّ– النِّعم– بأشرٍ وبطرٍ وطغيان. فتنحرف أخلاقه، ويتلقاها كما تتلقاها البهائم بجشع وهلع، ومع ذلك فإنه غير مستريح القلب، بل

---

[1] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (28/ 27).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب:المظالم، باب: إذا خَاصَمَ فَجَرَ،حديث:(2327)، (2/ 868).

[3] العدني، محمد بن يحيى بن أبي عمر، (ت 243 هـ)، **الإيمان للعدني**، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية – الكويت، (ط 1/ 1407)، (ص 74) بتصرف.

مشتته من جهات عديدة، مشتت من جهة خوفه من زوال محبوباته، ومن كثـرة المعارضـات الناشئة عنها غالباً،... ويتلقّى المكاره بقلق وجزع وخوف وضجر، فلا تسأل عن ما يحدث لـه من شقاء الحياة،... ؛ لأنه لا يرجو ثواباً، ولا صبر عنده يسليه ويهون عليه"[1].

وقد صدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بقوله: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّـهُ خَيْر، ولَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ، إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له وَإِنْ أَصَـابَتْهُ ضَـرَّاءُ صَبَر، فَكَانَ خَيْرًا له" [2].

وبما أن الإيمان رأس الخير،كان سبباً النجاة من كل شر، فمتى وقر في القلب صـدَّقته الجوارح، فلم تأت بما يناقضه، واكتسبته الأخلاق والسلوك فأصبح دأبها الدؤوب، وتحققت بـه النجاة إذا ادلهمت الخطوب، فقد نجَّى الله تعالى المؤمنين مع لوط –عليه السلام– من مكر قومهم وسوء فعلهم، ثم نجاهم من عاقبة ما وقع بقومهم، قال تعـالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3].

قال الشوكاني: "هذا كلام من جهة الله سبحانه أي لما أردنا إهلاك قوم لوط أخرجنا من كان في قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به"[4].

وقال الرازي: "بيان أنه ببركة المحسن ينجو المسيء، فإنَّ القرية ما دام فيها المؤمن لم تهلك"[5].

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**، مؤسسة النور، الرياض، طبعة سـنة (1378هـ)، (ص:3)، بتصرف.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حديث:(2999)، (4/ 2295).

[3] سورة الذاريات، آية: 35

[4] الشوكاني، **فتح القدير**، (5/ 89).

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، (28/ 188).

وبالإيمان أيضا نجا نوح عليه السلام- ومن معه من الغرق، قال تعـــالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[1].

وكذلك ينجي الله رسله ومن آمن معهم، قـــال تعـــالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2].

إن الله تعالى تكفل بنجاة الرسل وأتباعهم من مكاره الدنيا وشدائدها، فهو يدافع عن الذين آمنوا، وبحسب ما مع العبد من الإيمان تحصل له النجاة من المكاره[3].

قال الرازي في فضل الصالحين على المجتمع: "قيل إن العالم كبدن ووجود الصـــالحين كالأغذية الباردة والحارة، والكفار والفساق كالسموم الواردة عليه الضارة، ثمَّ إنَّ البدن إن خـــلا عن المنافع وفيه المضار هلك، وإن خلا عن المضار وفيه المنافع طاب عيشه ونما، وإنْ وجـــد فيه كلاهما، فالحكم للغالب، فكذلك البلاد والعباد"[4].

يتبين لنا مما سبق ما للإيمان من أهمية في تقويم الخلق، وقدرة على التحكم في أنـــواع السلوك وتوجيهها لما يرضي الله تعالى، فهو بمثابة الحصن المنيع للنفس والجوارح من الزيـــغ، واتباع الأهواء، وممّا يزيد هذا الحصن صلابة إلباسه لباس التقوى، الذي يزداد به قوة على قوة، ومنعة على منعة.

والتقوى: "تجنب القبيح خوفا من الله وأصلها الوقاية"[5].

---

[1] سورة هود، آية: 40

[2] سورة يونس، آية: 103

[3] انظر، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: 375).

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (28/ 188).

[5] المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت:1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د.محمد رضـــوان الدايـــة، دار الفكر – بيروت، (ط1/1410هـ)، (ص: 199).

والتقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[1].

فهذه وصيةٌ قديمة ما زال يوصي الله بها عباده، لأنهم بالتقوى يسعدون، وينالون النجاة في العاقبة، فالله خالقهم، ومالكهم، والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها، فحقه أن يكون مطاعاً في خلقه، غير معصيّ، يتقون عقابه، ويرجون ثوابه[2].

وفي أثر التقوى على السلوك قال الغزالي: "وأقلُّ درجات الخوف ممَّا يظهر أثـره فـي الأعمال أن يمنع عن المحظورات، ويسمى الكفّ الحاصل عن المحظورات وَرَعاً، فـإن زادت قوته كف عمَّا يتطرق إليه إمكان التحريم فيكفّ أيضا عمّا لا يتيقن تحريمه ويسمَّى ذلك تقـوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه، إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به باس، وهو الصدق في التقوى"[3].

وقال ابن رجب: "وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيـه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايـة تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه، وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجـل كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾[4] فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يتّقي، وعن ذلك ينشأ عقابـه الـدنيوي والأُخروي"[5].

---

[1] سورة النساء، آية: 131

[2] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (1/ 607).

[3] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (4/ 156).

[4] سورة الحشر، آية: 18

[5] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (ص:158).

بهذا الحاجز المتين يقي المؤمن نفسه من الوقوع في المعصية، ويحمي نفسه من نزغات الشياطين وما تسوّل له من مكر وخداع ومعاصٍ تودي به إلى المهالك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[1].

وبالتقوى والصبر أبصر يوسف -عليه السلام- ما يدور حوله، وما يراد به من مكر وكيد، فكانت له العزة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].

المطلب الثاني: الصبر

بعد بناء الأساس المتين، والأرضية الصلبة، وبعد إحاطة القلب بجدار من الإيمان واليقين، تصبح النفس مستعدة لمواجهة الخطوب، وتنهال عليها الابتلاءات من كل صوب؛ إذ لا بد من التمحيص، قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾[3]، لذلك لابدَّ من إكمال التحصين بالفرعيات، لسدِّ الثغرات التي قد تضعف من خلالها النفس، فتنجر وراء شهواتها متبعة سبل الشيطان من مكر وخداع وغدر وغير ذلك، ومن أوائل هذه الفرعيات الواقية من المكر الصبر.

ومن أعلى درجات الصبر، الصبر على الشهوات فلا يمكرُ لجمعِها بالباطل، ولا يحتال لتحصيلها، بطريق محرم، ومن هذه الشهوات: "الأموال فإنها معايش الخلق، فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا بالاستيلاء والسرقة وغيرهما، بل ينبغي أن تحفظ لتبقى ببقائها

[1] سورة الأعراف، آية: 201
[2] سورة يوسف، آية: 90
[3] سورة البقرة، آية: 214

النفوس، فإذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له – الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها – فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر، وذلك بأربع طرق أحدها الخفية، وهى السرقة؛ فإنه إذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك الثاني أكل مال اليتيم، وهذا أيضاً من الخفية في حق الولي والقيم فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه، الثالث تفويتها بشهادة الزور، الرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك"[1].

فالسارق ماكر؛ لأن السارق يحتال ويتخفى عن الأعين، ويتحين غفلات الناس، لسرقة أموالهم، جرياً وراء أطماعه وشهوات نفسه التي لم يردعها بالصبر والترفع عما في أيدي الناس، لذلك كانت عقوبة السارق قطع يده حمايةً للناس من مكره وشره، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وشاهد الزور يحتال بيمينه لتحصيل ما لا يملك، ولا حقّ له فيه، فيطمع بالقليل الفاني، ويضيع الكثير الباقي لو صبر على شهوته، وتذكَر ما وعد الله تعالى به الصابرين لكفّ عن معصيته، قال تعالى في سورة الفرقان بعد أن ذكر صفات عباد الرحمن، ومنها الترفّع عن شهادة الزور: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[3].

فقد بشرهم بعد أن مدحهم بالترفع عن شهادة الزور بما لهم على الصبر من عظيم الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾[4]

---

[1] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (4/ 20) بتصرف.

[2] سورة المائدة، آية: 38

[3] سورة الفرقان، آية: 72

[4] سورة الفرقان، آية: 75

وآكل مال اليتيم محتال، لأنه استغل ضعفه وغفلته، واستولى على ماله فلا رقيب ولا محاسب له، ويمكن أن يقي نفسه من الوقوع في الحرام بالصبر وباتباع الهدي النبوي في الحث على كفالة اليتيم، والحرص على أمواله، وما اعد الله تعالى لذلك من اجر، قال رسول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه-: "كَافِلُ الْيَتِيمِ له أو لِغَيْرِهِ أنا، وهو كَهَاتَيْنِ في الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"[1].

والصبر يكف المرء عن الحسد، فإذا علم أن رزقه بيد الله، كفَّ عن السعي وراءه بالطرق المحرمة، ليجاري من هو أعلى منه مكانة أو معاشاً قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾[2].

قال الآلوسي: "بيده جل وعلا مقاليد الرزق، وهو سبحانه يوسّعه على بعض ويضيقه على بعض، حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة"[3].

وإذا اطمأنت نفسه إلى أن رزقه مقدر له قبل مولده، كفَّ عن التطلع إلى ما انعم الله به على غيره حسداً وحقداً متمنياً له الزوال، وقد ذكرت الباحثة في المباحث السابقة أن الحسد، عين المكر وهو الخطيئة التي طرد بسببها إبليس من الجنة، كما أنه السبب الذي حجب أرباب الشرك عن الإيمان، ودفع بهم إلى تدبير المؤامرات والحيل للفتك بالرسل وأتباعهم.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم عن تمني ما في أيدي الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[4]

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الزهد والرقائق، باب: بَاب الْإِحْسَانِ إلى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ، حديث:(2983)، (4/ 2287).

[2] سورة الإسراء، آية: 30

[3] الآلوسي، **روح المعاني**، (15/ 66).

[4] سورة طه، آية: 131

أي لاتُطل نظر عينيك إلى ما متعنا به البعض من زخارف الدنيا مـن بنـين وأمـوال ومطاعم وملابس حتى لا يدفعه ذلك إلى الحسد الذي قد يجر إلى المكر والخداع للوصول إلى ما وصلوا إليه، أو تمني زوال النعمة عنهم وذلك يجر إلى الإثم والعقاب.

وبالصبر استعان يوسف عليه السلام – على نزغات الشيطان وانتصر على هوى نفسه، وبه عصم نفسه من الوقوع في الفاحشة مع زوجةٍ من أنعم عليه ومد له يد العون، وبـه صـبر على ما لاقاه من صويحباتها من كيد ومكر لإيقاعه في حبائل العشق، وبه تحمل ظلام السـجن وقسوته، وكان بإمكانه النجاة بالطاعة لزوجة العزيز والنزول عند رغبتها، ولكنَّه أبى أن يخدع سيده، وأبى أن يغضب ربه،

وقد ذكر يوسف عليه السلام ذلك لإخوته معلما إياهم، كيف ينالون العزة والمنعـة فـي الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

قال ابن تيمية: "وقد ابتلى يوسف –بعد أن ظلم من إخوته– بمن يدعوه إلـى الفاحشـة، ويراوده عليها، ويستعين عليه بمن يعينه على ذلك، فاستعصم واختار السجن على الفاحشة، وآثر عذاب الدنيا على سخط الله، فكان مظلوماً من جهة من أحبه، فقد ألجأته زوجة العزيز إلـى أن اختار أن يكون محبوساً مسجونا باختياره فكانت هذه أعظم في محنته، وكان صبره هنا اختيارياً، اقترن بالتقوى بخلاف صبره على ظلم إخوته فإن ذلك كان من باب المصائب"[2].

وقال المراغي:"إن الحقَّ الذي نطقت به الشرائع وأرشدت إليه التجارب هو أنَّ: من يتق اللّه فيما به أمر وعنه نهى، ويصبر على ما أصابه من المحن وفتن الشهوات والأهـواء، فـلا يستعجل الأقدار بشيء قبل أوانه، فإن اللّه لا يضيع أجره في الدنيا ثم يؤتيه أجره في الآخرة "[3].

---

[1] سورة يوسف، آية: 90

[2] ابن تيمية، **أمراض القلوب وشفاؤها**، المطبعة السلفية – القاهرة، (ط 2/ 1399هـ)، (ص: 20).

[3] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (13/ 35).

بهذا الدرع الحصين ربى الدين أبناءه، وحماهم من الوقوع في شباك المكر، أو أن يتصفوا به، وبهذه التربية الوقائية، امتنع الصحابة – رضوان الله عليهم– ومن سار على نهجهم من الوقوع في الرذائل المنسوبة لأهل المكر من غدر، وغل، وغش، وتحريف، وغير ذلك، فقد علموا أن جوارحهم أمانة ومن استخدمها بخلاف ما شرعه الله، استحق عقاب الله، وستشهد عليه هذه الجوارح يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

كما علمهم المصطفى –صلى الله عليه وسلم– كبح جماح شهواتهم بالصبر وعدم الغدر، ونهاهم عن استعمال الحيل في كل حركاتهم وسكناتهم، في سلمهم وحربهم، فقد قال –عليه السلام–: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ في سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا من كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا"[2].

وقال عليه السلام: "من اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ على عَمَلٍ فَكَتَمْنَا مِخْيَطًا فما فَوْقَهُ، كان غُلُولًا[3] يَأْتِي بِهِ يوم الْقِيَامَةِ"[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[5].

قال السعدي: "الذين صبروا على المأمورات بامتثالها، وعن المنهيات بالانكفاف عنها، والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة، بعدم تسخطها. لكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ابتغاء وجه ربهم لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع، الذي يحبس

---

[1] سورة النور، آية: 24

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته، حديث:) 1731)، (3/ 1357).

[3] الغلول في المغنم أصله أن الرجل كان إذا اختار من المغنم شيئا غله أي أدخله في أضعاف متاعه وستره فسمي الخائن غالاً، انظر: ابن قتيبة، أبا محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت 276 هـ)، **غريب الحديث**، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، (ط1/ 1397)، (ص 226).

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال، حديث: (1833)، (3/ 1465).

[5] سورة الرعد، آية: 22

به العبد نفسه، طلباً لمرضاة ربه، ورجاءً للقرب منه، والحظوة بثوابه، هو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان"[1].

المطلب الثالث: الكف عن الحزن

أحاط الله سبحانه وتعالى رسوله –صلى الله عليه وسلم – بالعناية والتوجيه في كل صغيرة وكبيرة، فلم تغفل هذه المتابعة وهذه العناية شيئاً من سلوكيات الرسول عليه السلام– حتى العواطف والأحاسيس الداخلية، التي عمل على ضبطها ضمن الحدود التي لا ينبغي أن تتعداها، لتكون أخلاقه فاضلة، وسجاياه حميدة، وبصيرته نافذة في رؤية الأمور، مبصرة للمخارج التي تنقذها من دوائر المكر والكيد، فضيق النفس، والغم الشديد، بما يلقاه من مكر أعدائه يفوت عليه ذلك، وهذا جانب مهم من جوانب النفسية ذات التأسيس الخلقي، والحالة النفسية الصحيحة الخالية من عوارض الغم والضيق تعطي ثباتاً نفسياً خلقياً ينتج عنه سلوك خلقي قويم، لذلك قال تعالى معلما نبيه الكريم كيف يواجه مكر أعداءه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[2]"[3].

ثم زاده عناية بأن أرشده إلى ما يجعله أكثر مقاومة وأكثر تحملاً، عند اشتداد الكروب بالفزع إلى الله تعالى بالتسبيح والذكر، وعبادة ربه والإقامة عليها حتى الموت، لا يثنيه عن ذلك مكر من مكر ولا كيد من كاد، لأن الله تعالى ناصره ومعينه، ومبطل مكر أعدائه ومجازيهم عليه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[4]"[5].

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: 417).
[2] سورة النمل، آية: 70
[3] انظر: الزحيلي، **الأخلاق الاسلامية**، (1/ 482).
[4] سورة الحجر، الآيات: 97 – 99
[5] الزحيلي، **الأخلاق الاسلامية**، (1 / 482).

وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: "من قال لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ له مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عنه مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ له حِرْزًا من الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذلك حتى يُمْسِيَ ولم يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جاء بِهِ إلا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ من ذلك وَمَنْ قال سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"[1].

وفي كيفية زوال الضيق والحزن بالذكر، قال الرازي: "اختلف الناس في أنه كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سبباً لزوال ضيق القلب والحزن؟ فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خفَّ على القلب فقدانها ووجدانها، فلا يستوحش من فقدانها، ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم. وقالت المعتزلة: من اعتقد تنزيه الله تعالى عن القبائح سهل عليه تحمل المشاق، فإنه يعلم أنه عدل منزه عن إنزال المشاق به من غير غرض ولا فائدة، فحينئذ يطيب قلب"[2].

المطلب الرابع: التوكُّل على الله تعالى في الأرزاق

متى علم العبد أن رزقه بيد الله، وانه مقدر له قبل أن يكون نطفة، وانه لن يموت حتى يستكمل رزقه، كفَّ عن إجهاد نفسه في تحصيله، وتحين أصوب السبل للأخذ بأسبابه، وصَبَّرَ نفسه على ضيق العيش، ووقي شح نفسه عند السعة.

والتوكل كما قال ابن القيم: "حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب:الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،بَاب فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، حديث: 2691 (4/ 2071).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (19/ 171).

وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة بـــه، ويقينـــاً بكفايته لما توكل عليه فيه، وأنه ملي به ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه"[1].

والنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة شاهدة على تفرده سبحانه وتعالى ببسط الـــرزق، وقَدْرِه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾ [2]

وقـــال تعـــالى: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[3].

وفي الهدي النبوي: عن أَنَسِ بن مَالِكٍ- رضي الله عنه- عن النبي- صـــلى الله عليـــه وسلم- قال:" إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ في الرَّحِمِ مَلَكًا فيقول يا رَبِّ، نُطْفَةٌ يا رَبِّ، عَلَقَةٌ يا رَبِّ، مُضْغَةٌ فإذا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قال يا رَبِّ، أَذَكَر، يا رَبّ، أُنْثَى يا رَبِّ، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فما الرِّزْقُ؟ فما الْأَجَـــلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ في بَطْنِ أُمِّهِ "[4].

وعن أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النبي صلى الله عليه وسلم- أنها قالت: اللهم أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِأَبِي أبي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" قد سَأَلْتِ اللَّهَ لآجال مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شيئا قبل حِلِّهِ، أو يُـــؤَخِّرَ

---

[1] ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقـــي، دار الكتـــاب العربـــي – بيروت**، (ط2/ 1393 هـــ)، (1/ 82).

[2] سورة الرعد، آية: 26

[3] سورة العنكبوت، آية: 17

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب القدر، حديث: 6222، (6/ 2433).

شيئا عن حِلِّهِ ولَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ من عَذَابٍ في النَّارِ أو عَذَابٍ في الْقَبْرِ كان خَيْــرًا وَأَفْضَلَ..."[1].

وفي معنى الحديث قال النووي: "وهذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل، فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك"[2].

وفي حديث رقيَة الصحابة – رضي الله عنهم–لسيد قبيلة من العرب،[3] قال ابن حجــر: "وفيه أن الرزق المقسوم لا يستطيع من هو في يده منعه ممن قسم له، لأنَّ أولئك منعوا الضيافة، وكان الله قسم للصحابة في مالهم نصيباً فمنعوهم فسبب لهم لدغ العقرب حتى سيق لهم ما قســم لهم"[4].

ولو كان إيمان أصحاب السبت صادقاً، لتوكلوا على الله حق توكله، ولــو اعتقــدوا أن الرزق بيد الله ما استعجلوه، ولو صبَّروا أنفسهم على الابتلاء ما وقعوا في المعصية، ولكن شاء الله أن يظهر خبايا نفوسهم، ويكشف اللثام عن حقيقة إيمانهم المزعوم، إذ لو صدق إيمانهم لمــا احتالوا على ربهم لتحصيل ما هو مقدر لهم، ولأشفقوا على أنفسهم من سوء العاقبــة، ولــنفس السبب عوقب أصحاب الجنة كما ذكرنا من قبل – لاحتيالهم لحرمان المساكين من حقهــم فــي الرزق القليل، وعوقب قوم شعيب عليه السلام– لاحتيالهم على الناس في الكيل والوزن من أَجل الربح القليل.

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب، القدر، بَاب: بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ ولا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ، حديث: 2663 (4/ 2050).

[2] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، (ت 676)، **صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التــراث العربــي – بيروت**، (ط2/ 1392 هــ)، (16 / 213).

[3] عن أبي سَعِيدٍ رضي الله عنه قال انْطَلَقَ نَفَرٌ من أَصْحَابِ النبي –صلى الله عليه وسلم– في سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حتى نَزَلُــوا على حَيٍّ من أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذلك الْحَــيِّ........"، انظــر: البخــاري، **صــحيح البخاري**، كتاب: الإجارة، باب: بَاب ما يُعْطَى في الرُّقْيَةِ على أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ،(2/ 795).

[4] العسقلاني، أبو الفضل **أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هــ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، (4/ 457).**

وفـــي قولـــه تعـــالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [1]، شفاء لكل عليل، ووقايـــة لكل من تسول له نفسه ويزين له شيطانه الانجراف وراء أطماعه للمكر بعبـــاد الله مـــن أجـــل تحصيل رزقه.

وفي كلام الشافعي رحمه الله ما تطيب له النفس وترضى، قال:

تَوَكَلتُ في رِزقي على اللهِ خَالقي وَأَيقنت أَنَّ اللهَ لا شكَّ رازقي

ومَا يَكُ من رِزقي فليسَ يفوتَني ولو كان في قاعِ البِحار العوامقِ

سَيأتي بِهَ اللهُ العظيمُ بِفَضلهِ ولو لم يكن مِني اللسانُ بناطقِ

ففي أَي شيء تَذهَبُ النَّفسُ حَسرَةً وَقَد قَسَمَ الرَّحمنُ رِزقَ الخلائقِ[2]

المطلب الخامس: الخوف المقترن بالرجاء

"الخوف توقع مكروه في المستقبل وضده الأمن"[3].

قال ابن رجب الحنبلي: "إذا خاف الإنسان من شيء، تسبب في دفعه عنه بكـــل طريـــق يظنه دافعاً له "[4]

وقد كان رسل الله تعالى على علم بما للخوف من تأثير على سلوك الناس، في اجتنـــاب المنهيات، والالتزام بالطاعات، فقد أدركوا أن الرقيب الداخلي المتمثل بالخوف من عـــذاب الله،

---

[1] سورة هود، آية: 123

[2] الشافعي، **ديوان الشافعي**، (ص 66).

[3] الهائم المصري، **التبيان في غريب القرآن**، (ص 80).

[4] ابن رجب، أبا الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت:795هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حـــديثاً مـــن جوامع الكلم**، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وإبراهيم باحس، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط7/ 1417هـــ / 1997م)، (ص 147).

والخشية من حسابه، يمثل سدًّا منيعا أمام الانحراف السلوكي، لذلك تمثلوا هذا السلوك، وأمروا أتباعهم التزامه، قال تعالى على لسان رسوله – عليه السلام-: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

فقد امتنع –عليه السلام –عن ارتكاب المعاصي بتحريف القرآن الكريم ليوافق أهواء معانديه، وعلل ذلك بخوفه من عذاب الله إن عصاه.

كما قال عليه السلام– في الحديث الذي رواه أبو هريرة:" من خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ" [2].

كما حذر نوح قومه من قبل من الإشراك بالله، وخوَّفهم من عذابه الذي لو اتقوه لنجوا، ولو سمع قوم شعيب نداء نبيهم، وخافوا العذاب الذي توعدهم به لما مكروا، وأنقصوا الموازين ولاكتفوا بما أعطاهم الله تعالى من الخير والنعمة، فقد قال لهم ناصحاً: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾[3].

ولم يسمع ابن آدم نصيحة أخيه بأن القتل يوجب عذاب الله، ولم يردعه خوف أخيه من عذاب الله ورضاه بأن يكون مقتولاً على أن يحيا ويعذب في الآخرة، لذلك لم يحاول قتل أخيه.

---

[1] سورة يونس، آية: 15

[2] الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى السلمي، (ت:279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، كتاب: الزهد، حديث:2450، (4/ 632)، وقال الترمذي: **هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ**، وقال الألباني: صحيح، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: 1420هـ)، **لسلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف – الرياض،(بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر)، (5/ 442).

[3] سورة هود، آية: 84

قـــال تعـــالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ"﴾ [1].

"والرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة"[2].

وإذا اقترن الخوف مع الرجاء أصبح تأثيره في السلوك مضاعفاً، فمتى علم العبد قوة الله تعالى وجبروته خافه، ومتى علم رحمته وثوابه، وما أعده للمتقين، طمع في ما عنده ورجـــاه، فكان الخوف مانعا لمساوئ الأخلاق، وازداد هذا المنع بالرجاء والطمع فيما عند الله، قال ابـــن القيم: "إذا اقترن الرجاء بالخوف جمعه على الطريق ورده إليها كلما شرد، فكأن الخوف ســـوط يضرب به مطيته لئلا تخرج عن الدرب، والرجاء حاد يحدوها يطيب لها السير، والحب قائدها وزمامها الذي يسوقها، فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصا يردها إذا حادت عن الطريق، وتركت تركب التعاسيف[3]، خرجت عن الطريق وضلت عنها، فما حفظت حدود الله ومحارمه"[4].

المطلب السادس: القناعة التامة بخسران المكر السيئ

إذا اقتنع المسلم في قرارة نفسه أن المكر السيئ أمره في النهاية إلى البوار، وشر مكره عائد عليه كفَّ عن ذلك وارتدع، فلا يرضى عاقل لنفسه السوء، كما لا يرضى إجهاد نفسه بأمر ليس منه فائدة ترجى، وفي كتاب الله تعالى خير شاهد لمن أصرَّ علـــى فســـاده، قـــال تعـــالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [5].

---

[1] سورة المائدة، آية: 28

[2] الأصفهاني، **المفردات**، (ص 190).

[3] العسف السير على غير هدى وركوب الأمر من غير تدبير وركوب مفازة بغير قصـــد، انظـــر: الفراهيـــدي، **العـــين**، (329/1).

[4] ابن القيم، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الحج، مكتبة نـــزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، (ط 1/ 1416هـ)، (3/ 523).

[5] سورة الأنعام، آية: 123

قال الشوكاني: "وبال مكرهم عائد عليهم"[1].

وقال تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2].

قال السعدي: "أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئاً، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل"[3].
وقال تعـالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾[4].

قال الإمام الطبري: "ولا ينزل المكر السيئ إلَّا بأهله، يعني بالذين يمكرونه، و لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم"[5].

المطلب السابع: تحري العدل

"العدل: إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه أو يساويه دون زيادة أو نقصان، أو هو المساواة بين التصرف وبين ما يقتضيه الحق، دون زيادة ولا نقصان"[6].

والعدل من مكارم الأخلاق التي تحمي صاحبها من الوقوع في الخطأ، ومن ظلم الآخرين، وخداعهم، والمكر بهم فمتى تحرى المسلم العدل في أقواله وأفعاله، أصبح هذا الخلق من عاداته وشيمه، التي لا تَنفكُّ عنه في ظرف من الظروف، فتزكو نفسه، وتطهر جوارحه،

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، (2 / 159).
[2] سورة فاطر، آية: 10
[3] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: 685).
[4] سورة فاطر، آية: 43
[5] الطبري، **جامع البيان**، (22 / 146)..
[6] الزحيلي، **الأخلاق الاسلامية**، (1/ 622) بتصرف.

ويقي نفسه من الوقوع في ما يدنسها، ومن المجالات التي يجب تحري العدل فيها؛ لضمان حقوق العباد، وحماية النفس من المكر والظلم ما يأتي:

أولاً: العدل في معاملة الأولاد

والعدل في المعاملة بين الأولاد من عطاء وتربية من ضرورات السلامة للوالدين والأولاد جميعاً؛ لأن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد، مما يدفع بهم إلى تدبير المؤامرات والحيل ضد بعضهم البعض، وقد يصل بهم الحسد إلى حد القتل، فقد يقتل بعضهم بعضا، وفي قصة يوسف- عليه السلام- خير دليل على ذلك، فقد دفع بهم الحسد والغيرة من حب أبيهم ليوسف -عليه السلام-،- مع انه لم يفضله عليهم إلا في الميل القلبي،- وذلك لا باس به- إلى التدبير للتخلص منه، وكان من ضمن اقتراحاتهم قتله، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾[1].

ولم يغفل التوجيه النبوي ذلك الأمر لخطورته فعن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ -رضي الله عنه- أَنَّ أَبَاهُ أتى بِهِ إلى رسول اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- فقال إني نَحَلْتُ ابْنِي هذا غُلَامًا فقال أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مثله؟ قال: لَا، قال: فأرجعه"[2].

ثانياً: العدل في المعاملات

والأصل في المعاملات أن تبنى على الحق والعدل، لأنها أساس معاش الناس، فلا يصح فيها البخس والظلم، لتجنب الخصومة والتنازع بين الناس إذا انتقصت حقوقهم، فقد حث سبحانه وتعالى على إيفاء الكيل والوزن، قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[3].

---

[1] سورة يوسف، آية: 9

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: كتاب الهبة وفضلها، بَاب: الْهِبَةِ لِلْوَلَدِ، حديث: 2446، (2 / 913).

[3] سورة الأنعام، آية: 152

وتوعد بالويل والعذاب على من انتقصها، قال تعـــالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[1].

وكما توعد هود- عليه السلام- قومه بالعذاب المحيط إذا لم يكفوا عما يدنسهم، ويوجب عذابهم، وأن يرضوا بما قسم لهم فإنَّ فيه ما يكفيهم، ويسد حاجتهم، وأن ينتهوا عـــن مكـــرهم واحتيالهم على الناس في الكيل والوزن، وتحصيل أموالهم بالباطل قال تعـــالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾[2].

فقد بداهم بالدعوة إلى التوحيد؛ لأنه جذر الإيمان، ومنه تنطلق الفروع، ثم دعاهم إلـــى ترك ما هم عليه من الفساد في المعاملات، وذلك يدل على الصلة الوثيقة بين العقيدة والأخلاق، خاصة أخلاق المعاملات المادية.

كما أمر سبحانه وتعالى بالعدل في الشهادة، سواء كانت على الطلاق كما قـــال تعـــالى: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ ﴾[3].

أو شهادة على بيع، أو رهن، ورتَّب الإثم على كتمانها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[4].

---

[1] سورة المطففين، الآيات: 1 – 5

[2] سورة هود، آية: 84

[3] سورة الطلاق، آية: 2

[4] سورة البقرة، آية: 283

قال السعدي: "لأن الحق مبنيٌّ عليها لا يثبت بدونها، فكتمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، ويترتب على ذلك فوات حق من له الحق" [1].

كما حثَّ على أن يكون الشهود على الوصية من أهل العدل قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلۡأَـٰثِمِينَ ﴾[2].

والشهادة في السفر من أعظم الشهادات، للضرورة الملحة إليها، وتحتاج إلى عدل الشهود –خاصة في حالة موت الموصي ولا شاهد على وصيته سوى هؤلاء الشهود–، قال صاحب التفسير القرآني:" فهناك صاحب هذا المتاع الذي يريده أن يبلغ أهله، وهو في شك من أن يصل إليهم سالما، وهناك الشاهدان اللذان أشهدهما المحتضر على وصيّته، ووضع في أيديهما كل ما في يده، إنهما يحملان أمانة ليس وراءها من يطالبهم بها، إلا ما معهما من إيمان وتقوى، وما أكثر وساوس النفس في تلك الحال، وما أكثر نداءها الصارخ لاغتيال هذا المال الذي غاب عنه صاحبه، إن لم يكن كله، فالخيار الكريم منه"[3].

فالمكر كما ذكرت الباحثة من قبل إرادة الضر للآخرين على وجه الخفاء، وقد يغترُّ أَحد الشهود مقابل ثمن بسيط، فيكتم الشهادة، وبذلك تضييّع لحقوق المستحقين، لذلك كان الشرط في الشاهد، العدل والاستقامة.

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: 120).

[2] سورة المائدة، آية: 106

[3] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (4/ 66).

رابعا: العدل في الحكم بين المتخاصمين

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1]

والحكم بالعدل بين المتخاصمين يقي من الحقد والغل المفضيين إلى الشقاق والتنازع بين الأفراد والجماعات، "فاللّه عادل في الشريعة وفي الكون، حيث إنه أَتقن نظام الكون وعدل بين القوى الروحية والمادية، وأقام التوازن الدقيق في الأحكام بين الإنسان والخالق، وبين الفرد والجماعة، وبين الإنسان وأخيه، وبين فئات الناس في مجتمع ما، بين الغني والفقير ونحو ذلك"[2].

وباتباع التوجيه الربّاني بفعل ما أمر به، والانتهاء عمّا نهى عنه، وبالنظر في عاقبة الظلم والظالمين يصبح لدى المسلم واعظا من نفسه يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فينال بذلك الفلاح بتزكيته نفسه من عوامل المكر والخداع وغير ذلك من منكرات السلوك.

المطلب الثامن: الدعاء

أشارت الباحثة فيما سبق أن الابتلاء سنة ربانية من أَجل التمحيص والاختبار، وتطهير النفوس من أن تشوبها شائبة، حتى يعلو دين الله وينتصر، وقد صور لنا القرآن الكريم مدى الضيق والكرب الذي لحق بأنبياء الله تعالى ومن تبعهم فقد قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[3].

---

[1] سورة الحجرات، آية: 9

[2] الزحيلي، **التفسير المنير**، (3 / 179).

[3] سورة البقرة، آية: 214

فلا بد أن يمتحن الله تعالى عباده بالسرَّاء والضرَّاء والمشقة، كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل، فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم من الفقر والأمراض في أبدانهم، وزلزلوا بأنواع المخاوف، من التهديد بالقتل والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به، فقالوا: متى نصر الله؟[1].

فقد أيقن هؤلاء أن الله وحده القادر على التصرف في هذا الكون، والقادر على إهلاك هؤلاء الكفرة ونصر دينه، لذلك توجهوا إليه بالدّعاء، وتضرعوا إليه ليكشف عنهم الضرّ، وينجيهم من مكر أعدائهم، فقد استجاب لنوح- عليه السلام- عندما دعاه ونجّاه ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

كما نجَّى يوسف – عليه السلام- من تدبير امرأة العزيز وزمرتها لإيقاعه في الفاحشة، فقد ضاق صدره بمكرهن، واختار السجن على رغد العيش فرارا بدينه، والتجأ إلى الله تعالى بالدّعاء لصرف هذا الكيد والسوء عنه، حتى لا تدفعه أهواء نفسه مدعمة بإلحاحهن، وإصرارهن على إغوائه، إلى الوقوع فيما يغضب ربه، ويجعله من الجاهلين، لأنه إذ ذاك قد غفل عن قدرة الله وإحاطته به، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

"فاستجاب لدعائه الذي يسمع ويعلم، يسمع الكيد ويسمع الدعاء، ويعلم ما وراء الكيد وما وراء الدعاء، وهكذا اجتاز يوسف محنته...، بلطف الله ورعايته"[4].

---

[1] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص 96).

[2] سورة الأنبياء، آية: 76

[3] سورة يوسف، الآيات: 33- 34

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 1985) بتصرف.

كما أمر سبحانه وتعالى في سورة الناس باللجوء إليه والاستعانة به والتضـرّع إليـه، ودعائهِ بأَن يصرف عن عباده المؤمنين شرَّ شياطين الإنس والجنَّ وما يلقونه من وساوس فـي صدور عباده، لصرفهم عن عبادته، ودفعهم إلى ارتكاب المعاصي من كفر، ومكـر، وغـدر، وسحر، وخيانة، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق والسـلوك، قـال تعـالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [1].

وقد كان النبي –عليه السلام– يعلم أصحابه اللجـوء إلـى الله إذا اشـتدت الخطـوب، والتوسل إليه بالدعاء لكشف السوء، والنجاة من الكروب، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة، أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– كان يقول عِنْدَ الْكَرْبِ: " لَا إِلَهَ إلا الله الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إلا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إلا الله رَبُّ السماوات وَرَبُّ الأرض وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ"[2].

المطلب التاسع: هجران دار الشرك والمعاصي

"وأصل الهجرة هجران بلد الشرك والانتقال منه إلى دار الإسلام"[3].

أو إلى أي مكان يتمكن فيه المرء من إظهار دينه وإقامة شعائره، إذا كان يعجز عن ذلك في دار الكفر، وقد هاجر الكثير من أنبياء الله هرباً بدينهم، واستجابة لنداء ربهم بالخروج مـن أَرض الشرك، حتى لا يصيبهم ما سيقع على هؤلاء الكفار من العذاب، فكان بذلك نجاتهم، ونجاة من آمن معهم من مكر أقوامهم، وتمكيناً لهم في ارض أخرى يعبدون فيها ربهم، ويقيمون شعائر دينهم دون أن يفتنهم أَحد عن دينهم، فقد هاجر إبراهيم –عليه السلام– عندما اشتد عليه قومـه

---

[1] سورة الناس، الآيات: 1– 6

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: كِتَاب الدَّعَوَاتِ وَقَـوْلِ اللَّـهِ تَعَـالَى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ " (غـافر: 60)، بـاب:الـدعاء عنـد الكـرب، حديث:5986))، (5 /36 22).

[3] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (ص 14).

بالمكر والتدبير السيئ، ويئس من إيمانهم، قال تعـالى ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [1].

قال الرازي: "بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يهتد قومه، وحصل اليأس الكلي حيـث رأى القوم الآية الكبرى – خروجه من النار سالما– ولَمْ يُؤْمِنُواْ فوجبت المهـاجرة، لأن الهـادي إذا هدى قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه فيهم مفسدة، لأنه إن دام على الإرشاد كان اشتغالا بما لا ينتفع به مع علمه، فيصير كمن يقول للحجر صدِّق وهو عبث أو يسكت، والسكوت دليل الرضا، فيقـال بأنه صار منا ورضي بأفعالنا، وإذا لم يبق للإقامة وجه وجبت المهاجرة"[2].

بالرغم من انه لم يرد دليل على أن الله تعالى عذب قوم إبراهيم –عليه السلام– ولكن الله تعالى نجاه بالهجرة من بين ظهرانيهم، فالمشرك لا يؤمن جانبه، كما انه نجا بدينه، فنفع الله به آخرين ممن هاجر إليهم.

وقد أمر سبحانه وتعالى لوطاً –عليه السلام– بالهجرة من القرية التـي كانـت تعمـل الخبائث، لينجو مما سيحل بها من العذاب، قال تعالى: ﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴾[3].

بعد مجيء الملائكة إلى لوط عليه السلام وإبلاغه بأن هلاك قومه بات محققاً، شـرعوا يرتبون له مبادئ النجاة قبل حلول العذاب بقومه، فقالوا له: سر بأهلك ببقية بقيت من الليل، ولا تنتظر حتى الصباح، وكن من وراء أهلك الذين تسرى بهم، وعلى إثرهم؛ لتذود عنهم، وتسرع بهم، وتراقب أحوالهم، حتى لا يتخلّف منهم أحد لغرض، فيصيبه العذاب، كما أمـره أن يرشـد قومه إلى عدم الالتفات إلى الخلف؛ حتى لا يتأخر فيصيبه العذاب، أو يحن إلى وطنه ويتحسـر على فراقه، وان يسارعوا إلى تنفيذ أمر الله بالهجرة لان فيه نجاتهم[4].

---

[1] سورة العنكبوت، آية: 26

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (25/ 49).

[3] سورة الحجر، آية: 65

[4] انظر: المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (14/ 36).

كما أمر سبحانه وتعالى موسى –عليه السلام- بالخروج من ارض الشرك والكفر، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾[1].

وامتثل موسى ومن معه لأمر ربهم، وتركوا موطنهم، وشقوا طريقهم المجهول بين شقي البحر، امتثالاً لأمر نبيهم، وطاعة لربهم، فنجاهم واهلك عدوهم.

كما أمر سبحانه وتعالى نبيه محمداً – عليه السلام- وأصحابه بالهجرة من مكة إلى المدينة، فكان ذلك سبباً في نجاتهم، ونصرة دينهم، ثم عادوا إليها أعزاء بعد أن مكن الله لهم في المدينة، فأكسبتهم هذه الهجرة قوة ومنعة أقاموا بها دولة الإسلام، ورفعوا راية التوحيد عالية خفاقة فوق ربوع الأَرض، وأطاحوا بملك كسرى وقيصر بعدما دكوا حصون خيبر. قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾[2].

وقد أورد البخاري في صحيحه بعضاً من معاناة الصحابة –رضوان الله عليهم- وصبرهم وثباتهم على أمر الدعوة، وذلك في حديث خباب –رضي الله تعالى عنه- قال: "هَاجَرْنَا مع النبي –صلى الله عليه وسلم- نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا على اللَّهِ، فَمِنَّا من مَضَى لم يَأْخُذْ من أَجْرِهِ شيئا منهم مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ قُتِلَ يوم أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً[3]، فَكُنَّا إذا غَطَّيْنَا بها رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وإذا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ فَأَمَرَنَا رسول اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ على رِجْلَيْهِ شيئا من إِذْخِرٍ[4]، وَمِنَّا من أَيْنَعَتْ له ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا"[5].

---

[1] سورة طه، آية: 77

[2] سورة الأنفال، آية: 5

[3] نمرة: أي بردة فيها خطوط سود وبيض، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (243/4).

[4] الإِذْخِرِ: حَشيشَةٌ، انظر: الطالقاني، **المحيط في اللغة**، (2 /361).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: فضائل الصحابة، باب:هِجْرَةِ النبي صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ إلى الْمَدِينَةِ، حديث: (3684)، (3/ 1415).

وفي النصوص القرآنية دلالة واضحة على فضل الهجرة في سبيل الله في التوسعة في الدنيا، والأجر العظيم في الآخرة، وان كان فيها ضيق وبلاء قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

قال صاحب التفسير القرآني: "المراغم: كناية عن الشدة والضرّ...، وعلى المهاجر أن يوطّن نفسه على هذا وذاك، وأن يحتمل البأساء والضراء، كما يجنى الغنائم والأسلاب، وينال الأجر والثواب...فطاعم الظلم ومستسيغه لا عزّة له ولا كرامة! فمن وجد القدرة على الهجرة والفرار من وجه الظلم والبغي، ولم يهاجر فهو آثم عند اللّه؛ لأنه في معرض الفتنة في دينه، وهيهات أن يسلم له دين، وهو في هذا الموطن، الذي تنطلق منه شرارات البغي، فتحرق مادياته ومعنوياته جميعا..."[2].

المطلب العاشر: التوكل على الله وتفويض الأمر إليه والثقة به

لا بد للعبد من معرفة حقيقة التوكل، حتى تستقر فكرة التوكل في قلبه وتسيطر على عقله، وتكون المحرك الرئيس لكل حركاته وسكناته، فإذا علم أن التوكل يعني: أن ملكة الحق للأشياء ملكة عزة، أي ملكة امتناع وقوة وقهر، تمنع أن يشاركه في ملكه لشيء من الأشياء مشارك، فهو العزيز في ملكه، الذي لا يشاركه غيره في ذرة منه، كما هو المنفرد بعزته، التي لا يشاركه فيها مشارك، بعد ذلك لا يجد بدا من اعتماد قلبه على الحق وحده وثقته به وسكونه إليه وحده وطمأنينته به وحده لعلمه أن حاجاته وفاقاته وضروراته وجميع مصالحه كلها بيده وحده لا بيد غيره، فلا يجد قلبه مناصاً من التوكل بعد هذا[3].

---

[1] سورة النساء، آية: 100

[2] انظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (3 / 879 – 880).

[3] انظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، (2/ 128)

وإذا أيقن العبد أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة لكلّ ما أهمه من أمر دينه ودنياه، وثق بالله واطمأن لوعوده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسراً، وترحه فرحاً، وخوفه أمناً[1].

قال الهروي: "الثقة سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم"[2].

وقال تعالى: :﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[3].

"أي من وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه"[4].

ويزداد توكلاً وثقة إذا علم انه إذا انتفى التوكل انتفى معه الإيمان، فمن لا توكل له لا إيمان له، وبذلك يبلغ مرحلة التسليم ويسلم كل أموره لله متيقناً نصره وعونه ونجاته، فيحصل له مقصوده تحقيقاً لوعد الله، الذي لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5]

وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[6]

وهذا يدل كما قال ابن القيم:" على انحصار المؤمنين فيمن كان بهذه الصفة"[7].

---

[1] انظر: السعدي، **الوسائل المفيدة**، (ص: 10)

[2] الهروي، عبد الله الأنصاري، (ت 481هـ)، **منازل السائرين**، دار الكتب العلمية – بيروت دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر طبعة/1408) ،(ص: 45)

[3] سورة الطلاق: آية: 2

[4] الشوكاني، **فتح القدير**، (5/ 242)

[5] سورة المائدة، آية: 23

[6] سورة آل عمران، آية: 160

[7] انظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، (2/ 129)

بهذا الإيمان وبهذا التوكل وبهذه الثقة، استطاع رسل الله الوقوف أمام أعداء الله، والنجاة من كل ما أريد بهم من مكروه، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم- عليه السلام-: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

قال الزحيلي: "علّم اللّه المؤمنين أيضا أن يقولوا ما كان يدعو به إبراهيم -عليه السلام- ومن معه، تبرؤا من الكفار وتوكلوا على اللّه، وقولوا: اعتمدنا عليك يا رب، ورجعنا إليك تائبين، ولك الرجوع في الآخرة، ولا تظهر أو لا تسلط عدونا علينا، فيظنوا أنهم على حق، فيفتتنوا بذلك، واغفر لنا ما فرط من الذنوب، فإنك القوي الغالب الذي لا يغالب، الحكيم في تدبير خلقه وتحقيق مصالحهم"[2].

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام-: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[3].

فقد أعطاهم هود- عليه السلام- الحرية الكاملة ليدبروا له ما شاءوا من أنواع المكر والتدبير، ولم يخشَ كيدهم ومكرهم لثقته بالله واعتماده عليه؛ فهو المدبر والمتصرف في أموره، وهو الحكم العدل، فلم ولن يضره كيدهم، ونجا ومن آمن معه برحمة من الله.

والتفويض كما قال ابن منظور: "فوض إليه الأمر: صيره إليه وجعله الحاكم فيه"[4].

"والتفويض ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل، فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده، وهو عين الاستسلام، والتوكل شعبة منه، ومن درجاته:أن تعلم أن العبد لا يملك قبل عمله استطاعة، فلا يَأمنُ من مكر، ولا ييأس من معونة، ولا يعول على نية"[5].

---

[1] سورة الممتحنة، آية: 4

[2] الزحيلي، **التفسير المنير**، (28/ 122)

[3] سورة هود، آية: 56

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، (7/ 210)

[5] الهروي، **منازل السائرين**، (ص: 45) بتصرف

وبالتفويض استطاع الرجل المؤمن الوقوف أمام فرعون وملأه معلنا إيمانه دون خوف أو وجل، آمراً بالمعروف، كما قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1]

ناهياً عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾[2].

قال كلماته مدوية في وجه من كفر، معتمداً على الله، مفوضاً أمره إليه، فوقاه الله، ونجاه من مكرهم وكيدهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾[3].

وهكذا كان نهج الصحابة– رضوان الله عليهم– توكلوا على الله فلم تأخذهم في الحق لومة لائم، فقد أيقنوا أن النفع والضر بيده وحده لا شريك له، فخاضوا الحروب، وفتحوا البلاد، وحققوا لهذا الدين المجد والعزة، قال ابن القيم: "إن همم الصحابة كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم، فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب وأن يعبد الله في جميع البلاد، وأن يوحده جميع العباد، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد، فملؤوا بذلك التوكل القلوب هدى وإيمانا، وفتحوا بلاد الكفر، وجعلوها دار إيمان وهبت رياح روح نسمات التوكل على قلوب

---

[1] سورة غافر، الآيات: 38– 40

[2] سورة غافر، آية: 28

[3] سورة غافر، الآيات: 44 – 45

أتباعهم فملأتها يقينا وإيمانا، فكانت همم الصحابة رضي الله عنهم أعلى وأجل من أن يصرف أحدهم قوة توكله واعتماده على الله في شيء يحصل بأدنى حيلة وسعى، فيجعله نصب عينيه ويحمل عليه قوى توكل "[1].

المطلب الحادي عشر: الأخذ بأسباب النجاة بعد التوكل على الله

قد يظن بعض الناس أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة، وكلحم على وضم[2]، وهذا ظن الجهّال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، وإنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه إلى مقاصده، وسعى العبد إما أن يكون لجلب نفع مفقود كالكسب، أو حفظ موجود كالادخار، وإما لدفع ضرر لم ينزل، كدفع الصائل، أو لإزالة ضرر قد نزل، كالتداوي من المرض[3].

والأخذ بالاسباب سنة رسل الله جميعاً، فقد فهموا التوكل وأدركوا حقيقته، فها هو نوح – عليه السلام– يصنع الفلك بأمر من الله تعالى كأداة إنقاذ له ولمن معه عند نزول الطوفان، مع علمه بأن الله تعالى قادر على إنقاذه ومن معه دون حاجة إلى سفينة، ولكن الله سبحانه وتعالى أمره أن يربط الأسباب بمسبباتها، فركوب السفينة مُنْجٍ من الغرق حسب مقاييس البشر، والبقاء على اليابسة عند حلول الطوفان مظنة الهلكة، وفي ذلك إشارة إلى أن قدرة الله تعالى تعمل من خلال الأسباب التي أوجدها، قال تعالى: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾[4].

وها هو لوط– عليه السلام– بأمر من الله تعالى يسير بمن معه في جنح الظلام زيادة في السرية والتخفي عن الأنظار للفرار بمن معه مع يقينه التام بان الله تعالى قادر على أن ينجيه

---

[1] ابن القيم، **مدارج السالكين**، (2/ 135)

[2] وضمت اللحم وقيته من التراب وأوضمت له اتخذت له وضماً والوضم كل شيء يوضع عليه للجزر، انظر: الفراهيدي، **العين**، (7/ 72).

[3] المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**......

[4] سورة هود، آية: 37

ومن معه؛ بأن يحجب القوم عن مشاهدتهم حتى لو ساروا في وضح النهار، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾[1].

[1] سورة الحجر، آية: 65

المبحث الثاني

سبل العلاج من المكر السيئ

لقد فوض الله تعالى إلى الإنسان تهذيب أخلاقه بتدبيره، واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1].

فقد بين سبحانه وتعالى للإنسان طريق الخير والسعادة، الذي تسمو النفس بسلوكه، فترقى إلى أعلى منازل الطهر والرفعة، كما بيَّن له طريق الشر الذي به تنحدر النفس إلى أدنى دركات الذل والشقاء، كما بين للإنسان عدوه الأول الذي فرغ نفسه، وشحذ همته، وقعد لابن آدم كل صراط مستقيم، ليكون من شركائه في نار الجحيم، ثم أعطى الحق سبحانه وتعالى ابن ادم الحرية في اختيار الطريق الذي يرتضيه، وحمله تبعات هذا الطريق، وفي الوقت نفسه أعطاه الأمل في القبول والتوبة، إن زل عن الطريق، ورجع إلى الله تائباً.

لذلك على المؤمن الصادق ذي الأخلاق الفاضلة أن يقف عند حدود الله حين ينزلق بعوامل الخطأ والغلط، وأن يدافع نفسه في الرجوع إلى الحق، وأن يصارع نفسه وهواه بقوة إرادته، وقهر أنانيته وكبريائه، وعزته، وأنفته الآثمة، فانْ كان إيمانه صادقاً فإنه يستجيب للحق ويرجع له متى ظهر،

ويبحث عن السبيل لمداراة أهوائه ونوازعه النفسية الدافعة به إلى مساوئ الأخلاق[2].

بما أنَّ الله تعالى أعطى للإنسان فرصة للتوبة والقبول فلا بدَّ من حصر الطرق التي ينبغي للمسلم أن يستعين بها للتخلص من داء المكر السيئ، وقبل البدء بالعلاج لابد من التنويه على أن هذا العلاج لا يصلح إلا لمن دخل دائرة الإسلام مهما بلغ من الفجور والمعاصي، أما الكافر فلا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا تنفعه توبة حتى يؤمن بالله وحده لا شريك له وانَّ محمدا عبده

---

[1] سورة الشمس، الآيات: 7 – 10

[2] انظر: الزحيلي، **الأخلاق الاسلامية**، (1 / 674 – 678).

ورسوله، فقد نبه الله تعالى نبيه محمداً –عليه السلام– أن لا يجهد نفسه بالاستغفار للمنافقين، لأن ذلك لن يغني عنهم من الله شيئا، قال تعــالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1].

وقد اجتهدت الباحثة بتتبع منهج القرآن الكريم في علاج المكر السـيئ فجـاء ضـمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: التوبة

قد يقع الإنسان في الخطأ، لضعف في نفسه، أواستجابة لنزغات الشيطان، ولكن سرعان ما يندم على فعله ويحاول تصحيح خطئه، ومن أول الخطى التي يسلكها لمعالجة خَطَئِه؛ التوبة، فالله سبحانه وتعالى رحيم بعباده غفور لهم إن تابوا ورجعوا إليه، قـال تعـالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾[3] فرحمته واسعة، وسعت ذنـوب عبـاده مهما عظمت.

"والتّوبة رجوع عما سلف بالنّدم عليه"[4].

"والتوبة الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقـوق الـرب، والتوبة النصوح هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله"[5].

---

[1] سورة التوبة، آية: 80

[2] سورة الشورى، آية: 25

[3] سورة النجم، آية: 32

[4] ابن سيده، **المخصص**، (4/ 62).

[5] الجرجاني، **التعريفات**، (ص: 95).

والناظر في كتاب الله تعالى يجد أهمية التوبة في صلاح البشر، من خلال توجيهات الأنبياء عليهم السلام- لأقوامهم، قال تعالى على لسان شعيب -عليه السلام-: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[1].

فقد وعدهم بقبول توبتهم إن رجعوا عن كفرهم ولم يصروا على مكرهم واحتيالهم، لأن الله رحيم بهم، محب لصلاحهم، فالله سبحانه وتعالى يفرح لتوبة عبده كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه – عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:" الله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ، سَقَطَ على بَعِيرِهِ، وقد أَضَلَّهُ في أَرْضِ فَلَاةٍ "[2].

والبشر جميعاً محتاجون إلى التوبة، وتجب عليهم حال وقوعهم في المعصية أوالخطأ، بما فيهم الأنبياء- عليهم السلام-، فهم وان كانوا معصومين عن الكبائر، فقد يقعون في الصغائر نسياناً أو خطأً، ولكنهم سرعان ما يتوبون إلى الله كما حصل لآدم -عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[3].

فقد وقع – عليه السلام- في حبائل مكر إبليس، ونسي عهد الله تعالى بعدم الأكل من الشجرة، ولكنه بمجرد ظهور آثار المعصية عليه أسرع وزوجته إلى التوبة، قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4].

---

[1] سورة هود، آية: 90

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الدعوات، باب: التوبة، حديث: 5950، (5/ 2325).

[3] سورة طه، آية: 121

[4] سورة الأعراف، الآيات: 22 – 23

كما بين لنا القرآن الكريم ندم إخوة يوسف –عليه لسلام– على مكرهم بأخيهم ومحاولة قتله، فقد وقع الخطأ منهم وهم أبناء نبي، وإخوة نبي، ولكنهم اعترفوا بخطئهم وأقروا بـــذنبهم، وطلبوا من أبيهم الاستغفار لهـــم، قـــال تعـــالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

وقد وعد سبحانه وتعالى بقبول توبة من تاب ولكن بشروط، قال تعـــالى: چ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[2].

فمجرَّد التلفظ بالتوبة لا تُقْبل، بل لا بد من الإخلاص في التوبة والعزم على عدم العودة إلى الذنب، قال الرازي: "ومجرد التوبة لا تقبل لقوله تعالى، و(أصلح)أي: يتوب بنية صـــالحة صادقة وعزيمة صحيحة خالية عن سائر الأغراض"[3].

وقال الزمخشري: "أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمين أشـــدّ الاغتمـــام لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع"[4].

ومن شروط التوبة أيضاً إعادة الحقوق إلى أصحابها كما نبه تعالى على ذلك في آيـــات الربـــــا، قـــــال تعـــــالى: ﴿ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾[5].

هذه شروط التوبة لِمَن أراد علاج نفسه وتطهيرها من سموم المكر والخداع، فقد فـــتح سبحانه وتعالى بحكمته باب التوبة للجميع، لما له من آثار إيجابية على الفرد والمجتمع، وفي هذا المعنى.

---

[1] سورة يوسف، الآيات: 97 – 98

[2] سورة المائدة، آية: 39

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (11 / 181).

[4] الزمخشري، الكشاف، (4 / 573).

[5] سورة البقرة، آية: 279

قال الزحيلي: "التوبة من مظاهر الواقعية في الإسلام، وذلك لأن الإنسان بحسب تكوينه عرضة لأحوال الضعف التي ينزلق بها في مزالق المعاصي، والتوبة هي السبيل الوحيد لرجعته إلى سبيل الاستقامة، ومواقع التقوى،...ولولا أن باب التوبة مفتوح لكل العصاة لتحول العاصي الذي ييأس من التوبة والغفران إلى اكبر مجرم وأخبث شيطان"[1].

المطلب الثاني: كف اللسان عن الأذى

فكما أن أعمال الإنسان محصاة عليه ومحاسب عليها، كذلك أقواله وكل ما يتلفظ به مكتوب عند الله تعالى ومحاسب عليه في الآخرة، فضلاً عمَّا يودي به حصاد لسانه من مهالك في الدنيا، وبكف اللسان عن الأذى يقي المسلم نفسه من الوقوع في المعاصي من غيبة ونميمة وقذف واحتيال على الناس،: قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[2].

"والشيطان عدو للإنسان يتلمس سقطات فمه وعثرات لسانه، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمناً من نزغاته ونفثاته"[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتًا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

والغيبة من أنواع المكر كما ذكرنا من قبل، "وقد شبهت بأكل اللحم؛ لما فيها من تمزيق الأعراض المشابهة لأكل اللحم وتمزيقه"[5].

---

[1] الزحيلي، **الأخلاق الاسلامية**، (1/ 681) بتصرف.

[2] سورة الإسراء، آية: 53

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 2234).

[4] سورة الحجرات، آية: 12

[5] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (26/ 140).

وبتهويل خطر معصية اللسان في النفس وتذكر عظيم عقابها، وخطورة آثارها على الأفراد والجماعات، يكف المسلم عن أذى الناس فقد قال – عليه السلام– في النميمة، في الحديث الذي رواه ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: "مَرَّ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على قَبْرَيْنِ فقال إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ، أَمَّا هذا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ من بَوْلِهِ، وَأَمَّا هذا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، فَغَرَسَ على هذا وَاحِدًا، وَعَلَى هذا وَاحِدًا، ثُمَّ قال لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنهما ما لم يَيْبَسَا"[1].

المطلب الثالث: إشغال القلب واللسان بذكر الله

والمراد بذكر الله هنا: التسبيح والتحميد والاستغفار، وغير ذلك مما نطق به اللسان، وشغل به القلب مما يبعث السكينة والوجل في القلوب.

قال صاحب التفسير القرآني: "ذكر اللّه يقيم الإنسان على الإيمان باللّه، ويمسك به في مجال العمل الصالح، فيحيا حياة طيبة، يجد فيها الأمن والسكينة، فإذا كانت الآخرة، وجد ما عمل من صالحات حاضراً، فيسعد بها ويهنأ"[2].

"والمؤمنون إذا ذكروا عقاب اللّه ولم يأمنوا من وقوعهم في المعاصي وجلت قلوبهم... وإذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة سكنت نفوسهم، واطمأنت إلى ذلك الوعد وزال منها القلق والوحشة"[3].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[4].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب:الأدب، باب: بَاب الْغِيبَةِ،حديث: 5705، (5/ 2249).

[2] الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، (7 / 109).

[3] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (13 / 101).

[4] سورة الرعد، آية: 28

وقد ذكر المراغي أنَّ الناس قد غفلوا عن إصلاح أنفسهم، والدواء لهذه الغفلة هو ذكر الله[1].

وفي أثر الذكر في القلوب جاء قوله تعالى تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

قال البيضاوي: "فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله، وقيل: هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله، فينزع عنها خوفاً من عقابه"[3].

وذكر الله تعالى من الأدواء النافعة، والعلاجات الشافية بإذن الله تعالى، فهو حرز من الشيطان، والبعد عن الذكر يوقع في الضلال والظلم وغير ذلك من مكائد الشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[4].

"فالعبد المؤمن حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه، ويصبح له قرين سوء يوسوس له، ويزين له السوء"[5].

وقال المراغي في معنى الآية: "تسلط عليه شياطين الإنس والجن، يزينون له أن يرتع في الشهوات، ويلغ في اللذات، فلا يألو جهداً في ارتكاب الآثام والمحرمات"[6].

---

[1] انظر: المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (9 / 117).

[2] سورة الأنفال، آية: 2

[3] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (3/ 88).

[4] سورة الزخرف، الآيات: 36 - 37

[5] قطب، **في ظلال القرآن**، (5/ 3189) بتصرف.

[6] المراغي، **تفسير الشيخ المراغي**، (25/ 89).

وقد نصح شعيب – عليه السلام– قومه بالاستغفار، وبيَّن لهم من بركاته ما يعينهم على التخلص من الكفر، ويغنيهم عن الاحتيال على الخلق، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[1].

كما نصح نوح –عليه السلام– قومه وأرشدهم إلى العلاج الشافي، بعد أن أعياه كفرهم وعنادهم، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2].

المطلب الرابع: المحافظة على الصلاة

الصلاة ركن الإسلام الثاني، وعمود الدين، ومطهرة للنفس من الذنوب ما اجتنبت الكبائر، قال عليه السلام–: "لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، إلا غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حتى يُصَلِّيَهَا"[3].

وبالصلاة يستعين العبد على التقوى، قال ابن عاشور: "التقوى من حكمة مشروعية الصلاة، لأنّ المكلّف إذا ذكر أمر الله ونهيه فعل ما أمره، واجتنب ما نهاه عنه"[4].

والصلاة تكف المرء عن فعل المعاصي والمنكرات قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[5].

---

[1] سورة هود، آية: 3

[2] سورة نوح، الآيات: 10 – 12

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الوضوء، باب: الوضوء ثلاثاً، حديث: 158، (1/ 71).

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (16/ 201).

[5] سورة العنكبوت، آية: 45

قال السعدي: "ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر"[1].

ومن أدلة القرآن الكريم على أن الصلاة حماية للمسلم من الوقوع في الزلل والخطأ، أَنَّه سبحانه وتعالى حثَّ على أن يكون تحليف الشهود على الوصية بعد الصلاة، لتكون رادعة لمن سولت له نفسه كَتْمَ الحق، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾[2].

قال صاحب التفسير القرآني: "وحلف الشاهدين مشروط بشرط، وهو أن يدعيا بعد الصلاة مباشرة، وهما خارجان من بين يدي اللّه، قبل أن يتلبّسا بشيء من أمور الدنيا، وذلك ليكون لهذا الموقف أثره في إقامة شهادتهما على الحق والعدل، أو على ما هو أقرب إلى الحق والعدل، فحبسهما من بعد الصلاة، هو إمساكهما قبل أن يتّصلا بالحياة العامة، ويباشرا شؤوناً مختلفة فيها حتى يكونا أقرب إلى الخير، وأبعد من الضلال"[3].

المطلب الخامس: قراءة القرآن

قراءة القرآن الكريم صمام أمان، وحصن حصين، من الوقوع في المحرمات، لما يضفيه على السلوك من طهارة وجمال، قال ابن القيم: "لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: 632).

[2] سورة المائدة، آية: 106

[3] الخطيب، **التفسير القرآني**، (4 / 68).

المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها "[1].

وقد كانت دعوة الله تعالى المؤمنين إلى تدبر القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾[2].

كما نبه سبحانه وتعالى على أن هذا القرآن يهدي لأقوم السبل وأفضلها بما فيه من عبر ومواعظ، كما أن فيه شفاء للقلوب والأبدان، وهذا الهدى وهذا الشفاء لا يناله إلا مؤمن بالقرآن موقن بما فيه، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٌ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيد﴾[3].

قال السعدي: "يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة. وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية، لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق، وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب، وتشفي القلوب"[4].

وقد مدح الله ورسوله – عليه السلام– أهل القرآن السائرين على منهاجه، الملتزمين بأحكامه، بأنهم أهل الهدى، المعصومين من الضلال، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا ﴾[5].

---

[1] بن القيم، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر)، (1 / 187).

[2] سورة محمد، آية: 24

[3] سورة فصلت، آية: 44

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: 751) بتصرف.

[5] سورة الإسراء، آية: 9

وعن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَلُ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ، ولا رِيحَ لها، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الذي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرّ، ولا رِيحَ لها"[1].

قال ابن حجر: "إن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن، ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي لا مطلق التلاوة"[2].

المطلب السادس: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

بما أن الشيطان مُتَربصٌ لابن آدم في كل طريق مستقيم، فلا بدَّ من الحذر من الوقوع في شباكه، وذلك بمداومة الالتجاء إلى الله تعالى لصرفه عن طريقه بدوام الاستعاذة منه ومن نزغاته، وفي التوجيه القرآني جاء قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[3].

ومعنى نزغ كما ذكر الفراهيدي قال: "نزغ فلان بينهم نزغاً، أي حمل بعضهم على بعض بفساد ذات بينهم، كما نزغ الشيطان من يوسف"[4].

"ونزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك في الحق والأمر بالمعاصي، أو تحريك الغضب، فأمر الله بالاستعاذة منه"[5].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القران، بَاب فَضْلِ الْقُرْآنِ على سَائِرِ الْكَلَامِ، حديث: 4732، (4 / 1917).

[2] ابن حجر، **فتح الباري**، (9 / 67).

[3] سورة الأعراف، آية: 200

[4] الفراهيدي، **العين**، (4/ 384).

[5] الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (2 / 59).

ودَفْعُ هذه الوسوسة وهذا الشر يكون بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فالله هو الملجأ، وهو الحصن الحصين الذي يحفظ عباده المتقين إذا لاذوا بجنابه واحتموا بحماه.

وقد ذكرت الباحثة فيما سبق أنَّ الشيطان نزغ بين يوسف-عليه السلام- وإخوته، وأوقعهم في المكر والتدبير السيئ لأخيهم، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1].

[1] سورة يوسف، آية: 100

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تُنال الدرجات، نحمده على نعمه، ونشكره على مِنَنِه، وكرمه؛ بالإعانة على إتمام هذا البحث، ونصلي ونسلم على أشرف خلقه محمدٍ عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات، وبعد:

ففي ختام هذه الدراسة، وبعد استعراض موضوع المكر في القرآن الكريم، والوقوف على أقوال اهل العلم، من لغويين، ومفسرين وغيرهم حول موضوع المكر، لابد من إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة:

1. إن كل ما جاء في القرآن الكريم من مكر فهو بمعنى؛ التغطية والستر لغرض التدبير سواءً كان من المخلوق أم من الخالق.

2. المكر ضربان: مكرٌ محمود، وذلك أن يُتحرّى بذلك فعلُ جميلٍ، ومذموم وهو أن يتحرى به فعلُ قبيحٍ.

3. المكر السيئ لا يكون إلا من المخلوق، والخالق سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، أما المكر الحسن فهو مما اختص به الله تعالى نفسه، وإن حصل من بعض الخلق فبتوفيق الله تعالى وإعانته.

4. المكر في حق الله تعالى يختلف عن مكر المخلوقين، فلا يأتي به سبحانه وتعالى ابتداءً، وإنما على سبيل المقابلة والجزاء.

5. تنوع المكر السيئ، ونوع أشكاله وصوره، وما في ذلك من خطورة على الفرد والمجتمع.

6. المكر الشيطاني من أشد أنواع المكر السيئ خطورة، لذلك يجب الحذر من الوقوع في شباكه بالاستعانة بالله تعالى.

7. للمكر السيئ أسباب متعددة ومتنوعة، تنبع من صفات خلقية سيئة متأصلة في أصحابه.

8. الكفر بالله تعالى رأس الخطايا، ودافع قوي للمكر السيئ.

9. العقوبات الشديدة والمتنوعة لأهل المكر السيئ، وما في ذلك من مواعظ، وعبر.

10. الفشل، والخسران، وعدم الفلاح في الدنيا، والآخرة مصير كل ماكر سيئ.

11. للمكر الحسن ثمار حسنة يقطفها أهل الإيمان، والتقوى، وعداً من الله تعالى.

12. لابد من وقاية النفس، وإحاطتها بجدار صلب، وحصن حصين، حتى لا تنزلق في مهاوي المكر السيئ.

13. الإيمان بالقضاء، والقدر، والتوكل على الله تعالى في الأرزاق، يسد جميع أبواب الغش، والتحايل، في سائر أنواع التعامل.

14. العدل بين الأبناء في المعاملة، يهذب سلوكهم، ويزكي نفوسهم من الغل، والحقد، والحسد المؤدي إلى المكر السيئ.

15. بعد التوكل على الله لا بد من الأخذ بأسباب النجاة، حمايةً لأهل الإيمان من الوقوع ضحية للمكر السيئ.

16. الإيمان بالله وسعة رحمته، كفيلان بتزكية الأخلاق وردها إلى الجادة الصحيحة وفتح لباب التوبة لكل عاصٍ.

المسارد

مسرد الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
1	{يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ... }	البقرة	9	43
2	{وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... }	البقرة	14	91
3	{وَلَقَد عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ... }	البقرة	65	136، 175
4	{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ... }	البقرة	109	153
5	{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا... }	البقرة	168-169	112
6	{أُحِلَ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ... }	البقرة	187	38
7	{أَم حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ... }	البقرة	214	205، 221
8	{ٱلشَّيۡطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ... }	البقرة	268	106
9	{وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ... }	البقرة	279	235
10	{وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ ... }	البقرة	283	219
11	{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ... }	آل عمران	54	1، 11، 14، 15، 22، 27، 39، 61، 75، 164
12	{إِذ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ ... }	آل عمران	55	1131
13	{ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ... }	آل عمران	72	86
14	{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا ... }	آل عمران	118	46
15	{ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ... }	آل عمران	160	227
16	{وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ...}	آل عمران	167	95

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
17	{ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ... }	آل عمران	168	94
18	{وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ.. }	النساء	32	104
19	{مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ... }	النساء	46	88
20	{أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ... }	النساء	51	87
21	{أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ... }	النساء	54	153
22	{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا... }	النساء	81	53، 98
23	{وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ... }	النساء	100	226
24	{إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ.. }	النساء	105	38
25	{ إِن يَدۡعُونَ مِن... }	النساء	117 – 118	165
26	{ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ... }	النساء	118	103
27	{ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ... }	النساء	119	103، 109
28	{ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡ... }	النساء	120	104
29	{وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا... }	النساء	131	204
30	{بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ... }	النساء	138–139	92، 159
31	{ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ... }	النساء	141	97
32	{إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ... }	النساء	142	44، 57، 96
33	{ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ... }	النساء	145	90، 194
34	{وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ... }	النساء	157	61، 75

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
35	{بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ... }	النساء	158	61
36	{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن... }	المائدة	23	227
37	{ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ... }	المائدة	28	216
38	{ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ... }	المائدة	38	206
39	{فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ... }	المائدة	39	236
40	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ... }	المائدة	41	50
41	{وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ... }	المائدة	58	87
42	{ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ... }	المائدة	60	167، 176
43	{وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ ... }	المائدة	64	137
44	{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ ... }	المائدة	82	85
45	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ... }	المائدة	90	107
46	{مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا ... }	المائدة	103	109
47	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... }	المائدة	106	220، 240
48	{وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا... }	الأنعام	28	62
49	{ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ ... }	الأنعام	108	66
50	{ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ... }	الأنعام	112	149
51	{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ... }	الأنعام	123	37، 216
52	{وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ... }	الأنعام	124	73، 191

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
53	{ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ... }	الأنعام	152	218
54	{ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا... }	الأعراف	12	142
55	{ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ... }	الأعراف	16	102
56	{فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ... }	الأعراف	22	101، 234
57	{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ ... }	الأعراف	65 - 66	79
58	{ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ... }	الأعراف	78	172
59	{ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ.. }	الأعراف	90 - 91	174
60	{ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ... }	الأعراف	97 - 99	63
61	{ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ... }	الأعراف	99	22، 28، 29، 32
62	{ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ ... }	الأعراف	123	32
63	{وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ... }	الأعراف	130	168
64	{ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ... }	الأعراف	133	169
65	{ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ... }	الأعراف	138	186
66	{ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ... }	الأعراف	163	135
67	{وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ... }	الأعراف	183	40
68	{وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ... }	الأعراف	-182 183	58
69	{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ... }	الأعراف	200	242
70	{ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ... }	الأعراف	201	205

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
89	{وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ... }	التوبة	101	188
90	{وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ ... }	التوبة	114	127، 129
91	{وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا... }	يونس	15	215
92	{وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ ... }	يونس	20	82
93	{وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً... }	يونس	21	23، 25، 65، 82
94	{هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي... }	يونس	22	83
95	{ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا... }	يونس	24	16
96	{ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ... }	يونس	90	170
97	{ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا ... }	يونس	103	164، 203
98	{وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ ... }	هود	3	239
99	{وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا... }	هود	37	169، 230
100	{وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ ... }	هود	38	72
101	{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ... }	هود	40	203
102	{وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ... }	هود	44	165
103	{ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ... }	هود	49	162
104	{إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ... }	هود	56	228
105	{فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم... }	هود	57	178
106	{ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ... }	هود	74-75	127

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
143	{ فَلا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ ... }	الرعد	47	118
144	{ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ... }	إبراهيم	22	105، 114
145	{ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ... }	إبراهيم	46	24، 29، 33، 118، 119
146	{فَلاتَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ... }	إبراهيم	47	131
147	{وَقَدمَكَرُواْ مَكْرَهُمْ... }	إبراهيم	46- 50	193
148	{قَالَرَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي... }	الحجر	39	101
149	{إِنعِبَادِيَّ لَيْسَ لَكَ... }	الحجر	42	114
150	{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ... }	الحجر	65	224، 231
151	{ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ... }	الحجر	73	174
152	{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ... }	الحجر	97 - 99	210
153	{ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن... }	النحل	26	25، 30، 178
154	{قَدمَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن... }	النحل	26- 27	190
155	{ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ... }	النحل	41	20
156	{ أَفَأَمِنَٱلَّذِينَ مَكَرُواْ... }	النحل	45	23، 30، 175
157	{أَوياْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ.. }	النحل	47	60
158	{وَلاتَكُونُواْ كَٱلَّتِي... }	النحل	92	45
159	{وَلاتَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ... }	النحل	94	49
160	{ إِنَّٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ... }	النحل	104	167

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
179	{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ... }	طه	131	207
180	{بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ... }	الأنبياء	5	84
181	{وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ... }	الأنبياء	57	69
182	{قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا... }	الأنبياء	62 - 65	116
183	{قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن... }	الأنبياء	66- 68	117، 118
184	{ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ... }	لأنبياء	76	222
185	{وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ... }	النور	4	185
186	{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... }	النور	55	131
187	{يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ... }	النور	24	209
188	{وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ... }	الفرقان	72	206
189	{أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ .. }	الفرقان	75	206
190	{ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم.. }	الشعراء	49	81
191	{ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ.. }	الشعراء	154	74
192	{كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ... }	الشعراء	160	174
193	{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ... }	الشعراء	189	179
194	{هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن... }	الشعراء	221-222	111
195	{ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ... }	الشعراء	223	111
196	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ }	النمل	4	65

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
197	{ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ .. }	النمل	24	66
198	{وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ... }	النمل	48 – 49	139، 140
199	{ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ .... }	النمل	49	53، 77
200	{ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا... }	النمل	50	14، 22، 53، 140، 173
201	{ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ ... }	النمل	51 – 52	14، 178
202	{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا... }	النمل	70	210
203	{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن... }	النمل	76 – 78	147
204	{ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ... }	القصص	41	195
205	{ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا }	القصص	42	192
206	{فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ... }	القصص	81	175
207	{ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن... }	العنكبوت	17	212
208	{ فَمَا كَانَ جَوَابَ... }	العنكبوت	24	77
209	{ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ... }	العنكبوت	26	224
210	{ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ ... }	العنكبوت	45	239
211	{ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ... }	العنكبوت	65	59
212	{ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ ... }	الروم	10	162
213	{قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ ... }	الأحزاب	18	93
214	{وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ... }	سبأ	33	29، 34، 84، 191

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
215	{ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ... }	فاطر	10	1، 31، 34، 159، 180، 217
216	{ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ... }	فاطر	41	126
217	{ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ... }	فاطر	43	14، 24، 40، 57، 119، 144، 182، 217
218	{وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ... }	الصافات	75	170
219	{فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ... }	الصافات	88 - 93	68، 116
220	{فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ... }	الصافات	90- 93	69
221	{ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا ... }	الصافات	97	77
222	{فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا .. }	الصافات	98	77
223	{ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ... }	الصافات	99	130
224	{وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم ... }	الصافات	137 - 138	177
225	{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ ... }	ص	82	100
226	{وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ ... }	غافر	23- 24	79
227	{فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا ... }	غافر	45- 46	119
228	{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ... }	غافر	51	120
229	{ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ ... }	غافر	44	132
230	{ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا... }	غافر	45	134، 170
231	{وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ ... }	غافر	41- 42	134

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
250	{ وَلا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب.. }	الحجرات	12	236
251	{فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ ... }	الطور	45 -47	189
252	{إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ... }	النجم	32	233
253	{وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۚ ... }	القمر	9	78
254	{ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ... }	القمر	11 -12	170
255	{إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً... }	القمر	31	171
256	{ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ... }	الحديد	13	196
257	{يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ... }	المجادلة	18	98
258	{لا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ ... }	المجادلة	22	200
259	{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ .. }	الحشر	11	48، 93
260	{فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ... }	الحشر	17	162
261	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... }	الحشر	18	204
262	{ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٍ ... }	الطلاق	2	219، 227
263	{ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن ... }	الملك	16 -17	64
264	{إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ... }	القلم	17 -26	146
265	{ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن ... }	القلم	19 -20	183
266	{ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ... }	القلم	44 -45	59
267	{فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ... }	الحاقة	5	172

الرقم	الآية	السوره	الآية	الصفحة
268	{فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ... }	نوح	10- 12	239
269	{ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا... }	نوح	22	23، 25، 30، 35، 84، 115
270	{ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ... }	نوح	25	193، 195
271	{وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ ... }	نوح	26- 27	115
272	{إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ... }	المدثر	18- 25	78
273	{ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ... }	المدثر	52- 53	73، 134
274	{ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ... }	التكوير	15، 16	49
275	{ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ... }	المطففين	1- 6	142، 219
276	{ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ... }	البروج	4 - 8	81
277	{وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ... }	الشمس	7 - 10	1، 232
278	{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ... }	الشمس	14	140
279	{وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ... }	العاديات	1-2	20، 52
280	{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ... }	الفيل	1- 5	180
281	{ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا ... }	الفلق	5	112
282	{ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ... }	الناس	1- 6	148، 223
283	{مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ... }	الناس	4	49

مسرد الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	المصدر	الصفحة
27	الله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ	البخاري	234
28	لو أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أتى أَهْلَهُ قال بسم اللَّهِ	البخاري	108
29	مَثَلُ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ،	البخاري	242
30	من استعملناه منكم	مسلم	209
31	من خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ	الترمذي	215
32	من قال لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له	مسلم	211
33	وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لو	مسلم	104

مسرد الأعلام المترجم لهم

الرقم	العلم	الصفحة
1	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، الشيخ الصـــالح العـــارف برهان الدين البقاعي	13
2	الآلوسي شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله أفندي	32
3	بختنصر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس	138
4	فلافيوس ساينوس فسبسيانوس (تيطس الرومي)	138
5	الثعلبي أحمد ابن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق	26
6	الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس	160
7	الضحاك بن مزاحم البلخي	58
8	عكرمة البربري المدني	21
9	علي بن أحمد به محمد بن علي أبو الحسن الواحدي	26
10	عمير بن شييم بن عمروالقطامي	13
11	مجاهد بن جبر	21
12	محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن أبي زمنين	25
14	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء الخراساني	24

قائمة المراجع والمصادر

إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار،**المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت370 هـ)،**تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب،: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط 1/ 2001م).

الأصفهاني، أبو القاسم الراغب بن الحسين بن محمد، (ت 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: 1420هـ)، **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف – الرياض،(بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر).

الآلوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

الأندلسي، أحمد بن محمد ابن عبد ربه، (ت 328هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد سعيد الفريات، دار الفكر، (بدون ذكر مكان النشر ولا سنة نشر).

ابن باديس، عبد الحميد، (ت 1940هـ)، **العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تحقيق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح – الشارقة،** (ط1/ 1416هـ).

البخاري،محمد بن إسماعيل الجعفي،(ت 256 هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت،(ط 3 /1407 هـ).

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، (ت 516 هـ)، **معالم التنزيل في التفسير**، تحقيق:خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (ت 855 هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت (1415هـ – 1995م).

البيضاوي،أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت 685 هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق عبد القادر عرفات العشا، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1416 هـ).

البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم، (ت 1335هـ)، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، (بدون ذكر طبعة، ولا دار نشر، ولا سنة نشر).

الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى السلمي، (ت:279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون ذكر الطبعة، ولا سنة النشر).

التستري، أبو محمد، سهل بن عبد الله، **تفسير التستري**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ــ بيروت، (ط1423/1هـ).

ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرالي، (ت 728)، **أمراض القلوب وشفاؤها**، المطبعة السلفية – القاهرة، (ط 2/ 1399هـ).

ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرالي، (ت 728)، **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، (ط2 /بدون سنة نشر).

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (ت 427 هـ)، **الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي،: دار إحياء التراث العربي – بيروت،(ط 1/ 1422 هـ – 2002م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت816هـ)، **التعريفات**، تحقيق: إبـراهيم الأبيـاري، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط 1 / 1405 هـ).

الجزائري،عبد القادر بن محيي الدين، (ت: 1300هـ)، **ذكرى العاقل وتنبيه الغافـل**، (بـدون طبعة ولا سنة نشر).

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (ت 370)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد الصـادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون ذكر الطبعة / 1405هـ).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت 597هـ)، تلبيس إبليس، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط1 / 1405هـ– 1985 م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597 هـ)، **زاد المسير في علـم التفسـير**، المكتب الإسلامي – بيروت، (ط3/1404هـ).

ابن الجوزي، **صفوة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعجي، دار المعرفة – بيروت، (ط3/ 1399).

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري، **جوامع السيرة**، تحقيق: حسان عبـاس، دار المعارف – مصر، (ط 1/ 1900 م).

الحنفي، ابن أبي العز، (ت (792،**شرح العقيدة الطحاوية**، المكتب الإسلامي – بيروت، (ط4 / 1391هـ).

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت 745 هـ)، **تفسير البحر المحيط**،، تحقيـق: الشـيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1) د.زكريـا عبد المجيد التوقي 2) د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية – بيروت،(ط 1/ 1422 هـ– 2001 م).

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (ت725 هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر – بيروت، (1399هـ/1979م).

الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي– القاهرة، (بدون ذكر الطبعة، ولا سنة النشر).

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت:681هـ)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة– لبنان، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الخميس، محمد بن عبد الرحمن، (ت 150هـ)، الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، (ط 1/ 1419 هـ).

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، (ت 281 هـ)، **الإخلاص والنية**، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر).

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت 748 هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت،(ط9 / 1413هـ).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (748هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود،: دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/ 1/ 1995).

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، (ت604 هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1421/1 هـ–2000 م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت 721)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت (طبعة جديدة 1415 هـ– 1995م).

ابن رجب، أبا الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت:795هــ)، **جامع العلوم والحكــم فــي شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تحقيق: شعيب الأرنــاءوط، وإبــراهيم بــاحس، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط7/ 1417هــ / 1997م).

رضا، محمد رشيد، (ت:1354هــ)، **تفسير القرآن الحكيم، الموسوم بــ(تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة(1990م).

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت 1301هــ)، **تاج العروس من جــواهر القــاموس**، دار الهداية (بدون ذكر الطبعة، ولا سنة النشر).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، دار الفكر – بيروت،(طبعة سنة 1418هــ).

الزركشي، أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله، (ت:794هــ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، (طبعة سنة 1391هــ).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت538 هــ)، **الكشاف عــن حقائق التنزيل** وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، (ت 399 هــ)، **تفسير القــرآن العزيــز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفــاروق الحديثــة – مصر/ القاهرة، (ط1 /1423 هــ– 2002 م).

السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، (ت 330 هــ)، **غريب القرآن**، محمد أديب عبد الواحــد جمران، دار قتيبة،(طبعة سنة / 1416 هــ).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت 1376 هــ)، **تيسير الكريم الرحمن فــي تفســير كــلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت، (طبعة سنة 1421 هــ).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**، مؤسسة النـــور–الريـــاض، (طبعة سنة 1378هــ).

السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، (ت515 هــ)، **الأفعال**، عالم الكتب – بيروت، (1403هــــ 1983م)، (ط 1/ بدون سنة نشر).

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي،(ت 982 هــ)، **إرشاد العقل السليم إلـــى مزايـــا القـــرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى، (ت 412 هــ)، **عيوب النفس**، تحقيـــق: مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة – طنطا، (بدون ذكر طبعة / 1408).

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، (ت 375هــ)، **بحر**، د.محمود مطرجـــي، دار الفكر – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، (ت487 هــ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيـــق: ياســـر بـــن إبـــراهيم و غنـــيم بـــن عبـــاس بـــن غنـــيم، دار الـــوطن – الرياض،(ط1418/1هــ –1997م).

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، (ت458 هــ)، **المحكـــم والمحـــيط الأعظـــم**، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/ 2000 م).

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، (ت 458 هــ)، **المخصـــص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال،: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط 1/ 1417هــ).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت 911 هــ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر – لبنان،(ط1416/1 هــ – 1996م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،(ت 911 هــ)، **طبقات المفسرين**، تحقيق: علـــي محمـــد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، (ط 1/ 1396).

السيوطي، جلال الدين السيوطي، (ت 911)، **لباب النقول في أسباب النزول**، دار المعرفة – بيروت، (ط2 / 1419 هـ).

الشاذلي الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي، **البحر المديد**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 2/ 1423هـ).

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، (ت 204 هـ)، **ديوان الشافعي**، جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، دار العلم للطباعة والنشر – جدة، (ط3/ 1392).

الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر ولا دار نشر).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، (ت:1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1415هـ/1995م).

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (ت 548 هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، (بدون ذكر طبعة/ 1404هـ).

الشوكاني،محمد بن علي بن محمد،(ت 1250 هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس، (ت 385هـ)، **المحيط في اللغة**، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين،: عالم الكتب – بيروت (1414هـ-1994م)، (ط1 / بدون سنة نشر).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (ت 310 هـ)، **تاريخ الطبري**، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (ت 310 هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1405 هـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت1284 هـ)، **التحرير والنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت:1388 هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر – بيروت (طبعة سنة 1407 هـ /1987م).

العدني، محمد بن يحيى بن أبي عمر، (ت 243 هـ)، **الإيمان للعدني**، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية – الكويت، (ط 1/ 1407).

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت:395هـ)، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة، (بدون طبعة ولا سنة نشر)،

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (ت541 هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، (ط1413/1هـ –1993م).

العكبري، أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، **التبيان في شرح الديوان**، ضبطه: د. كمال طالب، دار الكتب العلمية– بيروت.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت:505هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة– بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، (ت 1061)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، (بدون ذكر طبعة ولا دار نشر ولا سنة نشر).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت، (1420هـ – 1999م)،(ط2 / بدون سنة نشر).

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (ت207 هـ)، **معاني القرآن**، عالم الكتب – بيروت، (ط 3/ 1403 هـ- 1983م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت 175هـ)، **العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، (بدون بلد نشر ولا طبعة ولا سنة نشر).

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 718 هـ)، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية – لبنان،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب،(ت718 هـ)، **القاموس المحيط**،: مؤسسة الرسالة – **بيروت**،،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (ت 770 هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية – بيروت.

القاري، علي بن سلطان محمد، (ت 1014هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق: جمال عيتاني،: دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1 / 1422 هـ - 2001 م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت 276 هـ)، **غريب الحديث**، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، (ط1/ 1397).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري،(ت671 هـ)،**الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب – القاهرة،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، (ت 465 هـ)، **لطائف الإشارات، (تفسير القشيري)**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1420/1هـ-2000م).

القطامي، عمير بن شييم بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكـــر بـــن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بـــن حبيـــب، (ت 130 هـــــ)، **ديـــوان القطـــامي**، تحقيق:إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة – بيروت، (ط1 / 1960 م).

قطب، سيد (ت:1386هـ)، **فـــي ظـــلال القـــرآن**، دار الشـــروق – القـــاهرة (طبعـــة ســـنة 1401هـ/1981م).

القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري،(ت 728 هــــ)، **غرائـــب القـــرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتـــب العلميـــة – بيـــروت،(ط1 /1416 هـ – 1996 م)

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، (ت 751)، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، (ط2 / 1395 هـ).

ابن القيم، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشـــرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، (ط 1/ 1416هـ).

ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت**، (ط2/ 1393 هـ).

ابن القيم، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر طبعة ولا سنة نشر).

ابن كثير،أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي،(ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر بيروت،(طبعة سنة 01 14هـ).

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، (ت 774 هـ)، **قصـــص الأنبيـــاء**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار إحياء الكتب العربية، فيصل البابي، (ط 1/ 1388هـ).

الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني،(ت 1094)، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (طبعة سنة /1419 هـ).

الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، (ت:741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي – لبنان، (ط4/1403هـ/1983).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت450 هـ)، **النكت والعيون المسمى**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج،(ت 103هـ)، **تفسير مجاهد**، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

محمد نبيل طاهر العمري، د.محمد احمد الحاح، **مقارنة الأديان**، (ط1 / 1998 م)، حقوق الطبع لجامعة القدس المفتوحة، عمان – الأردن.

المراغي، أحمد مصطفى، (ت:1364هـ)، **تفسير المراغي**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت261 هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

المطر، حمود بن عبد الله المحسن، **الابتلاءات**، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الحبرين، دار طريق – الرياض، (ط1/ 1416 هـ).

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي،(ت150 هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت،(ط1 / 1424هـ–2003م).

المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت:1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر – بيروت، (ط1410/1هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، (ت 711)، **لسان العرب**،: دار صادر – بيروت،(ط1 / بدون ذكر سنة نشر).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم – دمشق، (ط1420/5هـ/1999م).

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل،(ت 338هـ)، **معاني القرآن الكريم**، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المرمة،(ط1409/1هـ).

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت:710هـ)، **تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس – بيروت، طبعة سنة (2005م).

نوفل، د. احمد نوفل، كلية الشريعة– الجامعة الأردنية، **سورة يوسف دراسة تحليلية**، دار الفرقان– الأردن، (ط1/ 1409 هـ).

النووي، **أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري**، (ت 676)، **صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت**، (ط2/ 1392 هـ).

الهائم المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت815 هـ)، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، (ط 1 / 1412هـ– 1992م).

الهروي، عبد الله الأنصاري، (ت 481هـ)، **منازل السائرين**، دار الكتب العلمية – بيروت دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر طبعة/1408) .

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (ت 213 هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل– بيروت، (ط2 /411هـ).

الو احدي،أبو الحسن علي بن أحمد،(ت 468 هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، صفوان عدنان داوودي،: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت،(ط 1415/1).

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، (ت 207)، **المغازي للواقدي**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 1/ 1424هـ).

Najah National University
Faculty of Graduate Studies.

Guile: A Quranic Study

By
Iman Abdel Wahhab Fayez Shawahneh

Supervised by
Dr. Khader Sawandaq

This Thises is Submitted in partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Master of Principle Relegion، Faculty of Graduate Studies، at an Najah National University. Nablus- Palestine
2012

Guile: A Quranic Study

By
Iman Abdel Wahhab Fayez Shawahneh
Supervised by
Dr. Khader Sawandaq

Abstract

This study addresses the issue of cunning through verses from the Holy Quran based on the objective interpretation of the Holy Quran. The research divided the study into five chapters, an introduction and a conclusion. In the introduction, the researcher discussed the importance of the study, highlighting its value through talking about bad cunning, and warning against its bad consequences.

The researcher also discussed the honoring of human beings by God through giving them a mind by which they would differentiate between right and wrong and their total responsibility towards what behaviors they do.

In the first chapter, the researcher discussed the meaning of cunning in language, dictionary and the Quranic context. In the second chapter, the researcher explained the types of cunning.

In the third chapter, the researcher discussed the reasons behind cunning and the characteristics of those who use it.

In the fourth chapter, the researcher discussed the fruits of good cunning and the punishments for those who do bad cunning both in life and afterlife.

The fifth chapter included description of the methods of prevention and treatment to protect people from falling into the traps of bad cunning. It also gave the good treatment of those who fall victim to this bad habit.

The researcher referred to the different books that have been written about virtues, the opinions of Muslim scholars, Hadith, language and translations.

The conclusion included a number of results as follows:

1- Cunning falls into two categories. The first being the good cunning and comes only in the form of reward and is often by God. It could come from people in some cases, especially when a person is being oppressed; It can also be used to spread the word of Allah, or in the battlefield in response to the enemy's cunning. The bad cunning aims to bring harm to people.

2- Disbelief in God is cunning in its own definition; it is the ultimate vice and a strong motivation to do bad cunning.

3- Bad cunning only affects the one who started it.